

جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم أصول الدين

أطروحة دكتوراة في الحديث الشريف وعلومه بعنوان

(مراعاة الشعور الإنساني في السنة النبوية)

Looking After Human Feeling In Prophet Sunna

إعداد الطالب

محمود ياسين محمد محادين

(٢٠٠٧٢٦٠٠٠٥)

إشراف

د. محمد عبد الرحمن الطوالبة

الفصل الثاني

(٢٠١٢ ـ ٢٠١٣)

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة دكتوراة فلسفة في تخصص أصول الدين في جامعة اليرموك

(مراعاة الشعور الإنسانيّ في السنّة النبويّة)

Looking After Human Feeling In Prophet Sunna

إعداد الطالب

محمود ياسين محمد محادين

(٢٠٠٧٢٦٠٠٠٥)

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ : ٧ / ٥ / ٢٠١٣

أعضاء لجنة المناقشة

د . محمد عبد الرحمن الطوالبة .... مشرفاً ورئيساً

الأستاذ المشارك في الحديث الشريف / جامعة اليرموك

أ.د محمد علي قاسم العمري .... عضواً

الأستاذ في الحديث الشريف / جامعة اليرموك

أ.د عبد الله مرحول السوالمة .... عضوا

الأستاذ في الحديث الشريف / جامعة اليرموك

د عبد الرزاق موسى أبو البصل .... عضواً

الأستاذ المشارك في الحديث الشريف / جامعة اليرموك

د. محمد مصلح الزعبي .... عضوا

الأستاذ المشارك في الحديث الشريف / جامعة آل البيت

إهداء

إلى والدي الذي لا زلت المس في نظراته الصدق ....

إلى والدتي التي أنارت قلبي بحنو صدرها....

إلى زوجتي التي علمتني معنى الوفاء ....

إلى اخواني واختي .....

إلى أبنائي الأحباء .....

شكر وتقدير

أرفع يديّ بالدعاء والتوفيق لكلّ من كان له فضلّ عليّ بعد فضل الله جلّ جلاله من أساتذتي ومشايخي

وأخص بالذكر مشرفي العزيز صاحب الخلق الدّمث

الأستاذ محمد الطوالبة

والأساتذة الأكارم أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقراءة هذه الرسالة ونقدها بنصح وأمانة

سائلا المولى أن يبارك في أعمالهم وأعمارهم

قائمة المحتويات

مراعاة الشعور الإنساني في السنّة النبويّة

إعداد

محمود ياسين محادين

المشرف

محمد الطوالبة

ملخّص

هذه دراسةٌ شرعيّةٌ تربويّةٌ ، تتبّعت جانباً مهماً في النّفس الإنسانيّة ، الا وهو الجانب الشعوريّ ، لتلقي الضوء على أهميّة فهمه ومراعاته من جميع الجوانب من خلال السنّة النبويّة ، فقد وضّحت المرتكزات الأصيلة التي بُني عليها المنهج الشعوريُّ النبويُّ ، ومن ثمَّ أصّلت لشمولية هذا المنهج لجميع جوانب مراعاة المشاعر في الحياة الإنسانيّة .

ومن ثمّ فقد انتقلت هذه الدراسة من الجانب النظريِّ البحت ، إلى التطبيق العمليِّ من خلال استخلاص التطبيقات العمليّة في إدارة الشعور الذاتيِّ وشعور الآخرين ، بما يشمل تتبع المشاعر ، وفهمها ، وحسن التعاملِ معها ، ومعالجة ما جُرح منها ، لتؤصّل في مجملها لبناء منهجٍ شعوري إسلامي عام ، يُظهر عمق الطرح الإسلاميِّ للجوانب النفسيّة ، وقدرته على طرح بدائل واقعيّة للتعامل السليم ، وحاجة المجتمعات للهدي النبويِّ الذي يقودها إلى الرُّقي والسمو في جميع المجالات .

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين ، نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار على دربه إلى يوم الدين .

أما بعد :

خلق الله النفس البشريَّة في أحسن تقويم ، وجعلها من أدلَّة كمال قدرته على الخلق والإيجاد ، ودعا الإنسان إلى النظر في بشريته ، ليدرك عظمة الله في خلقه ، قال تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾[1] .

ومن تكريم الله لهذه النَّفس البشريَّة ، أنَّه أنزل إليها شِرْعة ومنهاجاً قويماً ، يرسم لها طريق النَّجاة ، ويحقِّق التوازن الذي يلبي حاجاتها ، ليقودها إلى برِّ الأمان ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[2] .

والمقصود بالتوازن هنا هو مراعاةُ ما يحيط بالنفس الإنسانيَّة من جوانبَ تشكِّل شخصيتها ، وتنظِّم علاقتها مع غيرها ، في مختلف الجوانب العقليَّة والشعوريَّة.

---

١ سورة الذاريات ــ آية (٢١) .

٢ سورة الملك ــ آية (١٤) .

وإذا كان التعاملُ الصحيحُ مع هذه النَّفس بحاجةٍ إلى حِكمةٍ ورويَّة ، فثمَّة جانبٌ يشكِّل المنحنى الأهمَّ والأصعب في هذه المنظومةِ ، ألا وهو الجانب الوجدانيُّ ، القائمُ على المشاعر والعواطف .

ومن هنا فقد عُنيت الدراسات النفسيَّة التربويَّة بهذا الجانب عنايةً فائقةً ، إلا أنَّ جلَّ هذه الدراسات أصَّلتها أيادٍ غربيَّة ، لا تعرف الحقَّ والهدى ، لتسير بالبشريَّة نحو الظلام الدامس ، في الوقت الذي غاب عن الميدان أهله ، مع ما في جُعبَتهم من الخير والسداد ، فنشأت النظريات الغربيَّة التي تعاملت مع النفس الإنسانيَّة معاملةً ماديَّةً ، قائمة على النظريات الفلسفية التي لا تملك الدليل والبرهان .

ولا زال الأمر كذلك حتى ظهرت صحوةٌ فكريَّة وعلميَّة ، تنادي بعودة الكتاب والسنَّة ليشكلا منطلقاً حقيقياً ، ومقياساً دقيقاً للعلوم التربويَّة والاجتماعيَّة والنفسيَّة عموماً ، وكان على أصحاب هذه الصحوة أن يبرهنوا على صدق دعواهم ، فبرزت الدراسات التي قدَّمت الهديَ النبويَّ ، منطلقا عمليًا للإصلاح في جميع الجوانب .

إنَّ هذه الرسالة تسعى لأن تكون مساهمةً هامَّة تضاف إلى جملة الرسائل التي صاغت من أحاديث النبيِّ ﷺ منهجاً سلوكياً قابلا للتطبيق ، وبرهنت على أنَّ السنَّة أصَّلت منهجاً تربوياً شاملاً ، بغية الوصول إلى نظام تربويٍّ متكاملٍ ، يغطِّي جميع جوانب النَّفس الإنسانيَّة .

" مراعاة الشعور الإنسانيّ في السنَّة النبويَّة " هو محاولة لوضع لبنة لمنهج يرسم الطريق السليم لفهم المشاعر الإنسانيَّة ، وفق المنهج المعصوم ، الذي تزخر به كتب السنَّة ، من خلال تقديم بديلٍ واقعيٍّ تطبيقيٍّ ، يقيِّم جملةً من النظريات الشعوريَّة ، التي صاغها الغربُ، ولا يزال المسلمون يتلقفونها ويطبقونها .

مشكلةُ الدراسة :

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن سؤال رئيس وهو : **ما معالم الهدي النبويِّ في مراعاة الشعور الإنسانيِّ؟**

ويتفرع عنه الإجابة عن الأسئلة الآتية :

- ما منطلقات المنهج النبويِّ في مراعاة الشعور الإنساني ؟
- ما أبرز خصائص المنهج النبويِّ في مراعاة الشعور الإنسانيِّ ؟
- ما أهم الجوانب التي اعتبرت فيها السنَّة جانب المشاعر؟
- ما التطبيقات النبويَّة في مراعاة المشاعر الذاتيَّة ؟
- ما التطبيقات النبويّة في مراعاة مشاعر الآخرين ؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى :

- بيان منطلقات السنَّة النبويَّة في مراعاة المشاعر الإنسانيّة .
- بيان خصائص مراعاة المشاعر الإنسانية في السنّة النبويَّة .

- بيان أهم الجوانب التي راعت فيها السنَّة النبويَّة المشاعر .
- بيان الهدي النبويِّ في فهم مشاعر الذات والتعامل معها .
- بيان تطبيقات المنهج النبويِّ في فهم مشاعر الآخرين والتعامل معها .

أهميَّة الدراسة :

تظهر أهميَّة هذه الدراسة في النقاط الآتية :

- تبيِّن هذه الدراسة إسهام السنَّة النبويَّة في العلوم التربويَّة ، وعلم النفس ، وكيف عالجت المشاعر الإنسانيَّة .
- تؤصِّل هذه الدراسة لمفهوم الوعي الشعوريِّ الذاتيِّ والاجتماعيِّ ، مع بيان التطبيقات العمليَّة التي قدمتها السنَّة في هذا المجال .
- تلفت هذه الدراسة الأنظار إلى ضرورة مراعاة الجانب الشعوريِّ في كثيرٍ من المجالات التربوية والدعويَّة والقياديَّة .
- تقدِّم هذه الدراسات تطبيقات عمليَّة في التعامل مع الجانب الشعوريِّ ، مستخلصةً من المواقف النبويَّة .
- تسهم هذه الدراسة في وضع الحلول لكثيرٍ من المشاكل الاجتماعيَّة الناجمة عن عدم الوعي الشعوريِّ ؛ كمشاكل الطلاق والعنف الأسريِّ والمدرسيِّ .

منهج الدراسة :

تقتضي طبيعة الدراسة استخدام ثلاثة مناهج : الاستقرائيّ والاستنباطيّ والنقديّ على النحو الآتي:

أولا: المنهج الاستقرائي : وذلك بتتبع الحالات الفردية للجوانب الشعوريَّة ، في حياة النبيّ ﷺ في جميع المجالات بما يشمل التأصيل النظريّ ، والمسلك العمليّ في اعتبار المشاعر الذاتيَّة ومشاعر الآخرين ، للوصول إلى أحكام عامة يمكن اعتبارها أصولا نظريَّة .

ثانيا: المنهج الاستنباطي : وذلك من خلال النظر في المادة المجموعة ، للخروج بأطرٍ عامَّة للمنهج النبويّ في مراعاة المشاعر ، ثمَّ يقوم الدارس بتحليل هذه النتائج ، والخروج بنتائج منطقيَّة ، تتناسب مع المادة النظرية المطروحة .

ثالثاً : المنهج النقديُّ : نقد الأحاديث وفق منهج المحدثين في الحُكم على الحديث ، وبيان درجته من حيث الصحَّة والضعف ، عن طريق دراسة الإسناد بالاعتماد على جمع طرق الحديث ، ثمَّ تعيين مدار الحديث ، ثمَّ الخروج بحكمٍ مع الاستئناس بأقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين في الحُكم على الحديث .

منهجية جمع الأحاديث وتخريجها ودراسة أسانيدها والحكم عليها :

أولاً : جمع الأحاديث :

١. استقراء الكتب التسعة (البخاريُّ ، مسلمٌ ، أبو داود ، الترمذي ، النسائي ، ابن ماجه ، مسند الإمام أحمد ، موطأ الإمام مالك ، وسنن الدارميّ) وجمع الأحاديث المتصلة بالرسالة منها .

٢. النظر في ما تيسر من بقية كتب السنَّة كالمستدركات والمعاجم وغيرها .

٣. الانتقاء من هذه الأحاديث وفق معياريَّة تقوم على ثبوت الحديث إلى النبيِّ ﷺ ، ودقَّة دلالة الحديث على موضع الاستشهاد ، والاقتصار على الحديث المرفوع دون الموقوف أو المقطوع .

ثانياً : تخريج الأحاديث و الحكم عليها :

١. تخريجُ الحديث من مصادره الأصليَّة المنسوبة إلى أصحابها .
٢. تخريج أحاديث الرسالة تخريجاً يفي بالمقصود ، مع بيان درجة الحديث دون الإطالة والإسهاب .
٣. ما كان في الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما .
٤. تخريج الأحاديث من الكتب التسعة إذا تم به المقصود ، وهو الحكم على الحديث ، والتوسُّع في التخريج عند الحاجة
٥. ترجمة بعض رواة الحديث الذين يقع الخلاف عليهم في الحكم على الحديث ، مع بيان الراجح منها .
٦. أذكر الشواهد والمتابعات وأخرجها إذا دعت الحاجة إليها .
٧. تجليةُ ما يُشكلُ من ألفاظ الغريب في أحاديث الرسالة بما يتم به المقصود

ثالثاً : أدوات جمع البيانات وتطبيق المنهج :

١. الإشارة لموضع الشاهد في الأحاديث المختارة .
٢. الاستشهاد والمقارنة بالعلوم الأخرى ذات الصِّلة بموضوع الرِّسالة .
٣. الرجوع إلى كتب الشروح الحديثيَّة لبيان المقصود من الحديث .

حدود الدراسة :

تنضبط حدود الدراسة بالكتب التسعة استقراءً ، وما تيسر من غيرها انتقاءً .

الدراسات السابقة:

بعد البحث الواسع وسؤال المختصين ، لم أجد دراسةً حديثيَّة تفرد هذا الموضوع بالبحث ، فبقيت مادة هذا الموضوع مع أهميَّته بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى الجمع والتأصيل والتطبيق بدراسة جادة ، ينتفع بها كلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ .

ومن الدراسات التي تناولت شيئاً من هذا الموضوع :

الذكاء العاطفي الذاتي وتطبيقاته من السنَّة النبويَّة : د.علي إبراهيم العجين – بحث محكم – مجلَّة المنارة – جامعة آل البيت :

تناول فيه كاتبه جزءاً من هذا الموضوع ، ألا وهو الجانب الشعوريُّ الذاتيُّ ، وأشار إلى أهميته وكثرة تطبيقاته في السنَّة النبويَّة ، وأوصى في نهاية بحثه بإيلاء هذا الموضوع مزيداً من العناية ، فقال : " يوصي الباحثُ بضرورة الاهتمام بهذا الموضوع ، من خلال الدراسات والأبحاث المختصة ، وكذلك توعية النَّاس بمضمونه ، لأنَّه يمس جانباً أساسياً في تكوين الإنسان " [1].

معالم التربية الوجدانيَّة في الكتاب والسنة – علاء الدين أبو مصطفى – رسالة ماجستير – كلية التربية – الجامعة الإسلامية – غزة – ٢٠٠٩م .

وهي رسالة تربويَّة وضَّحت معنى التربية الوجدانيَّة ، كما أشارت لأصول التربية الوجدانيَّة في الكتاب والسنَّة ، إلا أنَّهاَ خلت من التطبيقات النبويَّة في التعامل

---

١ عجين – علي – الذكاء العاطفي الذاتي – مجلة المنارة – جامعة آل البيت – مجلد ١٥ – عدد ٢ – ٢٠٠٩م – ص(٧٠)

الشعوريّ ، واقتصرت على الجوانب التربويَّة بشكل خاص ، وتناولت الوجدان الإنسانيّ بعمومه ، والذي يشمل الانفعالات والمشاعر والعواطف وغيرها .

مراعاة الجانب الشعوريّ عند المرأة في الكتاب والسنَّة – أحمد عزام – مجلة الجامعة الإسلامية – المجلد ١٩ – العدد الأول – يناير – ٢٠١١ .

أظهرت الدراسة اهتمام الإسلام بالجانب الشعوريّ عند المرأة ، وأثره على نجاح الأسرة وتماسكها ، وأشار إلى كثير من التشريعات التي تهدف لضبط مشاعر المرأة ، منبها لخطورة الأذيَّة الشعوريَّة التي قد تتعرض لها المرأةُ ممن حولها .

مراجع الدراسة :

ترتكز هذه الدراسة على جملة من المصادر ، في عدد من التخصصات على النحو الآتي :

<u>أولاً : المراجع الحديثية :</u>

يشكِّل الحديث النبويُّ المقبول الركن الأهمَّ في هذه الدراسة نظريًّاً وتطبيقياً ، حيث ستكون العناوين الأساسيَّة والفرعيَّة مستنبطة من السنَّة النبويَّة بأقسامها القوليَّة والفعليَّة والتقريريَّة .

<u>ثانياً : الدراسات النفسيَّة :</u>

تعدُّ هذه الدراسات من الدعائم المهمة في هذه الرسالة ، ذلكم أنَّ فهم مشاعر الإنسان مبنيٌّ على معرفة النفس ، وما يحيط بها من جميع الجوانب ، ومن أهم النقاط التي سيستعين الباحث بها من كتب علم النفس الجوانب الآتية :

أولاً : دوافع السلوك الإنسانيّ : حيث تعدُّ المشاعر الإنسانيّة دافعاً من دوافع السلوك الإنساني ، كما أن السلوك الإنسانيّ يولِّد المشاعر ويتفاعل معها في كثير من الأحيان .

ثانياً : الدراسات حول الانفعالات الإنسانيّة : ترتبط الانفعالات بالمشاعر ارتباطاً كبيراً ، حيث تبنى المشاعر على جملة من الانفعالات المتكررة ، كما تشكِّل الانفعالات تعبيراً مباشراً عن المشاعر الداخليّة الدفينة .

ثالثا : الدراسات حول الشخصيّة الإنسانية : وما يتصل بها من فطرة وتوازن وفروق فردية ، وآثار الوراثة والبيئة وأنماطها وتقويمها ، كل ذلك يرتبط بالمشاعر ارتباطاً وثيقا

ومن أهم هذه الدراسات :

- علم النَّفس الدعوي – عبد العزيز محمد النغميشي – دار المسلم للنشر والتوزيع – المملكة السعودية -الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ .

تناول هذا الكتاب بعض القضايا الرئيسة في مجال علم النفس التربويّ ، مما نحتاجه في هذه الدراسة ، مؤصِّلاً ومنطلقاً من القواعد الشرعيّة ، ثمَّ يحلِّل ويقارن ويستشهد بمفاهيم ومبادئ علم النفس ، أو التربية ، ومن أهم النقاط التي سيستند عليها الباحث في هذه الدراسة : خصائص المربِّي الفعَّال : الخصائص المعرفيَّة – الأسلوبية – الوجدانيَّة – الاتصالية ... كذلك موضوع الشخصية : تعريفها – سماتها – طبيعتها في المنظور النفسيّ .

- الحديث النبويُّ وعلمُ النَّفس – محمد عثمان نجاتي – دار الشروق للنشر والتوزيع – مصر – ٢٠٠٥م .

تناول مؤلف الكتاب اسهامات الحديث النبويّ الشريف في المفاهيم والحقائق النفسيَّة ، ودوافع السلوك البشريّ ، والانفعالات البشريَّة ، مشيراً لتفوق الحديث النبويّ ، وسبق السنَّة إلى توضيح كثير من أفكار علم النَّفس الحديث ؛ كالتفكير والنُّمو والشخصيَّة ، والصحَّة النفسيَّة ، ولا شكَّ أنَّ كثيراً من هذه النقاط ستسهم في ربط هذه الرسالة بجوانب علم النفس المختلفة .

- السلوك الإنسانيّ بين التفسير الإسلامي وأسس علم النَّفس المعاصر- عبد المجيد أحمد سيد منصور - مكتبه الأنجلو - القاهرة - ٢٠٠٢م.
- الإسلام والصِّحه النفسيَّه : دراسه نفسيَّه - عبدالرحمن محمد العيسوي - دار الراتب الجامعيه -٢٠٠١م .
- السنَّة النبويَّة وتوجيه المسلم إلى الصحَّة النفسيَّة - أ.د. هناء يحيى أبو شهبة - بحث مقدَّم إلى مؤتمر السنَّة النبويَّة - جامعة اليرموك .

ثالثا : مؤلفات الذكاء الوجداني :

تختصُّ ببيان الجانب الوجدانيّ العاطفيّ في حياة الإنسان ، والذي يشكِّل جزءاً مهما من المشاعر الإنسانيَّة ، ومن أهمِّ هذه الدراسات :

- الذكاء العاطفيُّ الذاتيُّ وتطبيقاته من السنَّة النبويَّة - علي إبراهيم عجين - بحث محكَّم - مجلة المنارة - جامعة آل البيت .
- الذكاء العاطفيُّ والصحَّة العاطفيَّة - مأمون مبيضن - المكتب الإسلاميُّ - بيروت .
- الذكاء العاطفيُّ الذكاء الانفعاليُّ - محمد الخوالدة - دار الشروق - عمان - ط١ - ٢٠٠٤ م .

- الدافعيَّة والذكاء العاطفيُّ – حسين أبو رياش وآخرون – دار الفكر ناشرون – عمان – ط١ – ١٤٢٧هـ .
- الذكاء الوجدانيُّ – السيد إبراهيم السمدوني – دار الفكر ناشرون – عمان – ط١ – ١٤٢٣هـ .

مخطط الدراسة :

تأتي هذه الدراسة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة على النحو الآتي :

الفصل الأول : المشاعر وصفها وأهميتها وخطورة إهمالها :

وفيه ثلاثة مباحث يتضمن الأول منها تعريفاً للفظ الشعور الإنسانيّ في اللغة والاصطلاح ، مع بيان المصطلحات ذات الصلة بمصطلح الشعور ، كما يتضمن الثاني توضيحاً لأهميَّة فهم المشاعر ، ومن ثمَّ يأتي التحذير من خطورة إهمال المشاعر وعدم اعتبارها .

الفصل الثاني : منطلقات المنهج النبوي في اعتبار المشاعر والتعامل معها وخصائصه :

وفيه مبحثان : يتضمن الأوَّل بيان منطلقات المنهج النبويِّ الشعوريِّ ، وهي كتاب الله وقصص السابقين ، ومنهج الأخلاق الاسلاميَّة ، ومن ثمَّ يتناول المبحث الثاني خصائص المنهج النبويِّ الشعوريِّ : وهي الكمال ، والاحتساب ، والتوازن ، والشمول ، والدقَّة والواقعيَّة .

الفصل الثالث : ميادين اعتبار المشاعر في المنهج النبويِّ ومظاهره :

وفيه مبحثان : يعمد الأوَّل منهما لتوضيح ميادين اعتبار المشاعر في المنهج النبويِّ وهي الجانب التشريعيُّ والإعلاميُّ والتربويُّ والتعليميُّ والاجتماعيُّ ، ويأتي المبحث الثاني ليوضِّح شمولية هذا المنهج من خلال بيان مظاهر مراعاة المشاعر ، وهي

مراعاة مشاعر أصحاب المكانة ، ومشاعر كبار السن ، وأصحاب العاهات ، والجار ، والزوجة ، والخدم ، والأطفال ، والعجماوات ، وأصحاب الحاجة ، وغير المسلمين

الفصل الرابع : تطبيقات المنهج النبوي في فهم مشاعر الذات والتعامل معها (الوعيُ الشعوريُ الذاتيُ) : .

وفيه ستَّة مباحث : يهدف الأوَّل للتنبيه على أهمية فهم الحالة الشعوريَّة الذاتيَّة ، والثاني ينمّي القدرة على تحليل المواقف الشعوريَّة ، والثالث يؤصِّل للفصاحة الشعوريَّة النبويَّة ، ومن ثمَّ يوجهنا المبحث الرابع لإدارة الانفعالات ، والخامس لتنمية المشاعر الحسنة ، ويحذرنا الأخير من المشاعر السيئة ، ويؤصِّل لسحبها وتحييدها

الفصل الخامس : تطبيقات المنهج النبوي في فهم مشاعر الآخرين والتعامل معها :

وفيه سبعة مباحث : يؤصِّل الأوَّل للتحليل الصحيح للموقف الشعوريِّ ، ويلفت الثاني أنظارنا لأهميَّة المشاركة الشعوريَّة ، بينما يوضِّح الثالث صور المعالجة الشعوريَّة النبويَّة ، ويبين الرابع لنا صور النقد الصحيح للمشاعر ، ومن ثمَّ يرشدنا الخامس لاعتبار جانب التفاوت الشعوري ، والسادس يبين وسائل التعبير عن المشاعر ، ويشير السابع لتطبيقات العدل الشعوريِّ في السنّة .

الفصل الأول

المشاعر وصفها وأهميتها

وخطورة إهمالها

المبحث الأول : مفهوم المشاعر والألفاظ ذات الصلة :

المطلب الأول : مفهوم المشاعر لغةً واصطلاحاً .

المطلب الثاني : الألفاظ ذات الصلة : (العواطف – الأمزجة – الأحاسيس – النفسيات) .

المبحث الثاني : أهمية فهم المشاعر والتعامل معها .

المبحث الثالث : خطورة إهمال المشاعر وعدم اعتبارها

المبحث الأول

مفهوم المشاعر والألفاظ ذات الصلة

المطلب الأول : مفهوم المشاعر لغة واصطلاحاً :

الفرع الأول : تعريف المشاعر لغةً :

يلحظ المتمعن في الجذر اللغوي (شَ عَ رَ) إلى أنَّه يدلُّ على جملة من المعاني المجرَّدة ، التي تعطينا الإشارات الأولى لمعنى المشاعر الاصطلاحي ، ومن ثمَّ توضِّح أصل اشتقاقها في اللغة .

فالشين والعين والراء – كما بيَّن ابن فارس – أصلان معروفان ، يدلُّ أحدهما على ثبات ، والآخر على عِلْمٍ وَعَلَمٍ "[1] :

١. فمن معاني (شَعَرَ) إضمارُ الشيء :

" تَقُولُ لِلرَّجُلِ : اسْتَشْعِرْ خَشْيَةَ اللَّهِ : أي اجْعَلْهُ شِعارَ قَلْبِكَ . واسْتَشْعَرَ فلانٌ الْخَوْفَ إذا أَضمره . وأَشْعَرَه فلانٌ شَرّاً : غَشِيَهُ بِهِ "[2] .

---

١ ابن فارس – أحمد – **معجم مقاييس اللغة** – تحقيق عبد السلام هارون – دار الفكر - ١٩٧٩م ، (ج٣ ، ص١٩٣) .

٢ ابن منظور – محمد بن مكرم – **لسان العرب** – دار صادر – بيروت – ط٣ – ١٤١٤هـ - (ج٤ ، ص٤٠٩) .

٢. ومن معاني (شعر) : **العلم بالشيء والفطنة له** – وهو أكثر استعمالاته " و(شَعَرَ) بِالشَّيْءِ بِالْفَتْحِ يَشْعُرُ (شِعْرًا) بِالْكَسْرِ فَطِنَ لَهُ " [١] ، " وشَعرتُ بالشيء : إذا فطنت له " [٢]، ومن هنا جاء إطلاق المشاعر على حواس الجسد ، قال الرازي : " وَالْمَشَاعِرُ أَيْضًا الْحَوَاسُّ " [٣] ، ووجه الارتباط أنَّ الإنسان يفطن إلى مشاعره ويتنبه لها ، " والشعور إدْرَاكٌ من غير إثْبَات ، فَكَأَنَّهُ إدْرَاك متزلزل ، وَتَارَة يعبَّر بِهِ عَن اللَّمْس ، وَمِنْه استُعْمل (المشاعر) ، وَلما كَانَ حَسُّ اللَّمْس أعمَّ من السَّمع وَالْبَصَر قيل : (فلَانٌ لَا يشْعر) أبلغ فِي الذَّمِّ من (لَا يَسمع وَلَا يُبصر) " [٤] .

٣. ويدلُّ لفظ (شَعَرَ) كذلك على **المودَّة والقرب المعنويّ** ، وأصلُه القُربُ الحسّيُّ " فالشِّعار : ما وَلِيَ الجسد من الثياب ؛ لأنَّه يمسُّ الشَّعْر الذي على البشرة " [٥] "والشِّعارُ مَا وَلِيَ شَعرَ جَسَدِ الإنسان دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الثِّيَابِ ، وَالْجَمْعُ أَشْعِرَةٌ

---

١ الرازيُّ – محمد بن أبي بكر – **مختار الصحاح** – تحقيق يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية – بيروت – ط٥ – ١٩٩٩م – (ص١٦٥) .

٢ ابن فارس – **مجمل اللغة** – تحقيق زهير عبد المحسن سلطان – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط ٢ – ١٩٨٦م – (ج١ ، ص٥٠٥) .

٣ الرازيُّ – **مختار الصحاح** – (ص١٦٥) .

٤ الكفويُّ – أيوب بن موسى – **الكليات** – تحقيق عدنان درويش - مؤسسة الرسالة – بيروت (ص٥٣٧) .

٥ ابن فارس – **معجم مقاييس اللغة** – (ج٣ ، ص١٩٣) .

وشُعُرٌ. وَفِي الْمَثَلِ : هُمُ الشّعارُ دُونَ الدِّثارِ[1] ؛ يَصِفُهُمْ بِالْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ " [2] ، "ومن المجاز: أشْعَرَ الهَمُّ قَلْبِي ، أي (لَزِقَ بهِ) كلُزُوقِ الشّعَارِ من الثِّيَاب بالجَسَد ، وأشْعَرَ الرَّجُلُ هَمّاً كذلك ، وكُلُّ مَا أَلْزَقْتَه بشيْءٍ فقد أشْعَرْتَه بهِ ، ومِنْه : أشْعَرَه سِنَاناً " [3] .

الخلاصة :

اتضح لنا مما سبق أنَّ لفظ المشاعر في اللغة يصبُّ في عدة اتجاهات رئيسة ، تلفت أنظارنا إلى أركان الجانب الشعوريّ الحديث عند علماء النَّفس :

فالمعنى اللغويُّ الأوّل للجذر (شَعَرَ) هو الشيء الخفيُّ المضمر ، وكذلك المشاعر الإنسانيَّة التي هي جزءٌ من الحالة النفسيَّة الذاتيَّة ، التي تعالجها نفسه في الخفاء ، ولا يُطَّلع عليها إلاّ بالإفصاح عنها ، أو ظهور آثارها على الحواس .

والمعنى اللغويُّ الثاني هو الفطنة للشيء ، والتنبُّه له ، ومنه استعمال لفظ المشاعر للحواس الظاهرة ، وهذا يشير إلى أنَّ الإنسان يعالج مشاعر نفسه ، ويفطن

---

١ " هُوَ الشِّعَارُ دُونَ الدِّثَارِ ، الشِّعَار من الثياب : ما يَلِي الجَسَد ، والدِّثَار : ما يُلْبَسُ في فوقه ، يضرب للمُخْتَصِّ بك ، العالم بدِخْلَةِ أمْرِكَ " الميدانيُّ – أحمد بن محمد – مجمع الأمثال – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – دار المعرفة – بيروت – (ج٢ ، ص٤٠٠) .

٢ ابن منظور - **لسان العرب** - (ج٤/ ص٤٠٩) .

٣ الزبيدي - محمد بن محمد - **تاج العروس** - تحقيق إبراهيم الترزي وآخرون – دار الهداية - (ج ٤٠/ ص ٥٣٢) .

لها ، ويعايشها ، فكأنها شيء محسوسٌ ، ومنه قولنا : شعرتُ بالحزن : أي أحسست به ، وهذا المعنى يوافق تقسيم علماء النفسِ الدوافع إلى شعوريَّةٍ ولا شعوريَّةٍ[1].

والمعنى اللغويُّ الثالث هو القرب المعنويُّ المشتقُّ من القرب الحسيِّ ، كالشعار الذي هو ما يلبس من داخِلَةِ الثياب ملاصقًا للجسد ، فالشُّعور الإنسانيُّ أصيلٌ في ذات الإنسان ، ملاصقٌ له كلصوق الثوب ، ولذا جاء التعبير النبويُّ عن الحُبِّ والمودة بالشِّعار ، كما في قول النبيِّ ﷺ للأنصار : (الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ)[2].

---

١ الدوافع الشعورية : (هي تلك الدوافع التي يشعر الشخص بوجودها ويعيها ، أو يمكن له أن يستدعيها ويتذكرها إذا ما سئل عنها ، مثل : بماذا تحس الآن ، أو ماذا تريد ؟ وبماذا كنت تحس بالأمس ؟) .

والدوافع اللاشعورية : (هي التي لا يستطيع الفرد أن يعبّر عنها بلغةٍ ، أو يحدّدها ويميزها عن غيرها من الدوافع ، لذا فهي تدفع الفرد إلى سلوكيات لا يمكن تفسيرها، ولا يكون هدفها واضحًا أنظر: عبد القادر- فرج – أصول علم النفس الحديث – القاهرة – دارقباء للطباعة – ٢٠٠٠م – (ص ١٣٨) ، راجح – أحمد عزت – أصول علم النفس – دار الكتاب العربي – القاهرة – ط٧ – ١٩٦٨م – (ص١٠٦) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – محمد بن إسماعيل – **الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري)** – (تحقيق محمد زهير بن ناصر) – مكتبة دار طوق النجاة – بيروت – لبنان - ط١ – ١٤٢٢هـ - كِتَابُ المَغَازِي – بَابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ – (ج٥ ، ص١٥٧) – ، مسلم – مسلم بن الحجاج – المسند الصحيح المختصر **(صحيح مسلم)** – (ج٢ ، ص٢٣٨) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

وقبل أن نعرض للمعنى الإصطلاحي للفظ الشُّعور ، يحسن بنا أن نقف مع استخدام هذه اللفظة في السُّنة النبويَّة :

الفرع الثاني : استعمالات لفظ الشعور في السنة النبوية :

١. (عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَال : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ[1] فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ ، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ، فَانطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ ...)[2] .

٢. (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ ، فَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ : لَمْ أَشْعُرْ ، فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ ، قَالَ : اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ ، فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ : لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ ، قَالَ : ارْمِ وَلاَ حَرَجَ ، فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلَّا قَالَ: افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ)[3].

---

١ (الغَميم) " تقع جنوب عسفان بستة عشر كيلا على الجادة إلى مكة ، أي على (٦٤) كيلا من مكة على طريق المدينة ، وتعرف اليوم ببرقاء الغميم " الحربي – عاتق بن غيث – معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبويَّة – دار مكة للنشر – ط١ – ص١٤٠٢م – ص٢٦٣ .

٢ رواه البخاريُّ - كتاب الشُّرُوطِ - بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ – (ج٣ / ص١٩٣) .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ العِلْمِ – بَابُ الفُتْيَا وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى الدَّابَّةِ وَغَيْرِهَا – (ج١/ ص٢٨) – وفي كتاب الحج – بَابُ الفُتْيَا عَلَى الدَّابَّةِ عِنْدَ الجَمْرَةِ (ج٢/ ص١٧٥) ، مسلم – كِتَابُ الْحَجِّ – بَابُ مَنْ حَلَقَ قَبْلَ النَّحْرِ ، أَوْ نَحَرَ قَبْلَ الرَّمْيِ – (ج٢ ، ص٩٤٨) .

٣. وفي حديث عائشة رضي الله عنها – في قصة الإفك – (... وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي ، أَنِّي لاَ أَرَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ، ثُمَّ يَقُولُ : كَيْفَ تِيكُمْ ، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ ..) [1].

٤. (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طُبَّ [2] ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ صَنَعَ الشَّيْءَ وَمَا صَنَعَهُ ، وَإِنَّهُ دَعَا رَبَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ ....) [3] .

من خلال تتبعي للفظ الشعور في السنَّة النبويَّة لحظتُ ما يلي :

أولاً : اشتملت السنَّة النبويَّة على استعمالات لفظ الشُّعور بجميع معانيه السابقة ، إلاَّ أنَّ أكثر استعمالٍ للفظ الشُّعور جاء بمعنى : (فَطِنَ أو عَلِمَ) ، كما ظهر لنا من النصوص الحديثية السابقة.

---

١ رواه الشيخان – البخاري – كِتَابُ الشَّهَادَاتِ – بَابُ تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا – (ج٣،١٧٣) ، مسلم – كتاب التوبة - بَابٌ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ - (ج٤،ص٢١٢٩).

٢ أي سُحِرَ : رجلٌ مطبوبٌ : أي مسحور، كنُّوا بالطبِّ عن السحر تفاؤلاً بالبُرء ، كما كنُّوا بالسليم عن اللديغ (انظر : ابن الأثير – المبارك بن محمد - النهاية في غريب الحديث والأثر – تحقيق طاهر أحمد الزاوى – المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ - (ج٣ ، ص١١٠) .

٣ رواه البخاري في صحيحه – كِتَابُ الدَّعَوَاتِ - بَابُ تَكْرِيرِ الدُّعَاءِ – (ج٨ / ص٨٣) .

ثانيًا : امتازت السنَّة النبويَّة بغزارة الألفاظ الشعوريَّة الواردة فيها ، مع ملاحظة اشتمالها على جميع المشاعر والألفاظ الانفعالية الإنسانيَّة ، فنجد الحبَّ والخوف والحزن والحياء وغيرها ، ممَّا يدلُّ بوضوح على ضرورة تقديم منهجٍ نبويٍّ شعوريٍّ .

الفرع الثالث : تعريف المشاعر اصطلاحاً [1] :

قبل أن نسعى لتوضيح مفهوم المشاعر اصطلاحًا ، لا بد لنا أن نشير إلى أنَّ هناك اختلافًا واضحًا وواسعًا بين علماء النفس في تحديد مفهوم المشاعر ، وعلاقته بالانفعالات في الشخصيَّة الإنسانيَّة ، ويرجعُ السَّبب في ذلك إلى :

أولاً : " اختلاف خصائص ومكوِّنات ووظائف الانفعالات " [2] ، وذلك باعتبار كثرتها وتنوعها فيما بينها ، وارتباطها الوثيق بالمشاعر الإنسانيَّة ؛ مما يجعل من الصعوبة التمايز بين هذه كلها .

ثانيا : " بالإضافة إلى الفروق في الخلفيات النظرية لدى علماء النفس" [3] ، والتي تولِّد قناعات مختلفة ، تزيد من الضبابيَّة في تمييز هذه المصطلحات .

---

١ من المعلوم أنَّ علماء النفس هم الذين وضعوا النظريات الشُّعورية الحديثة ، وقعَّدوا للانفعالات والمشاعر ، على اعتبار أنَّهم أهل الاختصاص ، لذا فنحن نقصد بالاصطلاح هنا اصطلاح علماء النَّفس .

٢ بني يونس – محمد محمود - **سيكولوجية الدافعية والانفعالات** – ط١– عمان – دار المسيرة للنشر والتوزيع – ٢٠٠٧ – ص (٢٢٧) .

٣ المرجع السابق – ص (٢٢٧) .

وتولَّد من هذه الأسباب مجتمعة ، خلطٌ واضح في تسمية العمليات الوجدانيَّة المتعددة ، فتجد الترادف في استخدام هذه المصطلحات في كتب علم النَّفس بصورة جليَّة ، مثل إطلاق لفظ الانفعال على الشُّعور ، أو الشُّعور على المزاج وهكذا ، يقول الأستاذ أحمد عبد الخالق : " أمَّا في اللغة العربية ، فهناك عددٌ كبير من الكلمات التي تشير إلى الانفعالات المختلفة ، ولكن لم تجر دراسة لغويَّة نفسيَّة حديثة ، لعزل هذه الكلمات وتصنيفها " [1] .

ومن أشهر التعريفات التي رصدتها لمصطلح المشاعر :

أولاً : (**إحساساتٌ غير محددةٍ يتمُّ اختيارها كحالةٍ من التحضير**) [2] :

ومعنى : غير محددةٍ : أي أنَّ المشاعر تتولَّد تلقائيا في ذات الإنسان ، من غير أن تكون مشروطة بوجود هدف مسبق أو معين [3] ، وقوله : يتم اختيارها : إشارة إلى أنَّ النَّفس هي المسؤولةُ عن تحديد نوع الشُّعور ودرجته ، تبعًا لمجموعةٍ من المحددات ، كالثقافة والبيئة وتفسير الحدث ... الخ .

---

١ عبد الخالق – أحمد محمد – **أسس علم النفس** – ط١ – دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية – ط١ – ١٩٩١م – ص (٤١٨) .

٢ انظر : **الدافعية والذكاء العاطفي** – حسين أبو رياش وآخرون – ط١ - دار الفكر – عمان – ٢٠٠٦ – ص (٢١) .

٣ المرجع السابق – ص (٢١) .

وقوله : " كحالة من التحضير" أي تسبق السلوك الإنساني ، وهو إشارة إلى كون المشاعر الإنسانية دافع من دوافع السلوك .

ثانيًا : (**هو الخبرة الذاتيَّة التي يدركها الفرد كحالة داخليَّة ، كالسرور والحزن**) [1].

ثالثًا : (**استجاباتنا الثقافية والبيئية للظروف ، ومن أمثلة ذلك القلق ، والإحباط ، والسخرية ، والتفاؤل**) [2] .

رابعًا : (**انفعالاتٌ بدون مصاحبة التغيرات الفسيولوجية**) [3] .

خامسًا : (**استعدادٌ نفسيٌّ يتقوى ويترسخ بالاكتساب ، وليس بالفطرة ، نتيجةً لتركز مجموعة من الانفعالات والغرائز المرتبطة بها ، حول شخصٍ أو موضوع أو شيء معين**) [4] .

سادسًا : (**الشعور هو خبرة الانفعال الذاتية ، أو هو التفاعل الإيجابي أو السلبي لخبرة ما**) [1] .

---

١ حمودة – محمود – **النفس أسرارها وأمراضها** – ط٢ – المطبعة الفنية – ١٩٩١م – ص (٧٨) .

٢ انظر : **الدافعية والذكاء العاطفي** – ص (٢٠٧) .

٣ بني يونس – **سيكولوجية الدافعية والانفعالات** – ص (٢٣١) .

٤ الزنتاني – عبد الحميد – **أسس التربية الاسلامية في السنة** – الدار العربية للكتاب – ليبيا – ط٢ – ص (٥٨٧) .

هذه أشهر التعريفات التي تناولت لفظ الشعور الإنسانيّ ، وعند الإمعان في مجمل التعريفات السابقة ، وتتبع استخدامات علماء النفس للفظ الشعور أو المشاعر ، يمكننا أن نشير إلى بروز عدة اتجاهات في تحديد مصطلح الشعور تتمثل في :

أولاً : **مساواة المشاعر بالانفعالات** : بجامع الحالة الوجدانيَّة الداخليَّة ، والتأثير الذاتيّ على النفس ، وتوليد الدافعية لسلوك يتناسب مع الشعور المتكون داخل النفس ، وهذا الذي دفع كثيرًا من المؤلفين للخلط بين الانفعال والشعور ، كما لحظناه في التعريف الأوَّل " إحساسات غير محددة ... " فإنَّ هذا التعريف يشمل المشاعر والانفعالات ، ولا يضع حدا للتمايز بينها .

ثانياً : **التمييز بين المشاعر والانفعالات** : باعتبار أنَّ الانفعال حالةٌ وجدانيةٌ تتميز بالفجائية والحدَّة ، مع صعوبة التحكم بها ، وظهور آثارها الفسيولوجية على الجسد ، بينما تتولَّد المشاعر من استجابات ثقافية نتيجة خبرة ذاتية ، وهي أكثر خفاءً من الانفعالاتِ وأقلُّ حدة ، ولا يصاحبها – في كثير من الأحيان – تغيرات فسيولوجيَّة ظاهرة .

وقد أشارت التعاريف : (الثاني والثالث والرابع) مجتمعة إلى هذه المعاني التي تُمايز بين هذين اللفظين بشكل واضح .

---

١ حمودة – **النفس أسرارها وأمراضها** – ص (١١٠) .

ثالثاً : **بناء الشعور على أصولٍ انفعالية** : باعتبار أنَّ الشعور الإنسانيَّ مركبٌ من عدة انفعالاتٍ ، فقد يتولد لديك انفعال تجاه شخص آخر ، كالغضب من سلوك معين مثلاً ، ثمَّ يتكرر هذا الانفعال ، ليولِّد شعورًا مستقرًا في نفسك بالكره والبغض لهذا الشخص ، وهذا الذي أشار إليه كل من التعريفين الخامس والسادس ، فأشار التعريف الخامس إلى تكرار الانفعالِ وتركزه ، بينما نجح التعريف السادس بدقة التعبير عندما قال : " هو خبرة الانفعال الذاتية " .

وبعد بيان مفهوم المشاعر في الاصطلاح ، يحسن بنا الوقوف مع الألفاظ ذات الصلة بمفهوم المشاعر ، بهدف التمايز الكامل بين لفظ المشاعر وغيره من الألفاظ المقترنة به .

المطلب الثاني : الألفاظ ذات الصلة : (الانفعال – العاطفة – الحالة المزاجية – الإحساس – الوجدان) .

أولا : الإنفعال :

يعدُّ الانفعال من أكثر الحالات الوجدانية دراسةً واهتمامًا ، لكونه أكثرها ظهورًا على الحواس ، وأعظمه خطرًا على الذات ، ولذا سعى علماء النفس سعيًا حثيثًا لتتبع هذا المفهوم وبيان حقيقته .

" يعرِّف علماء النفس الانفعالات تعريفات مختلفة ، ولكنهم متفقون في على أنها حالةٌ معقدةٌ لدى الكائن الحيِّ ، وليست حالةً بسيطةً " [1] .

ومن أهم العبارات التي وصف بها الانفعال :

أولاً : **(الانفعال نوع من السلوك لا يخطئه المشاهد ، لما يصحبه من تغير في أسارير الوجه ، ومن حركات جسميَّة ، وتعبيرات لغويَّة ، فهو حالة بارزة لأنَّه يعقب حالة من سكون واطمئنان)** [2] .

ثانيًا : **(الانفعال حالة استثارة تتم داخل الكائن الحي ، ولها مكونات فسيولوجيَّة ، ومعرفيَّة ، وموقفيَّة ، وتتم بإحساساتٍ ، وسلوك تعبيريٍّ معين ، وهي تنزع إلى الظهور فجأة ، ويصعب التحكُّم بها)** [3] .

ثالثاً : **(حالة جسميَّة نفسيَّة ثائرة ، أو حالة من الاهتياج العام ، تفصح عن نفسها في شعور الفرد وجسمه وسلوكه ، ولها قدرة على حفزه على النشاط)** [4] .

---

١ انظر : العيسوي – عبد الرحمن – **سيكولوجية الجسم والنفس** – بيروت – دار الراتب الجامعية – ١٩٩٧ – ص (٩١) .

٢ عويضة – كامل محمد – **علم نفس الشخصية** – ط١ – بيروت – دار الكتب العلمية – ١٩٩٦ – ص (١٣٤) .

٣ محمد بني يونس – **سيكولوجية الدافعية والانفعالات** – ص (٢٢٧) .

٤ راجح – أحمد عزت – **أصول علم النفس** – ط ١٠ – الاسكندرية – المكتب المصري الحديث للنشر والتوزيع – ١٩٨٢- ص (١٦٦) .

يقول الدكتور محمد بني يونس : " يتضح أنَّ التعريفات الإجرائية مختلفة في شكلها ، لكنها متشابهة في محتواها . حيث إنَّ القاسم المشترك في كافَّة التعريفات أنَّها اعتبرت الانفعالات : حالة وجدانية ، داخلية مفاجأة ، يصاحبها تغيرات فسيولوجية ونفسيَّة معًا " [1] .

ثانيا : العاطفة :

تعدُّ العاطفة من أكثر الألفاظ الوجدانيَّة تشابهًا وارتباطًا بالمشاعر ، ومن جوانب التشابه بين العاطفة والمشاعر أنَّ كلاهما مرتبط بالوعي ، ويتمُّ تنظيمه إراديًا ، وكلاهما متكون من مجموعة انفعالات ، مع غياب التغيرات الفسيولوجيَّة عنهما في الغالب ، ولذا كثيرًا ما يعبَّر بالعاطفة عن الشُّعور ، إلاَّ أنَّ العاطفة ترتبط كثيرًا بالحُبِّ ، والميل القلبيِّ للمحبوب ، يقول عويضة : " العاطفة نوعان أساسيان ؛ عاطفة الحبِّ وعاطفة البغض " [2] ، ومثال العاطفة : عاطفة الأمومة ؛ فالأمومة عاطفة يتولد منها كثيرٌ من الانفعالات : كفرح الأمِّ بنجاح ابنها ، وحزنها لأذيته وهكذا .

ومن أهمِّ التعاريف التي تحدِّد مفهوم العاطفة :

---

١ محمد بني يونس – **سيكولوجية الدافعية والانفعالات** – (ص ٢٢٨) .

٢ عويضة – **علم نفس الشخصية** – ص (١٣٤) .

أولاً : (العاطفة إتجاهٌ نفسيٌ (إيجابيٌ مُحِبٌ ، أو سلبيٌ كارهٌ) نحو موضوع معين ، إلا أنَّه مشحون بشحنةٍ انفعاليةٍ قوية ، سواء من الحب أو الكره) [1] .

ثانياً : (العاطفة صفةٌ مزاجيَّةٌ مكتسبةٌ ، تتكون باجتماع عدد من الانفعالات المتشابهة ، حول موقف أو موضوع معيَّن ، وتستثار مرتبطة بهذا الموقف أو الموضوع دون غيره) [2] .

ثالثا : (تتكون العاطفة من تجمُّع عدة انفعالاتٍ ، وانتظامها ، وتركزها حول موضوع معيَّن ، أو هي نوعٌ من الإستعداد العقليِّ المكتسب ، يرتبط بموضوع خاص ، ويدفع الإنسان إلى القيام بأنواع من السلوك ترتبط بهذا الموضوع) [3] .

ثالثا : الحالة المزاجيَة :

من الألفاظ التي تطلق أحيانًا على الحالة الوجدانيَّة العامَّة للشخص لفظ المزاج ، والحالةُ المزاجيَّةُ : (هي حالةٌ انفعاليةٌ معتدلةٌ نسبيًا ، تنتاب الشخص فترة من الزمن ، أو تعاوده بين حين وآخر ، وبمعنى آخر : هي حالة مؤقتة قد تظهر على شكل مرحٍ أو اكتئابٍ ، أو سعادةٍ ، أو حزنٍ ، أو هدوءٍ أو تجهمٍ ....) [4]

١ طه – فرج عبد القادر – أصول علم النفس الحديث – القاهرة – دار قباء للطباعة – ٢٠٠٠م – ص (١٣٤) .

٢ المرجع السابق – ص (٣٠٠).

٣ عويضة – علم نفس الشخصية – ص (١٣٩) .

٤ محمد بني يونس – سيكولوجية الدافعية والانفعالات – ص (٢٣١) .

إذًا الحالة المزاجيَّة هي حالةٌ شعوريةٌ تمتاز بالثبات والدَّوام ، بحيث تصبُغ الشخص بصبغة معيَّنة ، نتيجة ثبات شعورٍ معيَّنٍ لسببٍ أو لآخر ، " ... فمثلاً حين تسمع خبرًا سيئًا ، وهذا انفعالٌ عابرٌ ، فإذا لازمك الحُزنُ واستمرَّ عدة أيَّام ، سُمِّي أسىً ، والأسى حالةٌ مزاجيَّة ، فالشخص المكتئب تراوده أفكار الاكتئاب ، والشخص المهتاج يرحِّب بأفكار الاعتداء ، فالحالة المزاجية أقلُ عنفًا وأطولُ بقاءً من الانفعال" [1] .

وقد اختلفت آراء علماء النَّفس حول أسباب ديمومة هذه المشاعر ، وصبغ الشخصية بها ، فبينما يرجع بعضهم ذلك لأسبابٍ وراثيَّةٍ [2] ، يرى غيرهم أنَّه لا توجد أسبابٌ محددةٌ لمثل هذه الحالات [3] .

وللحالة المزاجية ارتباطٌ بالانفعال يوضِّحه الدكتور الحفني فيقول : " وأمَّا الحالة المزاجية فهي حالة انفعالية أخف من السَّورة ، وأطول أمدًا ، وأحيانًا تكون بسبب القمع ؛ أي عندما لا يأخذ الانفعال حقَّه في التعبير أو التنفيس ، وأحيانًا تكون مرحلةً من مراحل سورة الانفعال ، وهي في طريقها إلى الزوال ، فعندما تخفُّ حدَّة

---

١ المرجع السابق – ص (٢٣١) .

٢ انظر : **علم النفس بين الشخصية والفكر** – كامل محمد عويضة – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٦م – ص (٩) .

٣ انظر : كولتشيتسكايا – **تربية مشاعر الأطفال في الأسرة** – ترجمة عبد المطلب أبو سيف – دار علاء الدين – دمشق – ط١ – ١٩٩٧م – ص (١٢) .

الغضب مثلاً ، تتخلف لدى الغاضب حالة مزاجيَّة يكون فيها مزاجه نكدًا ، فتسهل استثارته " [1] .

رابعاً : الإحساس :

من الألفاظ التي تطلق على المشاعر في بعض الأحيان لفظ الإحساس ، وقد ذكرتُ في المعنى اللغويِّ أنَّ المشاعر تطلق في اللُّغة على الحواس الخمسة [2] ، التي يدرك بها الإنسانُ ما حوله ، قال ابن الأثير : " والإحساس : العلم بالحواس ، وهي مشاعر الإنسان كالعين والأذن والأنف واللسان واليد " [3] . إلاَّ أنَّ هذا اللفظ في أصل اشتقاقه يدلُّ على ما يباشره الإنسان بحواسه الخارجيَّة ، فقد قيل في تعريف الإحساس أنَّه : (**مجرد تأثير الحواس بالعالم الخارجي**) [4] ، وفي الموسوعة النفسية يعرَّف الإحساس **بأنَّه (شعورٌ أو وعيٌ بظروف داخل أو خارج الجسم ، تستحدثه استثارة مستقبل حسيّ)** [5] .

---

١ الحفني – **الموسوعة النفسيَّة** – ص (٣٠٣) .

٢ انظر ص (٣) .

٣ ابن الأثير – مجد الدين - **النهاية في غريب الأثر** – المكتبة العلمية – بيروت – ١٩٧٩م – (ج١ – ص ٣٨٤) .

٤ أنظر عويضة – **علم نفس الشخصيَّة** – ص (١٤٥) .

٥ الحفني – **الموسوعة النفسيَّة** – ص (٣١١) .

ولهذا يقال لمن باشر أمرًا بحواسّه مثلا : (حسَّ) ، بينما يطلق على الشيء القلبي الداخلي (شَعَرَ) ، ثم توسّع في استخدام لفظ الحسّ والإحساس ، ليدلّ على المشاعر مجازًا .

وقد استخدمت السنّة النبويّة لفظ الحسّ بهذا المعنى الواسع (عَنْ أَنَسٍ ﷺ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، يُصَلِّي فِي رَمَضَانَ ، فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَامَ أَيْضًا حَتَّى كُنَّا رَهْطًا ، فَلَمَّا حَسَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّا خَلْفَهُ جَعَلَ يَتَجَوَّزُ فِي الصَّلَاةِ ...) [1] .

خامسا : الوجدان :

وحتى تكتمل صورة المصطلحات المرتبطة بالمشاعر ، بقي أن نقف مع مصطلح الوجدان ، فـ (الوجدان : يتضمن الانفعالات ، والحالة المزاجيَّة والعاطفيَّة ، والمشاعر) [2] . وهذا يعني أنَّ مصطلح الوجدان هو أوسع الألفاظ التي تدلُّ على كلِّ ما سبق ذكره من الألفاظ الشعوريَّة ؛ يقول حبَّاب العثمان : (**وفي الاستعمال الحديث الوجدان : أيُّ نوعٍ من الحس والانفعال والمزاج الوقتيِّ والطبيعيِّ**) [3] .

---

١ رواه **مسلم** في صحيحه – كِتَاب الصِّيَامِ – بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ – (ج٢،ص٧٧٥) .

٢ محمد بني يونس – **سيكولوجية الدافعية والانفعالات** – ص (٢٣٠) .

٣ عثمان – حباب عبد الحي – **الذكاء الوجداني مفاهيم وتطبيقات** – ديبونو للطباعة والنشر – ط١ – ٢٠٠٩م – ص (٢٦) .

وعلى هذا النمط العام سارت الدراسات النفسيَّة الحديثة ، واحتلَّ لفظ الوجدان الصدارة في الدلالة على جميع الاتجاهات النفسيَّة الشعوريَّة ، تقول الدكتورة هناء أبو شهبة : (المقصود بالجانب الوجدانيِّ من الشخصيَّة في هذه الدراسة : هو كلُّ ما يخصُّ الحالة الشعوريَّة ، سواءً كانت حالةً إيجابيَّةً أو سلبيَّة : كالصراعات النفسيَّة – مشاعر الأمن النفسيِّ – الرضا والسعادة .... وكذلك الانفعالات الإيمانية : الخوف من الله – والعواطف الايجابية كعاطفة الحبِّ) [1] .

وعند تتبعي لفظ (الوجد) في السنَّة تبين لي أنَّه جاء بعدة معاني هي:

أولاً : الغضب : (عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ ، يُحَدِّثُ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ : إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ : سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ ، فَقُلْتُ : إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا

١ أبو شهبة – هناء يحيى - **السنة النبويَّة وتوجيه المسلم إلى الصحَّة النفسيَّة** – بحث مقدم لمؤتمر السنة النبوية والدراسات المعاصرة – كلية الشريعة – جامعة اليرموك –٢٠٠٧م – ص(٧) .

إِيَّاهُ ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا)[1] .

ثانيا : الحزن : ومنه ما جاء في حديث أَنَس بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : (إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ)[2] .

١ رواه **البخاريُّ** في صحيحه – كِتَابُ النِّكَاحِ – بَابُ عَرْضِ الإِنْسَانِ ابْنَتَهُ أَوْ أُخْتَهُ عَلَى أَهْلِ الخَيْرِ – (ج٧ ، ص١٣) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الأَذَانِ – بَابُ مَنْ أَخَفَّ الصَّلَاةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ – (ج١،ص١٤٣) ، مسلم – كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ أَمْرِ الأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ – (ج١،ص٣٤٣) .

المبحث الثاني: أهمية فهم المشاعر والتعامل معها:

الإنسان روحٌ وجسدٌ ، ولا يبلغ الإنسان الكمال النسبيَّ إلا بحسن تعامله مع الجانبين ، والجانب النفسيُّ قائمٌ على جملةٍ من الأسس ، من أهمِّها المشاعر الإنسانية ، والتي تشكّل ركناً أصيلاً الذات الإنسانية ، التي خلقها الله في أحسن تقويم ، فالمشاعر الانسانيةُ كثيرةٌ ، مختلطةٌ ، متنوعةٌ تنوعًا كبيرًا ، بحسب البيئات والانتماءات .

لقد أثبتت الدراسات الحديثةُ أنّ نجاح الإنسان في جميع المجالات ، مبنيٌّ على الجانب الشعوريِّ بدرجة قد تفوق الجانب العقليَّ ، وهذا الأمر يعطي الإشارة الواضحة إلى ضرورة الإهتمام بالمشاعر ، وفق منهجٍ واضحٍ ، للوصول إلى النضج العاطفيِّ الذاتيِّ ، والذي يقود إلى التعاطف مع الآخرين .

إنَّ تحقيق التوازن الشعوريِّ في النَّفس الإنسانيَّة ، هدفٌ تسعى إليه جميع الاتجاهات ، وهو يعني إشباع الاحتياجات المختلفة بصورةٍ متوازنةٍ ، تؤدي إلى الاستقرار الشعوريِّ .

وتظهر أهميَّة فهم المشاعر على الجانب الشخصيِّ من خلال قدرة الشخص على فرز مشاعره الخاصة ، ومن ثمَّ حسن استعمالها ، وهذا يعني إدارةً نفسيَّة دقيقة تثمر قدرةً كبيرةً على إدارة الانفعالات المتنوعة ، مما يوصلنا إلى تحكُّم في الذات

وهذا أصْلٌ مهمٌ دعت إليه الرسالةُ الإسلاميَّة : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [1].

كما أنَّ حسن التعامل مع الغير ، لا بدَّ أن يسير وفق منهجِ مراعاة المشاعر ، فهمًا وتقبلاً وتطبيقًا ؛ فإنَّ حُسن الخُلُقِ الذي جاء به هذا الدين القويم – كما أخبر بذلك ﷻ ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ... ﴾ [2] – هو في حقيقته حسن تعامل مع الذات الإنسانيَّة بجوانبها النفسيَّة والشعوريَّة ، فلا يبلغ الإنسان تمام الخُلُق الحسن ، إلا بحسن مراعاة مشاعر مَن حوله.

لقد أصَّل المنهج النبويُّ الأصول المكينة في التعامل الشعوريِّ ، بصورته النظريَّة والتطبيقيَّة – كما سيظهر لنا من خلال فصولِ هذه الرسالة – فكان السبق في الإشارة إلى أهميته ، والتميُّز في تأصيلاته .

إنَّ المنهج النبويَّ في تعامله مع الجانب الشعوريِّ ، يدرك بشكلٍ واضحٍ أثر الاستقرار الشعوريِّ في ابداع الشخصيَّة الإنسانيَّة ، ليؤسِّس مستوىً متقدمًا من

١ سورة النازعات – آية (٤٠ ، ٤١) .

٢ سورة الجمعة – آية (٢) .

الكفاءة العاطفيَّة المتوازنة ، ويحمي النَّفس من المشاعر السيِّئة ، التي تثمر إزاحة الشخصيَّة عن مسارها الصحيح ... [1].

أمَّا النظرةُ الغربيَّةُ للمشاعر ، والتي بنيت على علم النَّفس التجريبي ، فقد تنبهت إلى أهمية الجانب الشعوريِّ متأخرًا ، ومن خلال تتبعي لتطور النظرة الغربيَّة للمشاعر الإنسانيَّة ، يمكنني الإشارة إلى أنَّ المنهج الشعوريَّ الغربيَّ مرَّ بمرحلتين :

- *المرحلة الأولى : إهمال الجانب الشعوريِّ* ، والنظر إليه كمثبِّط نفسيٍّ ، يؤدي إلى تعكير العمليَّة العقليَّة ، ويؤثِّر على التفكير المنطقيِّ ، وحتى يصل الإنسان إلى النَّجاح ، فلا بدَّ أن يحيِّد مشاعره كلياً ولا يركن إليها .

يقول الأستاذ إبراهيم السمادوني : " وفي الأربعينيات من القرن الماضي كانت النظرة السائدة للإنفعال أنَّه مفهومٌ غير منظَّم – أو مشوَّش – يصعب السيطرة عليه وضبطه ، وبأنَّه يتناقض مع التفكير المنطقيِّ ، وهذه النظرة لها جذورها المتصلة بحركة العقلنة في القرن الثامن عشر ، التي لا ترى للوجدانِ دورًا يذكر في نجاح

---

١ انظر : **سيكولوجيا المزاج بين الإيحاء والإقناع القسري** – فايز عبد الهادي عابد – دار صفاء – عمان – ط١ – ٢٠١١م – ص (١٧) .

الإنسان ، وبأنَّ حياته ستكون أفضل لو تم تحكيم عقله ، وعزل انفعالاته التي تشوِّش على التفكير السَّليم " [1] .

إنَّ هذه النظرة السوداويَّة للمشاعر الإنسانيَّة قادت علم النَّفس في هذه المرحلة إلى إهمال جانبٍ مهمٍّ في الشخصيَّة الإنسانيَّة ، ومن ثمَّ كان التمجيدُ للجانب الذهنيِّ ، وهذا يلفتُ أنظارنا إلى سبب تأخُّرِ الدراسات الغربيَّة التي عنيت بالمشاعر ، في الوقت الذي كان للهدي النبويِّ السَّبقُ في التنظير والتطبيق .

__المرحلة الثانية : العنايةُ بالجانب الشعوريِّ__ ، وضرورة مراعاته على المستوى الشخصيِّ والبينيِّ ، ويمكننا القول هنا أنَّ هذا الاهتمام بدأ عندما ظهر مفهوم الذَّكاء الاجتماعي على يد عالم النفس (ثورنديك) [2] ، والذي عرَّفه بأنَّه : " القدرةُ التي يمتلكها الفرد على التواصل مع الآخرين ، ويتضمن القدرة على إدراك وتمييز الحالة المزاجية والنوايا والدوافع والمشاعر لدى الآخرين ، وهذا يشتمل على الحساسية للتعبيرات الوجهية والصوت ، والقدرة على التمييز بين أنواع مختلفة من الدلائل

---

١ السمادوني – إبراهيم السيد - **الذكاء الوجداني أسسه وتطبيقاته** – دار الفكر – عمان – ط١– ٢٠٠٧م – ص (٢٣) .

٢ (ثورنديك) : (١٨٧٤م – ١٩٤٩م) عالم نفسٍ أمريكي ، يعدُّ الأب الروحيَّ لعلم النفس التربويِّ الحديث ، له العديد من الأبحاث الجادة في علم النفس ، بدأ تأثير ابحاثه على موضوع التعلم والتعليم بالظهور منذ مطلع القرن العشرين .

الخاصة بالتفاعل بين الأفراد ، والقدرة على الاستجابة بكفاءة لهذه الدلائل بطرق هادفة "[1] .

هذا ولقد لفت مفهوم الذكاء الاجتماعيّ أنظار علماء النَّفس إلى توسيع مفهوم الذكاء الذي كان يختصُّ بالقدرات الذهنيَّة ، إلى صور متعددة من الذكاءات ، فقد ظهرت **نظرية الذكاءات المتعددة**[2] **لهوارد جاردنر**[3] ، والتي شملت :

الذكاء (الضمن شخصي) : " وهو معرفةُ الذات ، والقدرة على التصرُّف والوعي بالحالات المزاجيَّة والدوافع والرغبات ، والقدرة على الضبط الذاتي" [4] .

والذكاء (البين شخصي) : "وهو القدرة على إدراك الحالات المزاجيَّة للآخرين ،

---

١ عبد الرؤوف – طارق – **الذكاءات المتعددة** – دار اليازوري العالمية – عمان – الطبعة العربية – ص (٢٣) .

٢ يرى جاردنر أنَّ الذكاء لا ينحصر باالذكاء الذهنيّ ، بل هو يفوق ذلك إلى تسع قدراتٍ تمثّل الذكاء العام عند المتعلم ، وهذه القدرات هي (الذكاء اللغويُّ ، والرياضيُّ ، والشخصيُّ ، والاجتماعيُّ ، والموسيقيُّ ، والتصويريُّ ، والبدنيُّ ، والطبيعيُّ ، والتجريديُّ)

٣ (هوارد جاردنر) : استاذ الإدراك والتعليم في جامعة هارفارد ، ولد عام ١٩٤٣ ، له كثير من المشاركات والمؤلفات والتي تبحث في كيفية التعلم ، والسلوك الإنساني ، من أشهر نظرياته نظرية الذكاءات المتعددة .

٤ أبو رياش – حسين أبو رياش وآخرون – **الدافعية والذكاء العاطفي** – دار الفكر ناشرون – عمان – ط١- ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م – ص(٢٢٨) .

والتّمييز بينها ، وإدراك نواياهم ودوافعهم ومشاعرهم "[1]. بعد ذلك توالت الدراسات الشعوريَّة ، وبرزت أهميَّة الجانب الشعوريِّ في حياة الإنسان ، وظهرت مصطلحات تعالج الجانب العاطفيّ ، وتضع التّعامل مع المشاعر في طور التطبيق العمليّ ، كمصطلح الذكاء الشعوري ، ومن أشهر من شارك في هذا الجانب من الدراسات الحديثة :

أولاً : **بيتر سالوفي وجون ماير** : فقد أشارا إلى تفاوت النّاس في التنبه إلى مشاعرهم الذاتية ، ومشاعر الآخرين ، وقادهما هذا الأمر إلى محاولة اختبارٍ لقياس الجانب الشعوري الذاتي والبيني ، من خلال وضع قياس للذكاء الشعوري [2] .

ثانيًا : **دانيال جولمان** : نشر جولمان كتابه الذكاء الوجدانيّ ، والذي حظي بشهرة واسعة ، لما اشتمل عليه من بحوثٍ شعوريَّة هامَّة ، من أهمها التحكُّم بالمشاعر ، ومقاييس اختبار الانفعالات ، وقد برهن جولمان على تفوُّق الجانب الشعوريِّ على الجانب العقليّ كعنصر من عناصر النجاح .

إنَّ توجُّه علماء النَّفس الغربيين للاهتمام بالجانب الشعوريّ ، ينبع من تجاربهم الطويلة ، والتي أثبتت أنَّ للمشاعر الإنسانيَّة وظائف مهمَّة كدافعيَّة ذاتيَّة ، ووسيلةٍ

---

١ المرجع السابق – ص (٢٢٨).

٢ أنظر : المبيض – د. مأمون المبيض – **الذكاء العاطفيُّ والصحة العاطفيَّة** – المكتب الإسلامي – بيروت – ص (١١) .

من وسائل الاتصال الإنسانيّ ، حتى تكونت قناعات بأنّ النجاح في شتى الجوانب ، ينبع من القدرة على ضبط الشعور الذاتيّ ، وحسن التعامل مع مشاعر الغير ، أكثر من الذكاء العقليّ أو ما يسمى بالذكاء الأكاديميّ .

غير أننا ندرك جيدًا أنّ مفهوم الذكاء الشعوريّ الذي أولى المشاعر أهميَّة أكبر ، نشأ في الغرب ، لذا حمل هذه المفهوم بطرحه الغربيّ سيئات علم النَّفس ذاته .

وأمّا المنهج الاسلاميُّ التربويُّ المستمد من نصوص الوحيين ، فقد أولى الجانب الشعوريّ أهميَّة كبيرة ، وأشار إلى أهمية فهم المشاعر والتعامل معها ، ولا يبذل المتبصر في النصوص الشرعيَّة كبير جهدٍ وهو يفتِّش عن المعالجة الشعوريَّة الربانيَّة التي تدلُّ على أهميَّة المشاعر في جميع الجوانب .

الإسلام مزيجٌ فريدٌ من البراهين العمليَّة والعلميَّة ، التي تخاطب العقل والمشاعر معًا في إطار مبدع ، يثمر إحداث توازنٍ نفسيٍّ ، لا يمكن أن يصل إليه إلا من خلال التطبيق الشامل لجميع المعاني الإيمانية .

المبحث الثالث : خطورة إهمال المشاعر وعدم اعتبارها :

تبين لنا ممَّا سبق أنَّ المشاعر الإنسانيَّة ركنٌ مهمٌّ في النَّفس البشريَّة ، ينبغي اعتبارها ومراعاتها لتحقيق النَّجاح ، ومن هنا فإنَّ إهمال هذا الجانب أو سوء التعامل معه سببٌ مباشرٌ لكثيرٍ من الإشكالات التي تظهر على المستوى الفرديِّ والجماعيِّ.

فعلى الجانب الذاتيِّ " فإنَّ هناك العديد من الأمراض النفسيَّة التي تتعلق باضطراب العواطف والوجدان ، فنجدُ مثلاً أمراض الاكتئاب والقلق والرهاب والخوف ، ولا يخفى ما لهذه الأمراض والمشكلات النفسية من علاقةٍ وثيقة بالعواطف والمشاعر " [1] .

" ويلاحظ من خلال دراسة بعض حالات من ديهم اضطرابات سلوكيَّة أو عدوانيَّة في ، أنَّهم يعانون من أميَّة عاطفيَّة شديدة ، بحيث لا يتقنون معرفة عواطفهم ومشاعرهم ، ولا يحسنون التعبير عنها بالكلام أو الكتابة ، ممَّا قد يجعلهم يشعرون بالغضب أو الانفعال ، من غير أن يعرفوا السبب الحقيقيَّ " [2] .

ومن ذلك أنَّ سوء إدارة المشاعر الذاتيَّة له أثرٌ بالغٌ على الجانب العقليِّ ، فقد أثبتت الدراسات النفسيَّة أنَّ الشعور السيء يؤدي إلى تفكير مغلوطٍ في كثير من الحالات فـ " الأمزجة السيِّئة تؤدي إلى تفكيرٍ سيء .... كما بينت الدراسات أنَّ كلَّ

---

١ مبيض – **الذكاء العاطفي والصحة العاطفية** – ص (١٦٧) .

٢ المرجع السابق – ص (٥١) .

من لديه ميولٌ أكثر من غيره للشعور بالقلق ، يكون أضعف في الأداء الأكاديميّ "[1]

ويتعدى الأمر في تأثير إهمال المشاعر من التأثير النفسيّ إلى التأثير الجسديّ " فقد أظهرت الدراسات – وعلى مدى عدةِ عقود من الزمن – الصّلةِ الوثيقة بين العواطف ووظائف جسمِ الإنسان ، فقد وجد مثلاً أنَّ الشخص المضطرب أو القَلِقَ أو الخائف ، وهو مقبل على إجراء عملية جراحية لسببٍ ما ، سيكون أكثر عرضة للمشكلات الصحيَّةِ ، والمضاعفات الطبيَّة ، من الشخص الهادئ والمطمئن... "[2] .

وأمَّا على الجانب البينيِّ : فلك أن تدرك معي ما يولِّده الإهمال الشعوريُّ على مستوى الأُسرة ، فيسود الجمود العاطفيُّ بين الزوجين ، ليولِّد سوء التعامل ، الذي ينعكس بدوره على الأسرة كلِّها ، فكم من أسرة هُدمت بسبب إضاعة الحقوق الشعوريَّة ، فكان إغفالُ مراعاة المشاعر سبيلاً للتفريق بين الزوجين .

وتتعدى خطورة الإهمال الشعوريّ الزوجان ، لتلقي بظلالها السيِّئة على الأبناء في مختلف الأعمار ؛ فالانحراف السلوكيُّ الذي يجنح بكثيرٍ من الأطفال والشباب في المراحل العمريَّة المختلفة ، يرجع إلى الإهمال الشعوريِّ تارةً ، وإلى عدم الإشباع العاطفي تارةً أخرى ، ومن هنا فإنَّ الإنسان في جميع مراحل حياته ، بحاجةٍ إلى إشباع شعوريٍّ بصورةٍ متوازنةٍ .

1 جولمان – **الذكاء العاطفي** – ص (١٢٤ – ١٢٥) .

2 مبيض – **الذكاء العاطفي والصحة العاطفية** – ص (١٦٧) .

إنَّ امتهان المشاعر وعدم فهمها ، يجعل كثيرًا من علاقاتنا الإجتماعية عرضة للتقويض والهدم ، فسوءُ التعامل مع المشاعر يولِّد كثيرًا من الأخطاء في علاقتنا مع آبائنا وأمهاتنا وإخواننا ، ولك أن تدرك أنَّ الأذية الشعوريَّة للوالدين مثلاً ، هي نوع عقوقٍ ، ينال بها العبد سخط الله بكبيرة من الكبائر ، " فتجدُ من الأولاد من لا يراعي حق والديه ، ولا يرعى مشاعرهما ، فتراه لا يأنف من ابكائهما وتحزينهما ونهرهما ، والتأفف والتضجر من أوامرهما ، والعبوس وتقطيب الجبين أمامهما " [1] .

لقد لفتَ المنهج النبويُّ الأنظار إلى خطورة إهمال المشاعر ، وأظهر نقلةً نوعيةً فريدةً في التعامل مع المشاعر الإنسانية ومراعاتها ، وإذا أردنا أن ندرك التميز الحقيقي في هذا الجانب ، فما علينا إلا أن نمعن النظر في صور الأذيَّة الشعوريَّة في المنهج الجاهليِّ ، والذي بني على تهميش المشاعر في كثير من المجالات . ولهذا رفض النبيُّ ﷺ كلَّ صور إهمال المشاعر أو الإساءة إليها على جميع المستويات ؛ فها هو ﷺ يقبِّل الحسن والحسين حفظاً لمشاعرهما ، ويستدرك على مقولة الأقرع : (إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا) بقوله : (مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ) [2] .

---

١ الحمد – محمد بن إبراهيم – **فقر المشاعر** – دار ابن خزيمة – ط١– ١٤٢٦هـ - ص (٩)

٢ رواه الشيخان – البخاري – كِتَابُ الأَدَبِ – بَابُ رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ – (ج٨،ص٧) مسلم – كتاب الْفَضَائِلِ – بَابُ رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ (ج٤،ص١٤٠٨) .

ويلفتُ المنهجُ النبويُّ الأنظار إلى خطورة التعامل مع المشاعر ، عندما يطلعنا على موقف ذلك المفلس الذي يخسر ثواب أعماله ، نتيجة إيذائه للنَّاس ، وظلمه لهم ؛ ولا شكَّ أنَّ من هذا التعدي ما يشمل التعدي الشعوري ، (.... وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ... [1]) ، ليضع المنهجُ النبويُّ التعامل الشعوريَّ تحت مظلَّة الحساب ، ممَّا يجعل المسلم الحريص على حفظ نفسه من جوانب القصور ، ومحبطات الأعمال ، يَجِدُّ في هذه الدنيا ، ليسلم له إيمانُه واعتقادُه .

١ رواه مسلم في صحيحه – كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ – بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ -(ج٤/ص١٩٩٧)

الفصل الثاني

مرتكزات المنهج النبوي في اعتبار المشاعر والتعامل معها وخصائصه

المبحث الأول : مرتكزات المنهج النبوي في اعتبار المشاعر والتعامل معها :

المطلب الأول : منهج القرآن الكريم المتميز في فهم المشاعر ومراعاتها .

المطلب الثاني : المنطلق العقدي .

المطلب الثالث : منهج الأخلاق الإسلامية المتكامل .

المطلب الرابع : منهج مراعاة المشاعر المستمد من قصص الأنبياء والسابقين .

المبحث الثاني : خصائص المنهج النبوي في اعتبار المشاعر والتعامل معها :

المطلب الأول : الكمال .

المطلب الثاني : الاحتساب في مراعاة المشاعر :

المطلب الثاني : التوازن بين الجوانب الروحية والعقلية والمادية .

المطلب الثالث : الشمول لجميع المشاعر الإنسانية وجميع المراحل .

المطلب الرابع : الدقة في اعتبار تنوع الأمزجة والنفسيات .

المطلب الخامس : الواقعية .

المبحث الأول

منطلقات المنهج النبوي في اعتبار المشاعر

والتعامل معها

المطلب الأول : منهج القرآن الكريم المتميز في فهم المشاعر ومراعاتها :

كتاب الله هو المنطلق الأساس لكلِّ جانبٍ تربويٍّ ، فقد جعل الله ﷻ فيه من الكمالات التي تدلُّ على مصدريّته ؛ فهو كلام خالق النَّفس وفاطرها ، قال تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[1] ، ولا يَصلُح أيُّ منهجٍ أرضيٍّ إذا لم يُبنَ على هذا المصدر العظيم .

من هذا المنطلق نجدُ عموم خطاب الله لجميع النواحي الإنسانيَّةِ ؛ العقليَّةِ والوجدانيةِ ، والتي تشمل الجانب الشعوريَّ ؛ الذي برز في كتاب الله بشكلٍ جليٍّ في كثير من الاتجاهات التي تهدف لتحقيق السواء النفسيِّ ، المبنيِّ على التوازن الشعوريِّ .

إنَّ أوّل ما يلفت نظر المتمعِّن في النصوص الشعوريّة في هذا الكتاب العظيم ، ما أطلقت عليه " الرصد الشعوريَّ " المتميز لمختلف المشاعر الانسانيَّة ، وفي المواقف المختلفة ، وأعني بالرصد الشعوريِّ : دقة القرآن في تصوير مشاعر

١ سورة الأنعام – آية (٣٨).

وانفعالات الأشخاص ، مما يلفت النظر دائما إلى أهميَّة هذا الجانب ، ومن الأمثلة على ذلك :

- رصد مشاعر الخوف : ﴿ فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[1] ، ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾[2] ، ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ ﴾[3] .
- رصد مشاعر الحزن : ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يَا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[4] ،﴿ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ ﴾[5].
- رصد مشاعر الفرح : ﴿ وَامْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ ﴾[6] ، ﴿ إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾[7] .

---

١ سورة القصص ، آية (٢١) .

٢ سورة الحجر – آية (٥٢) .

٣ سورة هود – آية (٧٠) .

٤ سورة يوسف – آية (٨٤) .

٥ سورة التوبة – آية (٩٢) .

٦ سورة هود – آية (٧١) .

٧ سورة الإنشقاق – آية (١٣) .

- رصد مشاعر الشفقة : ﴿ وَنادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ ﴾[1].

- رصد مشاعر اليأس : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[2] ، ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[3].

- رصد مشاعر القلق : ﴿ إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾[4].

يأتي هذا الرصد ليميِّز بين مشاعر المؤمنين والكافرين ؛ فأهل الإيمان تتوافق مشاعرهم ، وتتنامى باتجاه الخير والفضل ، لهذا يصفهم القرآن بالرحمة ولوم النَّفس وكظم الغيظ والحبِّ ، بينما تتجسد في نفوس المعاندين صور المشاعر السيئة ، بكل أبعادها كالحقد والكراهية والخوف وغيرها [5] .

---

١ سورة هود – آية (٤٥) .

٢ سورة يوسف – آية (١١٠) .

٣ سورة الزمر – آية (٥٣) .

٤ سورة الأحزاب – آية (١٠) .

٥ حصر محمد عثمان نجاتي في كتابه المميز (**القرآن وعلم النفس**) صفات المؤمنين في كتاب الله في نواح عدة : عقليَّة واجتماعيَّة وخُلقيَّة وتعبديَّة ، وذكر من أهمِّها (الصفات الانفعاليَّة) ومايز بينها وبين صفات المنافقين والكافرين ، أنظر : محمد نجاتي – القرآن وعلم النفس – دار الشروق – ط٧ – ٢٠٠١م – ص (٧١) .

إنَّ رصد المشاعر والعواطف في كتاب الله ، يمتاز بالدقَّة في الوصف ، والشمول لجميع المشاعر الإنسانيَّة ، يدلُّ على ذلك غزارة الألفاظ الشعوريَّة فيه ، فقد " يستعمل القرآن أحيانا كلمةً واحدة لوصف عاطفة ما ؛ كالهلع والشفقة ، وأحياناً يستعمل عدة كلمات ليصف عواطف غاية في التعبير العميق " [1] ، كوصفه تعالى لمشاعر أمِّ موسى حال إلقائه في اليمِّ ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

كما تميَّز كتاب الله برصد الحالة الشعوريَّة للكفار والمنافقين ، ليبين لنا أثر البعد عن منهج الله في اضطراب المشاعر ، وتوليد المشاعر السيئة ، قال تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾[3] ، فهذا تصويرٌ بليغ لمشاعر الخوف المتولدة من جُبن هؤلاء عند قدومهم للجهاد ، لما هم عليه من النفاق والكفر .

ومن هذا الرصد الشعوريِّ الفريد يمكننا أن نستنتج التطبيقات العملية لمراعاة المشاعر المختلفة ، والتي هي الثمرة المرجوة من تدبر آيات الله ، والتي تتعانق مع المنهج النبويِّ في مراعاة المشاعر ، لتشكل بمجموعها ما يمكن أن نطلق عليه المنهج الإسلاميِّ في إدارة المشاعر الإنسانيَّة .

---

١ المبيض – **الذكاء العاطفي والصحة العاطفية** – ص (١٦٠) .

٢ سورة القصص – آية (١٠) .

٣ سورة الأحزاب – آية (١٩) .

إنَّ كتاب الله اشتمل على أصول التّطبيقات النظريَّة والعمليَّة لمراعاة المشاعر الإنسانيَّة ، " فقد هذَّب القرآن الكريم وجدان المسلمين ، وميَّز بين الوجدان الإيجابيّ والسلبيّ ؛ فالحبُّ للدين ، والكراهية للكفر ، كلاهما استعداد وجدانيٌّ يحدد شعور الإنسان وسلوكه إزاء الإيمان والكفر ، قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ ﴾[1] "[2] .

وفي كتاب الله كثير من التشريعات التي تهدف إلى حفظ المشاعر وصيانتها عن الإيذاء ؛ فها هو التعليق البديع في سورة عبس على التعامل النبويّ مع ابن أم مكتوم الضرير ، ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَنْ جاءَهُ الأَعْمى ۞ وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى ﴾ إنَّ العُبوس الذي ظهر على محيًا النبيِّ ﷺ في هذه اللحظات ، وإن كان لا يلمحه ابن مكتوم بعينه ، إلاَّ أنَّه احتاج الى إشارة سريعة من أحكم الحاكمين ، ليلفت نظر النبيِّ ﷺ إلى أهميَّة التنبه للمشاعر في التعامل مع المواقف المختلفة .

ونلمح كذلك جملة من هذه التشريعات في مثل قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن

---

١ سورة الحجرات – آية (٧) .

٢ أبو مصطفى – علاء الدين - معالم **التربية الوجدانية في الكتاب والسنة** – رسالة ماجستير – كلية التربية – الجامعة الإسلامية – غزة – ٢٠٠٩م – ص (٣) .

يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [1] .

وخلاصة هذا المبحث جملةٌ من المرتكزات التي يقوم عليها المنهج الشعوري في كتاب الله وهي :

أولاً : دعوة القرآن الصريحة لمراعاة المشاعر الإنسانيَّة ، بجميع صورها ، ومع جميع الفئات : قال تعالى : ﴿ ... وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى ﴾ [3] ، وقال تعالى﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾ [5] .

ثانياً : نقْدُ القرآن الكريم للتعامل النبويِّ الشعوريِّ بشقيه الذاتيِّ والبينيِّ ؛ فقد تتبع النصُّ القرآني الجوانب الشعوريَّة في شخص النبيِّ ﷺ ، فتارة يدعو القرآن النبيَّ ﷺ لحسن الإدارة الشعورية الذاتيَّة ، كما في نهيه عن مشاعر الحزن على كفر المشركين المعاندين : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا ﴾[6]، وتارة

---

١ سورة الحجرات – آية (١١) .

٢ سورة الأحزاب – آية (٥٣) .

٣ سورة طه – آية (٤٤) .

٤ سورة آل عمران – آية (١٥٩) .

٥ سورة الضحى – آية (٩ ، ١٠) .

٦ سورة لقمان – آية (٢٣) .

يطالبه بحسن التعامل الشعوريّ مع الغير: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[1] ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾[2] ولا شكَّ أنَّ هذا النقد أثرى المنهج النبويَّ الشعوريَّ ، ودللَّ على ألوهية مصدره وكماله .

ثالثاً : رسم القرآن منهجاً فريداً لتوجيه المشاعر نحو تحقيق الأهداف ، لتتحول المشاعر من مصدر احتكاك يعيق الإنسان عن السير في سبيل الإصلاح ، إلى مصدر شحن متجدد للنَّفس الإنسانية .

ومن أبرز الأمثلة الدالة على ذلك ، ما نزل عقب معركة أحد ، حيث المشاعر السيِّئة المتراكمة التي خلَّفتها أحداث المعركة ، والتي إذا تجسدت في النفوس ، سيكون لها أثر سيِّء على الأفراد والجماعات ، فجاءت الآيات في سورة آل عمران لتعالج مشاعر الإحباط بجملة من المبادئ الحسنة ، التي أثمرت معالجةً سريعةً للموقف فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ... ﴾[3] ، ثم قال جلَّ ذكره ﴿ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ

---

١ سورة فصلت – آية (٣٤) .

٢ سورة آل عمران – آية (١٥٩) .

٣ سورة آل عمران – آية (١٣٩ ، ١٤٠) .

بما تَعْمَلُونَ ...﴾ [1] ، ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [2] ، ولك أن تدرك عِظم المعالجة الشعوريَّة من هذا الخطاب الربَّاني ، الذي أعطى ثماره السريعة ، لتتحول الكبوة إلى نقطة انطلاق نحو الإنجاز .

ويشبه هذا المعنى ما كان من مقدمات سبقت اللقاء الأول بين معسكر المسلمين والمشركين في بدر ، لقاءً أراده الله ﷻ مع قلَّة في العدد والعدة ، أضف الى هذا الحالة الشعوريَّة التي تجسدت في هذا الموقف ، فأثمرت مشاعر الخوف والقلق ، مزيجٌ من المشاعر المتضاربة ، التي تحتاج الى تصويب قبيل هذا اللقاء الحاسم ، فجاء العلاج الربانيُّ لهذا الاضطراب الشعوريّ : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [3] .

(أمَّا قصة النُّعاس الذي غشي المسلمين قبل المعركة فهي قصة حالةٍ نفسيَّةٍ عجيبة، لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتدبيره ... لقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلَّة في مواجهة خطرٍ لم يحسبوا حسابه ، ولم يتخذوا له عدته ... فإذا النُّعاس يغشاهم ، ثمَّ يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم ، والطمأنينة تفيض على قلوبهم) [4] .

١ سورة آل عمران – آية (١٥٣) .

٢ سورة آل عمران – آية (١٦٩) .

٣ سورة الأنفال – آية (١١) .

٤ سيد قطب – **في ظلال القرآن** – دار الشروق – بيروت – ط ١٧ – (ج ٣ / ص ١٤٨٤).

إنَّ التهيئة النفسيَّة الشعوريَّة في هذه اللحظات تلقي الضوء على أهمية مراعاة المشاعر الإنسانيَّة للوصول إلى الأمن النفسيِّ ، الذي سيثمر الإنجاز بتفوق ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [1].

المطلب الثاني : المنطلق العقدي :

يعدُّ الاعتقاد السليم المستمد من الكتاب والسنَّة من أهم المنطلقات التي يبنى عليها المنهج الشعوريُّ الإسلاميُّ عموماً ، والمنهج النبويُّ خصوصاً ؛ فالعقيدة الإسلامية تعطي تصورًا صحيحًا عن الكون والإنسان والحياة ، وهذا التصور هو الذي يشكِّل التوازن الشعوريَّ لدى الإنسان ، فيجعله في مأمن من الوساوس والشكوك حول وجوده ورزقه ومصيره ، وغايته في الحياة ، فيثمر ذلك شعوراً بالثبات النفسيِّ الداخلي ، والطمأنينة الروحيَّة ، وهذا يوصل للاستقرار الشعوريِّ لدى الإنسان ، وهو ما يمكن وصفه بالأمن النفسيِّ .

إنَّ الركن الأهمَّ في صرح الاعتقاد ، وهو توحيد الله في ربوبيته وألوهيته ، هو الذي يسلِّم العبد من غوائل الشرك الظاهر والخفيِّ ، ليحيى القلب قويًا في نيَّاته وإراداته ، وكلَّما سَلِمَ للعبد إيمانه ، كلَّما سلَّم نفسه من المشاعر السيِّئة المتولدة من ضعف الإيمان . وإذا تلمسنا جوانب القوة في التوحيد ، وجدنا أنَّ لجميع المشاعر الإنسانيَّة إرتباطاً وثيقاً بهذا الركن العظيم من جهات عدَّةٍ :

---

١ سورة الأنفال – آية (١٢) .

أولاً : **التوحيد يحقق الطمأنينة النفسيَّة المرجوة** : للوصول إلى استقرارٍ شعوريٍّ ، فهو من أعظم أسباب صحَّة القلب ، وجمعه على مقصد واحد ، كما قال ﷻ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[1] ، وإذا ضعف التوحيد في القلوب ، تُوعِّد بشتى صور المشاعر السيِّئة من الحزن والخوف والقلق والاضطراب ، كما توعَّد الله ﷻ أهل الشرك بقوله : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً ﴾[2] ، ثمَّ وصف ﷻ أهل الشرك بقوله : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً ﴾[3] ، قال ابن كثير : (أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا ، حتى تبقوا أشد منهم مخافة ، وأكثر تعوذا بهم)[4] ولا غرابة في ذلك ، لأنَّ الصرح النفسيَّ الوجدانيَّ في النفس الإنسانية يتيه بالشرك ، حتى لا يجد مستقرًا أبداً ، ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[5] .

---

١ سورة الرعد – آية (٢٨) .

٢ سورة آل عمران – آية (١٥١) .

٣ سورة الجن – آية (٦) .

٤ ابن كثير – اسماعيل بن عمر – **تفسير القرآن العظيم** – تحقيق سامي محمد سلامة - ط٢ – دار طيبة للنشر – ١٩٩٩ م – (ج٨ / ص٢٣٩) .

٥ سورة الحج – آية (٣١) .

ثانياً : **التوحيد يثمر علاقة شعورية بين الخالق والمخلوق** ، مبناها المشاعر الحسنة ، كالحبِّ والتعظيم ، فالمؤمن يحبُّ خالقه محبةً لا توازيها محبَّة ، وهذه المحبة هي التي تثمر محبَّة ما يحبُّه الله ، وبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال والإرادات ، مما يعني تنظيم العمليَّة الشعوريَّة باتجاه واحدٍ ، وبعدٌ عن الاضطراب والعشوائيَّة الشعوريَّة ؛ فمحبَّة الله هي المنطلق الشعوريُّ الذي يولِّد العاطفة ، وينظمها ، ويرسم لها طريقًا واضحًا ، فيتولد في قلب العبد الأنس بذكر الله ، والشوق للقائه ، والتلذذ بمناجاته .

قال ابن القيم : " ففي القلب شعثٌ ، لا يلمُّه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته ، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته ، وفيه قلقٌ لا يسكنه إلا الاجتماع عليه ، والفرار منه إليه ، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه " [1] .

ثم تتولَّد من مشاعر المحبَّة بين الخالق والمخلوق آثارٌ وجدانيَّة بين العبد وإخوانه ، من التعاطف الشعوريِّ ، الذي هو ثمرة الاعتقاد السليم في أسماء الله وصفاته ، يدلُّ على هذا المعنى اللطيف ما أخرجه البخاريُّ بسنده من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ

---

١ ابن القيم – محمد بن أبي بكر – **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** – تحقيق محمد المعتصم بالله – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٣ – ١٩٩٦م – (ج٣،ص١٥٦) .

النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ) [1] . ولك أن تتخيَّل معي الآثار الشعوريَّة المتولدة من محبَّة الله للعبد ، على الصعيد الذاتيِّ والبيئيِّ ، إنَّه التوازن الشعوريُّ بأجمل صوره ، لتكون هذه المشاعر من أسباب تماسك المجتمعات ونجاحها .

" حلاوة الإيمان " لفظ يعبِّر بدقة عن ذلك التوازن الشعوريِّ الذي ينعم به المؤمن كما قال ﷺ : (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) [2] ، وهذه الثلاثة المذكورة في الحديث ، هي جوانب شعوريَّة من الحبِّ والكره ، تبيِّن ما يتولَّد عن الاعتقاد السليم من روابط شعوريَّة عظيمة .

كما أنَّ الاعتقاد الصحيح يقود صاحبه إلى التنعم بالقلب السليم ؛ السالم من الشهوات والشبهات والإرادات الفاسدة ، فالقلب مضغةٌ ، بصلاحها يصلح الجسد كلُّه ، وهو مستودع العواطف والمشاعر ، إنَّ الإيمان يحرر القلب من المشاعر السيئة جميعها

١ رواه الشيخان – البخاري - كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ - بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ – (ج٤،ص١١١) ، مسلم – كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ – بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ – (ج٤،ص٢٠٣٠) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الإِيمَانِ - بَابُ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ – (ج١،ص١٢) ، مسلم – كِتَابُ الْإِيمَانُ – بَابُ بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصَفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ – (ج١،ص٦٦).

، فالمؤمن اذا غرَّته نفسه ؛ فأصاب حدًا من حدود الله ، وأثمر في قلبه مشاعر الحزن والخوف والقلق ؛ فإنَّ إيمانه بصفات الله الدالَّة على المغفرة والتوبة والرحمة ، تعالج مشاعره ، وتضمِّد جراحه ، وتنمي في قلبه الإصلاح والسعي في تعبد الله بمثل هذه الصفات .

ومن صور ارتباط الجانب الشعوريِّ بالجانب العقديِّ والإيمانيِّ : أن الإيمان ينظِّم ويحدد ويضبط الشُعور الواحد في درجته ، حتى لا يطغى على قلب العبد ، فيكون أسيراً له ؛ فالخوف من الله – على سبيل المثال – من المشاعر الإنسانيَّة التي رغَّب الشرع في تنميته في النفوس في كثير من النصوص فـ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : الإِمَامُ العَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، **وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ** ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) [1] .

إلاَّ أنَّ الخوف المرغب فيه هو الخوف الذي يمنع العبد من الوقوع بالمعصية فحسب ، فإذا زاد الخوف وغلب على حال العبد كان مذمومًا ، لإنَّه يقود صاحبه إلى

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - أَبْوَابُ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ وَالإِمَامَةِ - بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ– (ج١،ص١٣٣) ، مسلم – كتاب الزكاة - بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ – (ج٢،ص٧١٥)

القنوط والإياس من رحمة الله ، قال شارح العقيدة الطحاوية في التعليق على قول الطحاوي : (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام ، وسبيلُ الحقِّ بينهما لأهل القبلة) [1] قال الشارح ابن أبي العز : " يجب أن يكون العبد خائفًا راجيًا ، فإنَّ الخوف المحمود الصادق : ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط " [2] .

ولذا جاءت النصوص تجمع بين الخوف والرجاء كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[3] ، فالمؤمن يحسن الظن بالله فلا ييئس ولا يقنط من رحمته ؛ فاليأس قرين الكفر ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[4] .

وهكذا ظهر لنا أثر الركن الأوّل من أركان الإيمان – وهو الإيمان بالله – في الضبط الشعوري ، ويمكننا أن نسير مع بقيَّة أركان الإيمان ، ليزداد يقيننا بأثر الاعتقاد السليم على المشاعر الإنسانيَّة .

---

١ ابن أبي العز – محمد بن علاء – **شرح العقيدة الطحاوية** – ط١ - دار السلام للطباعة والنشر – ٢٠٠٥م – ص(٣٣٠) .

٢ المرجع السابق – ص (٣٣٠) .

٣ سورة الأنبياء – آية (٩٠) .

٤ سورة يوسف – آية (٨٧) .

ومن هنا ندرك أن المنهج النبويَّ للتعامل مع المشاعر قد بني على أساس عقديٍّ متين ، يثمر الأعمال القلبية التي تغذي القلب بمادة الإيمان والطاعة ، وأن ترك هذه المبادئ يورث كلَّ شعور سيِّء ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

المطلب الثالث : منهج الأخلاق الإسلاميّة المتكامل :

من المنطلقات الهامة التي يبنى عليها المنهج النبويُّ في التعامل مع المشاعر هو المنهج الخلقيُّ المتكامل ، المستمد من نصوص الوحيين ؛ فقد وصف الله نبيه ﷺ في كتابه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] ، وذكر أنَّ من أسباب بعثته التزكية الخلقيَّة فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[3] . وكانت سيرته ﷺ تطبيقًا عمليًا لكل خُلُق حسنٍ ، فالإسلام بمصدريه الرئيسيين : القرآن والسنَّة ، رسم الخطوط العريضة للأخلاق التي ينبغي التحلي بها ، سواءً في مرحلة التنظير أو التطبيق .

" وتعتبر الأخلاق صورة المجتمع ، لأنَّها الضابط والمعيار والموقف الأساسي للسلوك الفرديِّ والاجتماعيِّ ، أو القواعد الأساسية الممنوحة من الله للإنسان ،

---

١ سورة الأنعام – آية (١٢٥) .

٢ سورة القلم – آية (٤) .

٣ سورة الجمعة – آية (٢) .

لتنظيم حياته ، وهي تنتظم فيما يسمى بالبناء الخُلقيّ أو النظام الخُلقيّ " [1] .

ولتوضيح مفهوم الأخلاق بصورته الجلية ، مع بيان ارتباطه بالجانب الشعوريّ ، نقف مع بعض التعريفات المختارة له :

ذهب الجاحظ إلى (أنَّ الخُلق هو حال النَّفس ، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار ، والخُلق قد يكون في بعض الناس غريزةً وطبعًا ، وفي بعضهم لا يكون إلّا بالرياضة والاجتهاد ، كالسخاء : قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ، وكالشجاعة والحلم والعفَّة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة) [2] .

وقال الجرجانيُّ : (عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة ، سميت الهيئة : خلقًا حسنًا ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة : خلقًا سيئًا) [3] .

---

١ ابن حميد – صالح بن عبد الله وآخرون – **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم** – دار الوسيلة للنشر – جدة – ط٤ – (ج١ – ص٥١) .

٢ الجاحظ - عمرو بن بحر - **تهذيب الأخلاق** – دار الصحابة للتراث – ط ١ – ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م – ص (١٢) .

٣ الجرجاني – علي بن محمد – **كتاب التعريفات** – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٣ هـ – ص (١٠٤) .

ومعنى أنَّ الأخلاق هيئة راسخة في النَّفس ، أنَّها تبنى على جانب نفسيٍّ وجدانيٍّ في ذات الشخص ، مما يدلنا على أن الجانب الشعوريَّ الذاتيَّ له ارتباط وثيق بالبناء الخُلقيِّ للإنسان فـ (لا شيء في حياة الإنسان يخرج من دائرة الأخلاق ، لا سلوكه ، ولا فكره ، ولا مشاعره ، ولا أيَّ لون من ألوان نشاطه ؛ بل كل نشاطه مرتبط بالأخلاق ، وقائم على قاعدة أخلاقيَّة نابعةٍ من الميثاق الذي يقرُّ فيه الإنسان بعبوديته لله)[1] ، " لهذا كانت الأخلاق الإسلاميَّة مركَّزة على الحياة الباطنة في الدرجة الأولى ؛ لأنَّها إذا صلحت واستقامت صلحت الأخرى واستقامت ، وصلاح هذه وتلك واستقامتها هما الطريق إلى السعادة الإنسانيَّة ، ولهذا قال الرسول ﷺ (أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)[2] "[3] ، فالأخلاق الحسنة تثمر مشاعر حسنة ، وكذلك الأخلاق السيئة تثمر مشاعر السوء ، ولا يكون العبد صاحب خلقٌ حسنٍ ، إلا اذا أحسن إدارة مشاعره الذاتيَّة ، ليحقق الإحسان بصوره المختلفة .

---

١ الناصر – محمد حامد – **تربية الاطفال في الإسلام** – مكتبة السوادي – جدة – ١٤١٢هـ – ص (١٤) .

٢ رواه الشيخان – البخاري في صحيحه – كِتَابُ الإِيمَانِ – بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ – (ج١/ ص٢٠) ، مسلم – كتاب المساقاة - بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ – (ج٣، ص١٢١٣)

٣ مقداد – محمد علي - **علم الأخلاق الإسلامية** - دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض – ط٢ – ٢٠٠٤م – ص (٨٩) .

وقد جاء المنهج النبويُّ بتصور متكاملٍ حول الأخلاق ، فرفع من قيمة الخُلق ، وربطه باعتقاد المسلم ، ووسَّع دائرته ليشمل التعامل الشعوريَّ والوجدانيَّ . ومن صور تميُّز السنَّة في الربط بين الخُلق الحسن ومراعاة المشاعر :

أولاً : أنَّ السنَّة رتبت السَّواء الشعوريَّ الذاتيَّ على حسن الخُلق ، والطمأنينة النفسيَّة نتيجة تطبيق ما أوجبه الله على العباد ، مما فيه صلاح حياتهم وأخراهم .

ثانياً : أنَّ الخُلُق الحسن يشكِّل قاعدةً رئيسةً للتعامل السليم مع مشاعر النَّاس ، وتغذية الجانب النفسيِّ لهم ، والبعد عن أيِّ تجاوز يؤدي إلى الإيذاء الشعوريِّ . فكلَّما حسُن خلق الإنسان ، كلَّما كَمُلَ الجانب الشعوريُّ عنده .

والنظام الأخلاقيُّ في الإسلام يقوم على التكامل الذي يحقق السواء النفسيَّ ، بمعنى أنَّ العبد كلما تحلَّى بالأخلاق الممدوحة ، كلما ازداد سواؤه الشعوريُّ الذاتيُّ ، وكلَّما تكالبت عليه الأخلاق المذمومة ، كلَّما ازداد اضطراب نفسه، وضيق صدره ، ممَّا يجعلنا نجزم بأنَّ جميع الأخلاق الإسلامية تغذي الجانب الشعوريَّ الذاتيَّ والبينيَّ نحو التميز .

كما أن مراعاة مشاعر الغير هدفٌ من أهداف النظام الخُلقي في الإسلام ، وهو ثمرةٌ من ثماره ، وهو معيارٌ من معاييره ، بمعنى أنَّ الخُلق يعلو ويسمو كلَّما كان له أثرٌ طيِّب على المشاعر ، ولا يُقبَل الخُلق بأيِّ حالٍ من الأحوالِ ، إذا اشتمل على إيذاءٍ نفسيٍّ شعوريٍّ .

ولك أن تتلمس معي النصوص التي تثني على جملة من الأخلاق لإنها تراعي المشاعر الإنسانيَّة تارةً ، أو تعالج الجانب الشعوريَّ للإنسان تارةً أخرى ، وهذا يدلُّ على أثر الجانب الشعوريِّ كمعيارٍ مهمٍّ في الحُكم على الأعمال قبولاً وردًا ، وهو ما يمكننا أن نطلق عليه : " المقياس الشعوريَّ في الحُكم على الأخلاق " .

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ)[1].

المطلب الرابع : منهج مراعاة المشاعر المستمد من قصص الأنبياء والسابقين :

اشتمل الكتاب والسُّنَّة على كثير من القصص التي تمثِّل أحوال الأمم الماضية ، والتي لا تنفصل أهدافها عن أهداف الرسالة الإسلاميَّة ، من تثبيت أسس العقيدة ، وتعليم المسلمين فضائل الأخلاق ، وتقديم القدوات العمليَّة التي تنقل هذه المبادئ من طور التنظير إلى التطبيق ، والذي يظهر من خلال شخوص هذه القصص ، كما يظهر ذلك جليًا في قصص الأنبياء وما عالجوه من أقوامهم .

إنَّ المتمعِّن في أسس القصة في الكتاب والسنة يدرك أنَّها تقوم على أساسين هما : " الإقناع العقليُّ والتأثير الوجدانيُّ ؛ لتمكين حقائق الإيمان والتوحيد والبعث في عقل

---

١ رواه الشيخان واللفظ للبخاريِّ – البخاريُّ – كِتَابُ الأَدَبِ – بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ – (ج٨،ص١٩) ، مسلم – كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ – بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ – (ج٤،ص١٩٨٣) .

وقلب المتلقي ، وذلك من خلال أحداث بعض القصص ، وما فيها من حوارٍ هادف مقنع " [1] .

ويظهر الجانب الشعوريُّ من خلال هذه القصص في عدة جوانب :

أولها : **أن للقصةِ أهدافًا وجدانيَّةً تقوم على تنمية الجانب الشعوريِّ** ، ومعالجة المشاعر في النفس الإنسانيَّة ، وقد صرَّح كتاب الله بهذا الأمر فقال ﷻ : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ، ومن هنا ندرك سبب توافر القصص في القرآن المكي ، مقارنةً بالمدنيِّ منه ، وذلك لمعالجة المشاعر المترتبة على الأذيَّة التي تعرض لها النبيُّ ﷺ وأصحابه في هذه المرحلة .

فعلى سبيل المثال : تُعدُّ سورة يوسف من السور المكيَّة التي بنيت على قصة نبيٍّ من الأنبياء ، تَعرَّض لكثيرٍ من الابتلاء ، وهي مثالٌ للقصة المتكاملة في سورة واحدةٍ ، إنَّ الجانب الشعوريَّ يظهر بارزًا في هذه السورة ، في جميع مراحلها ، وإذا تتبعنا تاريخ نزولها ، نجد أنَّ نزولها واكب فترة من أشد الفترات التي تعرضت لها الرسالة المحمدية .

---

١ زغل – محمد حسين – **شخصية نوح عليه السلام في القرآن الكريم** – رسالة ماجستير – جامعة النجاح – ٢٠٠٨ م– ص (٩) .

٢ سورة هود – آية (١٢٠) .

يقول سيد قطب : " وعلى هذا فالسورة واحدة من السور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة ، وفي حياة الرسول ﷺ والعُصبةُ المسلمةُ معه في مكّة .... "[1].

وممّا يدلُّ على عمق الجانب الشعوريِّ الذي بنيت عليه القصة في الكتاب والسنّة ، بروز جانب الترغيب والترهيب المبنيين على ما جُبل عليه الإنسان من مشاعر الخوف والرجاء ، واللذان لا يكمُل البناء الشعوريُّ في النفس الإنسانيَّة إلا بتحقيق التوازن بينهما بصورة سليمة .

يقول محمد الزير : " ... وفي القصَّة النبويَّة كانت التربية بالترهيب قائمة على أساس التخويف من الله ﷻ ، ومن غضبه وسخطه ، والتخويف من عذابه ونقمته ، وقد كثرت النصوص القصصية التي تَعرض صورًا متعددةً لألوان العذاب المختلفة ، في مشاهد ومواقف تثير الرهبة ، وتمسُّ مكامن الخوف والوجل ... "[2] .

" من أهم النتائج التي خرج بها كاتب رسالة " القصص في الحديث النبوي " أنَّ موضوعات القصَّة النبويَّة من النوع الذي يثير في السامع والقارئ كثيرًا من

١ سيد قطب ــ **في ظلال القرآن** ــ (ج٤ ، ص ١٩٤٩)

٢ الزير ــ **القصص في الحديث النبوي** ــ (ص٤٤٩ ــ٤٥٠) .

الانفعالات والعواطف ، وذلك بسبب أنَّ فكرة الموضوع لها أثر بارز في طريقة الأداء القصصي "[1] .

ثانيها : دقة تصوير المشاعر الإنسانية في القصص القرآني والنَّبوي :

" تُعرض العواطف والانفعالات عرضًا شاخصًا ، تبرز من خلال ملامح الشخصيات بمختلف أنواعها من عواطف الغضب والكره والحبِّ والحزن والقلق ... إلخ ... حتى إنَّ المتلقي يحسُّ بكلِّ خالجةٍ تعتري شخوص القصَّة ، بفضل ما تؤدِّيه الصورةُ من دقَّةٍ في الوصف ، وروعةٍ في التعبير "[2] .

" ويتجلى هذا التصوير في إبراز هذه العواطف وتلك الانفعالات من خلال سلوك الشخصيَّة ومواقفها من الأشياء ، ومواجهتها للأحداث ، بحيث يكشف لنا موقف الشخصيَّة وتصرفها عما يدور بداخلها من مشاعر وانفعالات "[3] .

ومن أمثلة تصوير المشاعر الداخلية في القصة قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى ۞ قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلى [4] ﴾ ، ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قالَ لَهُ مُوسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾[1] .

---

١ الناصر – محمد حامد – خولة عبد القادر درويش – **تربية الاطفال في الإسلام** – مكتبة السوادي – جدة – ١٤١٢هـ - (ص ٢٢) .

٢ نصيرة – بلحسيني – **الصورة الفنية في القصة القرآنية** – رسالة ماجستير – جامعة أبي بكر بلقايد – ٢٠٠٦ م– (ص ١١٤) .

٣ الزير– **القصص في الحديث النبوي** – ص (١٧٣) .

٤ سورة طه – آية (٦٧ ، ٦٨) .

ولعلَّ سائلاً يقول : ما فائدة هذا الأمر على مشاعر المسلم ؟ (إنَّ النفس الإنسانيَّة بطبيعتها تهفو إلى هذا اللون من الكلام ، فتجدُ في عرضه مادة تشبع عواطفها ، وتحرِّك مكامن الشعور فيها ، فلا تملُّ سماعه ، ولا يشرد بها التفكير ساعة عرضه ....)[٢] ، وكل ذلك يقود إلى تنمية شعوريَّة تغذي مشاعره نحو الثبات .

ثالثاً : **تؤصل القصة في الكتاب والسنة إلى قواعد مراعاة المشاعر** : لترسم هذا الأصل عمليًا من خلال الموقف الشعوريّ ، وتحذِّر من الأذيَّة الشعوريَّةِ بشتى صورها وأنواعها ، فمن ذلك ما جاء في قصص الأنبياء ، وسيرتهم في دعوتهم لأقوامهم ، ليظهر التعامل السليم من الأنبياء لمشاعر المدعويين ، ويظهر ذلك في أسلوب خطابهم ودعوتهم : ﴿ وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾[٣] ، فهذا خطاب دعويٌّ قائم على أصول شعوريَّة تظهر في تصريح شعيب عليه السلام بالمشاعر الحسنة التي يحملها لقومه ، من حب الخير لهم ، والخوف عليهم من عذاب الله .

---

١ سورة القصص – آية (١٨) .

٢ الحدري – خليل عبد الله – **التربية الوقائيَّة في الإسلام** – معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي – مكة المكرمة – ١٩٩٦م – ص (٢٦٠) .

٣ سورة هود – آية (٨٤) .

كما تضرب القصة كثيرًا من الصور التي ترشد إلى حسن التعامل مع المشاعر ففي قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار (عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ ، قَالَ : فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلاَ مَالًا ، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا ، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ ، فَاسْتَيْقَظَا ، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ...)[1].

وفي رواية أخرى : (... فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ ، قَالَ : فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا ، حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ...) [2] .

١ رواه البخاري في صحيحه – كِتَابُ الإِجَارَةِ – بَابُ مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ ، فَاسْتَفْضَلَ – (ج٣ ، ص٩١) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ البُيُوعِ - بَابُ إِذَا اشْتَرَى شَيْئًا لِغَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَرَضِيَ – (ج٣ ، ص٧٩) .

يجسِّدُ هذا الشطر من القصة تعاملاً شعوريًّا فريدًا مع الوالدين ، وتوازنًا في تقديم الأصول على الفروع ، صوَّر البيانُ النبويُّ هذه اللحظات الشعوريَّة الصَّعبة على هذا الإنسان ، فهو بين مشاعر الشفقة على أبنائه الذين يبكون من الجوع ، وحرقته على أبويه تقديرًا لهم ، ورغبةً في إنزالهم منزلتهم من التكريم ... إنَّ الضبط الشعوريَّ السليم الذي قاد لمثل هذا التصرف ، يشكِّل منعطفًا مهمّاً في ترسيخ منهج ضبط المشاعر الذاتيَّة من خلال هذه القصَّة .

المبحث الثاني

خصائص المنهج النبويّ في اعتبار المشاعر والتعامل معها

ظهر لنا مما سبق أنّ المنهج النبويّ في مراعاة المشاعر الإنسانيّة قد بني على مرتكزات ثابتة من نصوص كتاب الله ، والعقيدة الصحيحة ، التي تشكّل الأساس الذي يثمر كلّ سلوك طيّب ، وخُلُقٍ حسنٍ ، أضف إلى ذلك البُعد الخلقيّ الكريم ، الذي بُنيَ عليه صرح الدعوة النبويّة منذ بعثة النبيّ ﷺ ، وإذا أدركنا هذه الأبعاد جيدًا سهل علينا استخراج جملة من أهمّ خصائص هذا المنهج الشعوريّ .

المطلب الأول : الكمال والشمول :

يمتاز المنهجُ الشعوريُّ النبويُّ بالكمال ؛ فلا يعتريه نقص من أيِّ جانب من جوانبه النظرية والتطبيقيّة ، لأنَّ مصدره ربانيٌّ من خالق النَّفس الانسانيَّة ، وركَّب فيها هذه المشاعر ، التي تحتاج إلى دقَّة في التعامل ، فهو جزءٌ من الشريعة التي امتن الله على هذه الامة بكمالها : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾[1] .

إننا نقصد بكمال هذا المنهج : سلامته من النَّقص والجهل والظلم والهوى ، الذي يعتري المناهج الأرضيّة ، التي تنكبت طريق الرُّسل ، واتباع الرِّسالات السماويّة ، وعاندت سُبل الإصلاح ، التي حمل لواءها الأنبياء والمرسلون ، كما أنّها

١ سورة المائدة – آية (٣) .

- أي المناهج الأرضيَّة - قاصرةٌ عن تتبع جميع الجزئيات في النَّفس الإنسانيَّة ، ومن أهمِّها الجانب الشعوري الخفي ، وأنَّى لهذه السبل أن تداني السبيل الشرعيَّ المؤيَّد بالوحي الإلهي .

ويظهر هذا الكمال بصورة جلية عند تتبع النظريات النفسيَّة الغربيَّة ، والتي يمثلها علم النَّفس المعاصر ، الذي درس الشعور الإنسانيَّ تجريبيًا ، بعيدًا عن هدي الوحي الربَّانيِّ ، لترى الانحراف الكبير في هذه الدراسات عن جادة الصواب .

ومن أهم مقتضيات هذا المحور : وصول الإنسان للكمال النسبيِّ في إدارة مشاعره ؛ الأمر الذي لا يمكن البتة بغير الإدراك الذاتيِّ للمشاعر ، وانعكاس ذلك على مراعاة مشاعر الآخرين ، وهذا الكمال الخُلقيُّ الدقيقُ ، هو ثمرةُ كمال هذا المنهج ، والذي يتضح بأبهى صوره في شخصية النبيِّ ﷺ والتي هي المحور الأهم ؛ فهو القدوة الأولى في مراعاة المشاعر ، لما بلغه من كمال في إدارة المشاعر بجميع صورها .

ويمكننا أن نلحظ الكمال في هذا المنهج من خلال جملة من الخصائص ، من أهمها شمول هذا المنهج لجميع التطبيقات الشعوريَّة ، على المستوى الفرديِّ والجماعيِّ ، كما سيظهر لنا في المحور التالي :

الشمول :

تعدُّ خاصيةُ الشمول من أهمِّ خصائص رسالة النبيِّ ﷺ ، ومن أبرز الدلالات على صدق مبعثه ، وسلامة منهجه ، ونقصدُ بها استغراق الأوامر والنواهي

لجميع الجوانب التي يحتاجها الإنسان في حياته الاجتماعية ، والسياسيَّة ، والاقتصاديَّة ، وغيرها ، إذ أنَّ الدين الذي هُيِّء ليقود العالم إلى برِّ الأمانِ ، لا بُدَّ أن يحظى بمثل هذه الشمولية [1].

ويحمل الجانب التربويُّ والخلقيُّ نصيبًا وافرًا من هذه السمة ، فالمتلمس لهذه الخصيصة يجدها بارزة في كلِّ منحى ، وفي كل اتجاهٍ ، ومن ذلك المنهج الشعوريُّ المستمد من التعامل النبويِّ مع المشاعر ، والذي أثبت بما لا يدع مكانًا للشك – كما سنرى – شمولية برزت بصفة واضحة في كثيرٍ من الاتجاهات ، ومن أهمها :

أولاً : شموليَّة المنهج النبويِّ لجميع المشاعر الإنسانيَّة : من حيث وصفها ، وبيان حقيقتها ، وبيان اتجاهات التعامل معها ، وكيفية توجيهها نحو النفع ، وطرق ضبطها ، وتوجيهها نحو الاحتساب الشرعي .

فعلى سبيل المثال : نجد أنَّ الشرع حدَّد مفهوم الخوف ، فحرَّر المسلم من الخوف من المخلوقين ، وربطه بالخوف من الله ، وضبط مقدار الخوف بضابطٍ محدَّد ، يمنعه من الوقوع في المعاصي ، وشرع له من التشريعات التي تبعد الجزع عنه ، وتبدِّله طمأنينة الفؤاد ، ولك أن تقيس كلَّ شعور بهذا المقياس [2] .

---

١ انظر : رسالة **الثبات والشمول في الشريعة الاسلامية** – عابد بن محمد السفياني – رسالة علمية (دكتوراه) – جامعة أم القرى – ١٤٠٧ هـ - ص (١٠٦) .

٢ انظر : مبحث تحليل المواقف الشعورية الذاتية – ص (٢١٢) .

ثانياً : شموليةُ المنهج النبويِّ لجميع المراحل الإنسانية التي يعايشها الفرد : فنرى تميُّز التعامل النبويِّ مع مشاعر الأطفال ، والكبار ، والرِّجال ، والنِّساء والعالم والجاهل .... الخ ، ممَّا يدلُّ على أنَّ هذا المنهج يوافق هذا الشمول ، ولا يختزله في بعض جوانبه ، أو يمارسه على بعض الفئات دون غيرهم .

ثالثاً : شموليَّة المنهج النبويِّ الشعوريِّ للاتجاهين الرئيسين في الجانب الشعوري وهما : ضبط المشاعر الذاتية ، وضبط مشاعر الآخر ، وإن كان هذان الاتجاهان هما محور الدراسات الشعوريَّة بشكلٍ عامٍّ ، إلاَّ أنَّ المنهج النبويَّ حقق الشموليَّة المرجوة التي ضبطت مشاعر الإنسان الخاصة ، وجعلت من هذا الأصل منطلقًا للنجاح في إدارة المشاعر البينية .

رابعًا : شمولية المنهج النبويِّ الشعوريِّ للجانبين الوقائيِّ والعلاجيِّ: فنرى التشريعات النبويَّة الشعوريَّة تهدف ابتداءً إلى وقاية مشاعر الإنسان من الإيذاء بأيِّ صورة من الصور ، ثمَّ هي تؤصل منهجًا فريدًا في معالجة الأذيَّة الشعوريَّة ، وهذا المنحى يعطي السنَّة النبويَّة سبقًا مهمًا في شموليَّة التعامل مع المشاعر ، كما تظهر الشموليَّة بأجلى صورها في التنوع الواسع في التطبيقات الشعوريَّة في المواقف المختلفة .

إنَّ هذا الشمول يعطي كثيرًا من الدلالات الهامة ، التي ينبغي التنبه لها ، من أهمها : استقلال هذا المنهج عن غيره من المناهج الارضيَّة ، واستغناؤه عن كثيرٍ

من نظريات وفرضيات علم النَّفس الغربيِّ ، الذي لا يزال يرفض أن يكون للدين أثرٌ في الصحة النفسيَّة للإنسان .

المطلب الثاني : الاحتساب في مراعاة المشاعر :

ممَّا يميِّز المنهج الشعوريَّ النبويَّ أنَّه بني على الاحتساب في أصوله النظريَّة والتّطبيقية ، ليبلغ بالعبد المؤمن مبلغ التعبُّد في ضبط مشاعره الذاتيَّة ، ويسير معه في تحقيق الأجر عند تعامله مع غيره شعوريًا .

وحتى ندرك بوضوح مفهوم الاحتساب في الجانب الشعوريِّ ، نقف أوّلاً مع مفهوم الاحتساب لغةً واصطلاحًا :

يقول ابن فارس – وهو يبين معاني الجذر " حَسَبَ " – " فالأول : العدُّ ، تقول : حسبتُ الشيء أحسبه حسبًا وحسبانًا ... ومن هذا الباب قولهم : احتَسَبَ فلانٌ ابنه ، إذا مات كبيرًا ، وذلك أن يعدَّه في الأشياء المذخورة له عند الله تعالى . والحسْبَة : احتسابك الأجر. وفلان حسن الحِسْبَة بالأمر، إذا كان حسن التدبير" [1] .

إنَّ المعنى اللغويَّ للفظ الاحتساب يدلُّ على عَدِّ الشيء وادخاره ، وعلى هذا الأصل بُني المعنى الاصطلاحيّ الذي هو قصدُ وجه الله بأيِّ عمل مشروعٍ ، بهدف الحصول على الأجر يوم القيامة .

ومن هنا فإننا نقصد بمفهوم الإحتساب الشعوريّ : أنَّ المنهج النبويَّ الشعوريَّ سعى لربط المشاعر الإنسانية بجانب الأجر الأخرويِّ ، فدعى المسلم لتنمية المشاعر

---

١ ابن فارس – **معجم مقاييس اللغة** – (ج٢ ، ص٦٠) .

الحسنة ، وضبط المشاعر في جميع الأوقات ، والتغلب على المشاعر السيئة ، ورتّب على التطبيقات الشعوريّة أجورًا عظيمة .

قال ﷻ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[1] .

في الآيات السابقة يبين ﷻ أنَّ الإنسان في هذه الدنيا تعرض له جملة من الابتلاءات ، التي تستوجب الصبر ، ثمَّ أشار تعالى لصفةٍ مهمةٍ من صفات هؤلاء ، وهو حسن إدارة المشاعر الذاتيّة وقت المصيبةِ ، والتي تثمر الاسترجاع والصبر ، ثمَّ بيَّن تعالى الأجر المترتب على ذلك ليكون حافزاً للعبد للوصول إلى هذا المقصود . وهذا يدلُّ على أنَّ الاحتساب يورث طمأنينة القلب ، وذلك لما يعتاده من النظر إلى الجزاء الأخرويّ ، وتدريب النَّفس على ضبط الانفعالات المتعددة .

ومن المواقف النبويّة التي تتضمن نقداً لبعض المواقف في التعامل مع المصيبة ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : (مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي ، قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي

١ سورة البقرة – أية (١٥٧ – ١٥٩) .

، وَلَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى)[1] .

يمثل هذا الموقف نقدًا نبويًا مباشرًا للتعامل مع المصيبة ، فقد لمس النبيُّ ﷺ من المرأة نوعًا من الجزع ، فأمرها بالصبر ، ومعنى ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ عاب عليها الجزع ، وهو شعور زائد عن الحزن الطبيعيِّ ، يولِّد التسخط على أقدار الله ، ولمَّا جاءت هذه المرأة للنبيِّ ﷺ معتذرةً عمَّا بدر منها ، بيَّن لها ﷺ أنَّ الصبر الحقيقيَّ الذي يحتسبه العبد ، ويؤجر عليه ، هو ما يكون عند الصدمة الأولى ؛ أي لحظة وقوع المصيبة ، وهذا فيه دليلٌ على أهمية الاحتساب عند المصيبة ، وما له من أثر عظيم على الضبط الشعوريِّ الذاتيِّ . وهكذا فإنَّ الاحتساب في المكاره يدفع الحزن ، ويجلب السرور ، ويحقق تمام عبودية المسلم لخالقه في كلِّ وقت .

ومما يؤيد هذا المعنى حديث " أَنَسٍ ﷺ قال : (أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلاَمٌ ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي ، فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ ، فَقَالَ: « وَيْحَكِ ، أَوَهَبِلْتِ ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ)[2]

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الجَنَائِزِ – بَابُ زِيَارَةِ القُبُورِ – (ج٢،ص٧٩) ، مسلم – مسلم – كتاب الجنائز – بَابٌ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ – (ج٢،ص٦٣٧).

٢رواه البخاريُّ في صحيحه – كِتَابُ المَغَازِي - بَابُ فَضْلِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا – (ج٥ / ص٧٧).

تنبه معي إلى قول أمّ حارثة " فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ " ، لتدرك أثر الاحتساب في ضبط المشاعر والانفعالات ، فقولها : " وإن تك الأخرى ترى ما أصنع " أي من كثرة البكاء ، فلما جاءت البشرى من النبيّ ﷺ لها بأنَّ حارثة في الفردوس ، كان دافعًا لتبدُّل المشاعر من الحزن والقلق والخوف على مصير هذا الشاب ، إلى الصبر وربما الرضا والفرح بالجزاء الأخروي المترتب على الشهادة .

وفي السنَّة النبويَّة نجد كثيرًا من الروايات التي تساند هذا الفهم ، وتدعو لبناء الضبط الشعوريّ على أصلٍ ثابتٍ من احتساب الأجر ؛ فمن ذلك : (عنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ : أَنَّ ابْنَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَعْدٌ وَأُبَيٌّ ، نَحْسِبُ : أَنَّ ابْنَتِي قَدْ حُضِرَتْ فَاشْهَدْنَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا السَّلاَمَ ، وَيَقُولُ : إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى ، وَكُلٌّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّى ، فَلْتَحْتَسِبْ وَلْتَصْبِرْ ، فَأَرْسَلَتْ تُقْسِمُ عَلَيْهِ ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقُمْنَا ، فَرُفِعَ الصَّبِيُّ فِي حَجْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَنَفْسُهُ جُئِّثُ [1] ، فَفَاضَتْ عَيْنَا النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : هَذِهِ رَحْمَةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَلاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الرُّحَمَاءَ) [2] .

---

١ (يقال جئث الرجل ، وجئف ، وجثّ : إذا فزع) ابن الأثير – **النهاية في غريب الأثر والرواية** – مادة (جاث) – (ج١ – ص٢٣٢) .

٢ رواه الشيخان – البخاري – كِتَابُ المَرْضَى – بَابُ عِيَادَةِ الصِّبْيَانِ – (ج٧ ، ص١١٧) ، مسلم – كتاب الجنائز – بَابُ الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ – (ج٢ ، ص٦٣٥) .

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: لَا يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبَهُ ، إِلَّا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ : أَوِ اثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَوِ اثْنَيْنِ).[1]

المطلب الثالث : التوازن بين الجوانب الروحية والعقلية والمادية :

تقودنا الخصائص السابقة في المنهج النبويِّ إلى خصيصة تبرز بشكلٍ جليٍّ في هذا المنهج ، ألا وهي التوازن ؛ فما المقصود بالتوازن ؟ وما هي صوره ؟ وكيف حقَّق هذا المنهج التوازن بجميع أشكاله ؟ وما هي ثمراته ؟ وكيف سبق المنهج النبويُّ الدراسات النفسية المعاصرة في جوانب هذا التوازن ؟ .

يقصد بالتوازن دائمًا عدم طغيان جانب من الجوانب على الآخر ، وذلك للوصول إلى الوسطيَّة والاعتدال ، وإذا علمنا أنَّ دين الإسلام دين الوسطيَّة ، فلا بُدَّ أن نلمس هذا التوازن في كلِّ منحى من مناحيه ، ومن ذلك الجانب الشعوريُّ .

(من عجائب التكوين البشريِّ وجود خطوط متقابلة في النَّفس ، ومن أبرزها الخوف والرجاء ، والحبُّ والكره ، السلبيَّة والإيجابيَّة وغيرها ، وهذه الصفات المتقابلة المتوازية تؤدي مهمَّتها في ربط الإنسان بالحياة ، وفي الوقت ذاته توسِّع أُفُقَه ،

---

١ رواه مسلم – كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمُوتُ لَهُ وَلَدٌ فَيَحْتَسِبَهُ – (ج٤،ص٢٠٢٨).

وتحدُّد جوانبه ، فلا ينحصر في نطاق واحد ، وبذلك يتحقق للإنسان كيانٌ فريد يرجع إلى النشأة العجيبة المعجزة ، قبضة الطين ، ونفخة الروح) [1] .

تكمن أهمية البحث عن التوازن الشعوريّ في النفس البشرية ، في أنَّها تبنى على مرتكزين أساسيين ، هما المرتكز العقليُّ الذهنيُّ ، والجانب الوجدانيُّ الشعوريُّ العاطفيُّ ، الذي يمكن تشبيهه ببحرٍ متلاطم من المشاعر المتنوّعة بحقيقتها ودرجاتها.

والوصول إلى التوازن هنا إنما هو إيجاد آليّةٍ دقيقةٍ في التعامل مع هذه الجوانب كلها ، بطريقة تقود إلى الاستقرار النفسيّ الذاتيّ ، وذلك بعدم تغليب جانب على آخر .

يقول محمد موسى الشريف : (ليس التركيز على العاطفة الإيمانية القوية معناه إهمال الجانب العقليّ من حياة الإنسان وتهميشه ، بل المطلوب هو مراعاة الجانب العقليّ فيما يجب ، أو ينبغي إعمال العقل فيه ، وفي الوقت نفسه ينبغي السمو بالعاطفة الإيمانية بالدرجة التي تجعلُ المرء يحسن الاستجابة لله ورسوله) [2].

---

١ كرزون – أنس أحمد - **منهج الاسلام في تزكية النفس** – دار ابن حزم – بيروت – ط٢ – ١٤١٨هـ - ص (٤٤) .

٢ الشريف – محمد موسى - **العاطفة الايمانية واهميتها في الأعمال الإسلامية** – دار الأندلس الخضراء – جدة – ط١ – ١٤٢٢هـ - ص (١٠١) .

وقد حقَّق المنهج النبويُّ الشعويُّ صوراً عدَّة من التوازن في النفس البشريَّة منها :

أولا : التوازن العقليُّ الشعوريُّ : وظَّفت السنَّة النبويَّة العقل في تحقيق الاستقرار الشعوريِّ الذاتيِّ ، عن طريق إيجاد تفاسير وقناعاتٍ إيجابيَّة للموقف الشعوريِّ ، ممَّا يسهم في استجلاب المشاعر الحسَنَة ، ودفع المشاعر السيئة ، للوصول الى قدر أكبر من التوازن .

يقول صاحب كتاب العقل فوق العاطفة : (إنَّ أفكارنا تساعدنا على تحديد نوع العاطفة التي نشعر بها بالنسبة لموقف معيَّن ، وعندما توجد العاطفة فإنها تترافق بأفكارٍ إضافيَّة تدعم وتقوّي هذه العاطفة ، ومثال ذلك أن يفكِّر الذي يشعر بالغضب بالطرق التي أُسيء فيها إليه ، ويفكِّر الذي يشعر بالاكتئاب ، بإخفاقات حياته وسوء حظه ، بينما يفكِّر الذي يشعر بالقلق بأنَّ الأخطار محيطة به من كلِّ جانب ، وفي الحقيقة كلمَّا اشتدت عواطفنا ، كلَّما ازداد احتمال تطرُّف أفكارنا) [1].

ومن الأمثلة النبويَّةِ في بناء المشاعر على القناعة العقليَّة ، وتحقيق التوازن في ذلك حديث (أَنسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ

---

١ باديسيكي – كريستين – **العقل فوق العاطفة** – ترجمة مأمون مبيض – المكتب الإسلامي – ط١ – ٢٠٠١م – ص (٢٦) .

عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)[1] .

في قصة الأعرابيّ أذية للنبيّ ﷺ ، تعامل معها بضبطٍ شعوريٍّ بالغٍ ، ظهر من خلال التفاتة النبيّ ﷺ والتي هي نوع تفكُّر عقليٍّ ، وبحثٍ عن دافعية السلوك .

إنَّ الفهم الصحيح لحال الأعراب ، وما هم عليه من الجفاء ، قاد النبيّ ﷺ إلى تقييمٍ صحيح للموقف ، مما أثمر مشاعر الرضا ، التي تجلَّت بابتسامةٍ نبويَّةٍ ، لأنَّ الموقف لا يستدعي أيَّ نوعِ انفعالٍ ، ما دام أنَّ السلوك صدر من أعرابيٍّ ، ثمَّ أمر له بعطاءٍ ، وهذا هو التوازن الشعوريُّ بأبهى صوره .

كما أنَّ السنَّة النبويَّة جعلت المشاعر الإنسانيَّة المنضبطة والمتوازنة ، بيئةً خصبةً لتفكيرٍ سليمٍ ، يهذِّب العقل من الجنوح نحو التفكير المجرَّد عن الرحمة ، ليثمر هذا التزواج بين العقل والشعور ذريَّة طيِّبة من الأخلاق السامية ، المبنيَّة على إيثار الغير على النفس ، وترك المصلحة الذاتيَّة ، لما فيه رضا الله .

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ – بَابُ مَا كَانَ ﷺ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ – (ج٤ / ص٩٤) ، مسلم – كتاب الزكاة - بَابُ إِعْطَاءِ مَنْ سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ – (ج٢ ، ص٧٣٠) .

ثانيا : التوازن بين المشاعر المختلفة :

يحقق المنهج النبويُّ توازناً مهمّاً بين المشاعر الإنسانيَّة المختلفة ، حتى لا يطغى بعضها على بعض ، فيكون العبد أسيرِ نمطٍ شعوريٍّ واحد ، ومن هنا ندرك التوازن الذي يحييه منهج الترغيب والترهيب في السنَّة النبويَّة ، فما تجد مسألةً يناقشها النصُّ النبويُّ ، إلا ويجعل لها جانب الفضيلة ، بفعلها أو تركها ، ويَعِدُ صاحبها بالجِنانِ ، ثمَّ يجنح به نحو جانب الترهيب ، ليخوِّفه من النيران . والتوازن في الطرح هو أن يعيش الإنسان بين هذين الجانبين الذين بُنِيا على مدخلين شعوريين مهمين هما الخوف والرجاء ، ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [1].

ومن الأمثلة التطبيقيَّة لإيجاد التوازن الشعوريِّ عند الإنسان في السنَّة النبويَّة ما نلمسه في المعالجة النبويَّة لمشاعر المذنب :

تُعدُّ المعصية لأمر الله خروجٌ عن الطريق المستقيم الذي خلق الله العباد لأجله ، وهو تحقيق التوحيد وترك الذنوب ، ولا شكَّ أن للمعصية كثيراً من الآثار السيِّئة على العبد من جميع الجوانب ، ومن أهمها الجانب الشعوريُّ ، فالمعصية خروج عن التوازن الذي يتحقق – كما ذكرت – بطمأنينة النفس ، ولهذا تعتلج في صدر صاحب المعصيةِ كثيرٌ من المشاعر المثبطة ، من القلق والخوف من عقاب

---

١ سورة المائدة – آية (٩٨) .

الله ، والحيرة والندم ، كقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

إنَّ هذه المشاعر قد تقود الإنسان إلى اليأس والقنوط ، وربما الرغبة في الانتقام من النفس ، إلى غيرها من السلوكيات الناجمة عن هذه المشاعر ، فلا بدَّ هنا من وجود سبيلٍ لإيجاد توازنٍ شعوريٍّ ، يسهم في تعديل الحالة النفسيَّة .

إنَّ مفهوم التوبة الذي امتنَّ الله به على العبد المذنب ، يعدُّ معالجةً شعوريَّة تتمثل في معالجة جوانب القلق في شخصية التائب ، باعتبار الندم الذي يعتلج صدره ، ليرفع اليأس من رحمة الله من قلبه ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[3]، كما أنَّ إيجاد الكفارات من الأعمال الصالحة ، سبيل لسعي العبد للخروج من المشاعر السيِّئة المتراكمة ، إلى سَعَة الطاعة ، وهذا يمثل سبيلاً أمثل للمعالجة الشعوريَّة ،قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ

---

١ سورة طه – آية (١٢٤) .

٢ سورة الأنعام – آية (٧٢).

٣ سورة الزمر – آية (٥٣) .

فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[1].

يقول مستشار الطب النفسي محمد يوسف خليل : (وبهذا الوضوح تصبح التوبة بمفاهيم علماء النفس ، عمليّةً إسقاطيّةً ، وفيها يُسقط التائب ذنوبه ، بمعنى أنّه يخرجها من سجنها الذي تتفاعل فيه ، فوجودها في ظلمات النفس ، يحرك في الضمير معالم الندم ، والإحساس بالذنب ، وهذه كلها مشاعر تؤرق ، لا يهنأ صاحبها ولا يهدأ ، لأنَّ في داخل النفس صراعاً بين الخير والشر ، بين الفضيلة والرذيلة ، هذا الصراع في تناقضه لا يحقق للإنسان راحةً ، ولا يسير به إلى اطمئنانٍ وسكينةٍ)[2] .

واليك بعض الأمثلة التي تؤيد ما سطرته هنا من تفوق العلاج النبويّ لمشاعر المخطيء والمذنب :

المثال الاول : (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ

---

١ سورة آل عمران – آية (١٣٥ ، ١٣٦) .

٢ خليل – محمد يوسف - **الصلاة وأسرارها النفسية بالمفاهيم السلوكية المعاصرة** – سلسة ثقافتك الإسلامية – الكتاب الحادي عشر – ٢٠٠٢م – منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية – الكويت – (ص ٥٨) .

الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[1] فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِي هَذَا ؟ قَالَ : لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ)[2] .

المثال الثاني : عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ . قَالَ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، قَالَ : لاَ ، فَقَالَ : فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا . قَالَ : لاَ ، قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ – وَالعَرَقُ المِكْتَلُ – قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ ؟ فَقَالَ : أَنَا ، قَالَ : خُذْهَا ، فَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا – يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ – أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ)[3] .

---

١ سورة هود ـ آية (١١٤) .

٢ أخرجه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلاَةِ – بَابُ الصَّلاَةُ كَفَّارَةٌ – (ج١،ص١١١) مسلم – كتاب التَّوْبَةِ – بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ - (ج٤،ص٢١١٥)

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ في صحيحه – كِتَابُ الصَّوْمِ – بَابُ إِذَا جَامَعَ فِي رَمَضَانَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ فَتُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَلْيُكَفِّرْ – (ج٣ / ص٣٢) ، مسلم – كِتَاب الصِّيَامِ – بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الْجِمَاعِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ عَلَى الصَّائِمِ ، وَوُجُوبِ الْكَفَّارَةِ الْكُبْرَى فِيهِ وَبَيَانِهَا ، وَأَنَّهَا تَجِبُ عَلَى الْمُوسِرِ وَالْمُعْسِرِ وَتَثْبُتُ فِي ذِمَّةِ الْمُعْسِرِ حَتَّى يَسْتَطِيعَ – (ج٢ ، ص٧٨١) .

قارن معي في هذا الحديث قدوم الرجل بمشاعره السيِّئة ، وانفعالاته الظاهرة ، وبين إيابه فرحًا بسماحة الإسلام ، وجمال مبادئه ، لتدرك أثر المعالجة الشعوريَّة في إيجاد التوازن الشعوريِّ في نفس المسلم .

كما أنَّ المنهج النبويَّ يدعو إلى التوازن في المشاعر من حيث درجتها ، فينهى عن الإسراف الشعوري الذي يقود إلى مخالفة الأمر ، والوقوع في المحظور ، فشعور الفرح – على سبيل المثال – من المشاعر الحسنة ، وما جاء في ذمه من النصوص محمول على ما فيه تجاوز حدٍّ ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾[1] قال مجاهد : "يعني الأشرين البطرين ، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم "[2] ، وهذا نوع تعدٍّ شعوري ، يجنح بالعبد إلى ظلم نفسه وغيره .

المطلب الرابع : الدقّة في اعتبار تنوع الأمزجة والنفسيات :

تبين لنا مما سبق أنَّ االجانب الشعوريَّ من الجوانب الخفيَّة في النفس الإنسانيَّة ، بمعنى أنَّ فهم هذه المشاعر ، والحكم عليها ، من الصعوبة بمكان ، نظرًا لأنَّ الإنسان لا يتبين ما يتعلق بها ، إلا مما يظهر له من لفظٍ أو فعلٍ أو سلوكٍ ، وممَّا يدلُّ على خفاء هذه المشاعر :

---

١ سورة القصص – آية (٧٦) .

٢ ابن كثير – **تفسير القرآن العظيم** – (ج٦/ ص٢٢٨) .

أولاً : أنَّ المشاعر الإنسانية متعددةٌ وليست محصورة ، تختلف باختلاف الأشخاص والبيئات وأنماط التربية ، وقد أشارت السنَّة إلى هذا التفاوت الكبير بين النَّاس ، كما قالَ ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ : جَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَبَيْنَ ذَلِكَ)[1] فكما أنَّ جنس الإنسان يتباين تباينًا واسعًا من حيث اللون ، نجد هذا التباين يزداد كذلك من حيث طبيعة تفاعل الإنسان مع هذه المشاعر ، لهذا قال : " والسَّهْل والحَزن ... " .

ثانياً : أنَّ المشاعر الإنسانيَّة متداخلة فيما بينها ، فقد تعتلج في صدر الإنسان جملة من المشاعر المتوافقة أحياناً ، بل والمتضادة أحياناً أخرى ، وهذا ما يمكنني تسميته " بالمشاعر المركبَّة " ، فعلى سبيل المثال : تعتبر الغيرةُ من المشاعر التي لها تأثير قويٌّ في النَّفس الإنسانيَّة ، والغيرةُ في أصلها شعورٌ مركَّبٌ من الحبِّ والغضب والحزن ، وهي تُمدحُ وتذمُّ بحسب درجتها وآثارها .

---

١ (**صحيح**) رواه أبو داود – سليمان بن الأشعث – السُّنن – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت - كِتَاب السُّنَّةِ – بَابٌ فِي الْقَدَرِ – (ج٤،ص٢٢٢) ، الترمذيُّ – محمد بن عيسى – السنن – تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة – ط٢ – ١٩٧٥م – وقال (هذا حديث حسن صحيح) أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب : ومن سورة البقرة – (ج٥،ص٢٠٤) ، وأحمد في مسنده – تحقيق شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – ط١ – ٢٠٠١م – (ج٣٢ ، ٤١٣) ، قال شعيب : " الحديث صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير قسامة بن زهير ، أخرج له أصحاب السنن غير ابن ماجه وهو ثقة " .

قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : (أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ، لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي)[1].

قال ابن حجر رحمه الله : " الغَيْرَة : فتح المعجمة ، وسكون التحتانية ، بعدها راء ، قال عياض وغيره : هي مشتقَّة من تغيُّر القلب ، وهَيَجان الغضب ، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص "[2] .

إنَّ هذه الخصائص المتعددة التي توصف بها المشاعر ، تدلُّ دلالةً لا شكَّ فيها على أنَّ الموقف الشعوريَّ الانسانيَّ على درجة من الخطورة التي تتطلب دقَّةً ، في الفهم والتعامل ، والسؤال المطروح هنا : هل لبَّى المنهج النبويُّ في مراعاة المشاعر هذا المنحى بالصورة المرجوَّة ؟

لقد أظهر المنهجُ النبويُّ دقَّةً فائقةً في التعامل مع المشاعر المختلفةِ ، واعتبار التنوع الكبير بينها ، ولا شكَّ أنَّ هذه الدقة لن تظهر بصورتها الجليَّةِ إلا من خلال التطبيقات العمليَّة التي سترسم منهجًا متميزًا ، إلا أننا هنا سنشير إلى بعض الجوانب النظريَّة ، والتي تعطينا الإشارات الأولى لدقة هذا المنهج :

فمن ذلك دقَّةُ المنهج النبويِّ في إطلاقات المشاعر : فنجدُ المنهج النبويَّ يسمِّي كلَّ شعورٍ باسمه ، ولا يخلط بينها ، إنَّ هذا الشمول يثمر دقَّةً في التمييز

---

١ رواه الشيخان – البخاري – كِتَابُ النِّكَاحِ – بَابُ الغَيْرَةِ – (ج٧ / ص٣٥) ، مسلم – كِتَابُ اللِّعَانِ – (ج٢ ، ص١١٣٦) .

٢ ابن حجر – فتح الباري – (ج٩ ، ص٣٢٠) .

بينها ، فالمشاعر في السنَّة متميزة لا مختلطة ، وكلُّ تعبيرٍ يدلُّ على جانبٍ معيَّنٍ ، وإن كان المعنى العام واحدٌ ، فمثلاً نرى في السنَّة تعدُّد الألفاظ الشعوريَّة الدالةِ على الشعور السيِّء تجاه الآخر (الكره – البغض – الغيظ – الحنق – السخط ...) وكذلك فيما يتعلق بالمشاعر الحسنة (السعادة – الفرح – الانشراح – بسط الوجه – السرور – البهجة) .

ومن دقَّة المنهج النبويِّ الشعوريِّ ، تفاوت استعمال الشعور الواحد ، من حيث درجته بحسب المواقف والأشخاص ، وهذا يسهم في إيصال رسالةٍ شعوريّةٍ دقيقةٍ ، وهذا المقياس يدلُّ على وعيٍ شعوريٍّ بعيد المدى ، وقد امتاز المنهج النبويُّ بدقة متناهية في هذا ، كما سيظهر ذلك في مبحث الفصاحة الشعوريَّة .

المطلب الخامس : الواقعيّة :

من أبرز الخصائص التي تظهر بوضوح في الأسلوب النبويِّ في التعامل مع المشاعر ، ما يمكننا أن نطلق عليه " الواقعيَّة في التعامل الشعوريِّ " والذي نقصد به أنَّ هذا المنهج ، ينسجم مع قدرات الإنسان ، وطبيعة خلقته ، بحيث تجعله منهجًا عمليًّا قابلاً للتطبيق ، وليس مجرد قوالب نظريَّة ، سرعان ما تتحطم على صخرة الواقع ، فهو يراعي جميع القدرات والاحتياجات العقليَّة والذهنيَّة ، ويثمر تعاملاً سليمًا في جميع الاتجاهات .

إنَّ رسم منهج شعوريٍّ عام ، يمتاز بهذه الواقعية والشمول ، ويرتبط بجميع جوانب الإسلام عقيدة وشريعة ، ويتجانس مع المبادئ العامَّة للصرح الخُلقيِّ الإسلاميِّ ، هو أولى المناهج بالتطبيق والعناية .

وإذا أردنا أن نتتبع جوانب الواقعيَّة في المنهج النبويِّ الشعوريِّ ، فيمكننا أن نضع هنا بعض الإشارات فنقول :

من واقعيَّة المنهج الشعوريِّ النبويِّ أنَّه أقرَّ بجميع المشاعر الإنسانية الحسنة والسيئة ومن ثمَّ أوجد كثيرًا من التشريعات التي تنمِّي المشاعر الحسنة ، وتدفع المشاعر السيِّئة ، خلافا للمناهج التي رفضت المشاعر أو وصفتها بأنَّها من معكرات العقلانية ، ولا شكَّ أنَّها بنيت على مثاليةٍ مُدَّعاة ، لا ترقى إلى السمو الإنسانيِّ .

مثال ذلك : أنَّ المنهج النبويَّ يقرُّ محبَّة الإنسان نفسه ، ولا ينكرها ، لكنَّه يهذِّبها لتكون تبعًا للمحبَّة الدينية الواجبة ، عن (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لاَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ » فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّهِ ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : الآنَ يَا عُمَرُ) [1] ، في هذا الحديث حوارٌ شعوريٌّ بين النبيُّ ﷺ وعمر ﷺ ، يقرُّ فيه نبينا ﷺ بمحبَّة النَّفس وتقديرها ، لكنَّه يبين أنَّها تبع للمحبَّة الدينيَّة ، التي هي سبب نجاة العبد في الدنيا والآخرة .

وهذا المقياس الدقيق من تقديم المحبَّة الدينية ، هو الذي سيثمر تقديم مراد الشرع ، على النَّفس ، لتكون النتيجة تقديم النَّفس بكل طاقاتها ، لخدمة ما تفوق محبته محبَّة النفس ، وهذا المنحى يدلُّ على أهمية الترتيب الشعوريِّ بالصورة التي رسمها هذا المنهج ، للوصول إلى العبوديَّة الكاملة .

ومن واقعية المنهج الشعوريِّ النبويِّ أنَّه لا يطالب الإنسان بمثاليَّة شعوريَّة ، تخلو من المشاعر السيِّئة ، بل هو يدعو إلى ضبط هذه المشاعر ، خشية مخالفة أوامر الله بأي سلوك سيِّء .

فمن ذلك مثلاً منهجية التعامل مع مشاعر الحزن ، لفقد محبوبٍ من ولدٍ أو زوجةٍ أو عزيزٍ ؛ فنرى أنَّ المنهج النبويَّ يقرُّ هذا الحزن ، وما يصاحبه من بعض السلوكيات كالبكاء ، بل يجعل ذلك من الرحمة التي تدل على سلامة القلب ، ورقة الفؤاد ، مما يؤيد ذلك حديث (أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ﷺ قَالَ : أَرْسَلَت ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ ، فَأْتِنَا ، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلاَمَ ، وَيَقُولُ : إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا

---

١ رواه البخاري في صحيحه – كِتَابُ الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ – بَابٌ : كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ - (ج٨،ص١٢٩) .

أَعْطَى ، وَكُلٌّ شيءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى ، فَلْتَصْبِرْ ، وَلْتَحْتَسِبْ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا ، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ [1] – قَالَ : حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ [2] – فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ) [3] . لقد علَّل النبيُّ ﷺ بكاءه بأنَّه رحمة جعلها الله في النَّاس ، يتراحمون بها ، وأنَّها لا تنافي الصبر على أقدار الله ، وهذا يعني أنَّ المنهج الشعوريَّ يقرُّ التعبير عن المشاعر بصورتها الفطرية ، لكنَّه ينكر ما زاد على البكاء من سلوك شاذٍّ ، كالنِّياحة أو شقِّ الثياب أو العويل ، لأنَّ هذه الأفعال تنافي الصبر ، وهي في حقيقتها انتقال من التعبير الصحيح عن المشاعر ، إلى انحرافٍ سلوكيٍّ يولِّد الجزع والهلع عند الإنسان.

١ القعقعة : " حِكَايَة أصوات الترسة وَغَيرهَا من الأجرام الصلبة إِذا قرع بَعْضهَا بِبَعْض ، وَأَرَادَ بالقعقعة صَوت الحشرجة عِنْد الْمَوْت " الجوزي - عبد الرحمن بن علي - كشف المشكل من حديث الصحيحين – (ج٤ ، ص١٨) .

٢ الشنُّ : " بفتح المعجمة وتشديد النون القربة الخلقة اليابسة ، ... شبَّه البدن بالجلد اليابس الخَلِق ، وحركة الروح فيه بما يطرح في الجلد من حصاة ونحوها " ابن حجر – فتح الباري – (ج٣ ، ص١٥٧) .

٣ رواه البخاري في صحيحه - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : يُعَذَّبُ المَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ، إِذَا كَانَ النَّوْحُ مِنْ سُنَّتِهِ – (ج٢ ، ص٧٩) .

قال ابن القيم رحمه الله : " وقد ذُكِر في مناقب الفضيل بن عياض أنَّه ضحك يوم موت ابنه عليٍّ ، فسُئل عن ذلك فقال : إنَّ الله تعالى قضى بقضاءٍ ، فأحببتُ أن أرضى بقضائه " وهديِ رسول الله ﷺ أكملُ وأفضلُ ، فإنَّه جمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ، وبين رحمة الطفل ؛ فإنَّه لمّا قال له سعد بن عبادة : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : (هذه رحمةٌ ، وإنَّما يرحم الله من عباده الرحماء) . والفضيل ضاق عن الجمع بين الأمرين ، فلم يتسع للرضا بقضاء الربِّ ، وبقاء الرحمة للولد " [1] .

فانظر إلى بديع كلامه رحمه الله ، لتدرك أنَّ كمال التعامل الشعوري هو باتباع المنهج النبويِّ ، الذي جاء بالواقعيَّة والاعتدال ، وموافقة الفطرة الإنسانيَّة .

كما لنا أن نلحظ هنا أنَّ الله أمر بالصبر واستحب الرِّضا ، مع أنَّ الرضا أكمل وأفضل ، إلاَّ أنَّه صعب المنال ، فمن رحمة الله أنَّه لم يوجب الرضا على المبتلى ، وهذا لا شكَّ يجعل المنهج النبويَّ أكثر واقعيَّة وأسهل تطبيقاً ، يقول ابن تيمية : " فَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْمَصَائِبِ وَاجِبٌ ، وَأَمَّا الرِّضَا بِهَا فَهُوَ مَشْرُوعٌ ، لَكِنْ هَلْ هُوَ وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ ؟ عَلَى " قَوْلَيْنِ " لِأَصْحَابِ أَحْمَد وَغَيْرِهِمْ : أَصَحُّهُمَا أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ ، لَيْسَ بِوَاجِبِ " [2] .

---

١ ابن قيم الجوزية – محمد بن أبي بكر – **تحفة المودود بأحكام المولود** – تحقيق عبد القادر الأرناؤوط – مكتبة دار البيان - دمشق - ط١ – ١٩٧١م – ص (١٠٦) .

٢ ابن تيمية - أحمد بن عبد الحليم - **مجموع الفتاوى** – تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف – المدينة النبوية – ١٤١٦هـ – (ج٨ / ص١٩١) .

ومما يدلُّ على واقعيَّة المنهج النبويِّ في التعامل مع المشاعر ، إقراره للترويح عن النَّفس ، والذي يشكِّل تفريغًا شعوريًا ، وتنميةً لمشاعر الفرح والسرور ، التي يحبُّها الإنسان ويحرص عليها ، وما ينتج عنها من سلوكٍ معتدلٍ يسهم في انبساط النَّفس ، لذا فالإسلام يقرُّ مشاعر الفرح ، وينميها (عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّهَا زَفَّتِ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَا عَائِشَةُ ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ ؟ فَإِنَّ الأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ)[1] .

---

[1] رواه البخاري في صحيحه – كِتَابُ النِّكَاحِ – بَابُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي يَهْدِينَ المَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَدُعَائِهِنَّ بِالْبَرَكَةِ – (ج٧/ص٢٢) .

الفصل الثالث

ميادين مراعاة المشاعر في المنهج النبوي ومظاهره

المبحث الأول : ميادين مراعاة المشاعر في المنهج النبوي :

المطلب الأول : الجانب التعبدي .

المطلب الثاني : الجانب الإعلامي الخطابي .

المطلب الثالث : الجانب التربوي .

المطلب الرابع : الجانب التعليمي .

المطلب الخامس : الجانب الاجتماعي .

المبحث الثاني : مظاهر مراعاة المشاعر في المنهج النبوي :

المطلب الأول : مراعاة مشاعر أصحاب المنزلة والمكانة .

المطلب الثاني : مراعاة مشاعر كبار السن .

المطلب الثالث : مراعاة مشاعر اصحاب العاهات .

المطلب الرابع : مراعاة مشاعر الجار .

المطلب الخامس : مراعاة مشاعر الزوجة .

المطلب السادس : مراعاة مشاعر الخدم .

المطلب السابع : مراعاة مشاعر الاطفال .

المطلب الثامن : مراعاة مشاعر العجماوات .

المطلب التاسع : مراعاة مشاعر أصحاب الحاجة .

المطلب العاشر : مراعاة مشاعر غير المسلمين .

المبحث الأول

ميادين مراعاة المشاعر في المنهج النبويّ

يمتاز الهدي النبويُّ العام المستقى من نصوص السنَّة بجملةٍ من المميزات التي تدلُّ على سلامة مصدره ، وصلاحيته للجنس البشريّ ، على اختلاف الأزمنة والأمكنة ، فشمولية هذا الهدي لجميع الجوانب السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة وغيرها ، واستقلاليته عن غيره من المناهج ، من أعظم جوانب قوته التي امتن الله بها على هذه الملة ، كما أنَّ هذه التشريعات جاءت لتتوافق مع الفطرة والوجدان والعقل ، لتحقق التكامل الإنسانيّ بصورته المرجوّة .

إنَّ تلمُّس اعتبار المشاعر الإنسانيَّة في المنهج النبويّ ، قد ظهر لي بصورة جليَّة في جميع الجوانب ، ومن هنا يمكنني أن أقول بأنَّ النظام التشريعيَّ العامَّ قائمٌ على نظامٍ شعوريٍّ رصين ، يراعي المشاعر الإنسانيَّة في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ ، وهمنا هنا أن نبين شيئًا من هذا الارتباط .

فمن ذلك مثلاً أنَّ بعض التشريعات حملت النَّهي عن أمورٍ خشية الأذيَّة الشعوريَّة ، وبعضها شُرِّعت لما لها من أثرٍ شعوريٍّ حسنٍ ، على الفرد و الجماعة ، وبعضها اعتبر التفاوت الشعوريَّ بين الأفراد ، بل إنني أجزم أنَّ كلَّ مبدأ إسلاميٍّ مهما صغر أو كبر ، له مدخلٌ شعوريٌّ يهدف لتحقيق السواء النفسيّ ، مما يؤيد أهميَّة العناية المتزايدة بهذا المنحى .

وأنا في هذا الفصل أقصد بيان أهمّ الجوانب التي يظهر فيها حكمة الشرع الحنيف في اعتبار المشاعر ، كمبدأ يراعى في مختلف الأمور ، متلمّسًا خلال هذا الطرح النظر في وجهتين :

الأولى : اعتبار الشارع للجانب الشعوريّ كأساسٍ في تشريع هذا الأمر .

ثانيا : أثر هذه المراعاة في ضبط المشاعر الإنسانيَّة ، وحسن إدارتها .

المطلب الأول : الجانب التعبديُ :

يدرك المسلم أنَّ الله خلقه لغايةٍ عظيمة تتجلى بإقامة شرع الله في الأرض ، من خلال فعل الأوامر ، وترك النواهي ، قال ﷻ : ﴿ وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] ، وهذه العبادة بمفهومها الواسع الذي يشمل " كلَّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال ، الظاهرة والباطنة " [2] ، هي السبيل الوحيد لنجاة الإنسان في الدنيا من الانحراف في شتى الاتجاهات ، وفي الآخرة من عقاب الله ، للمتخلفين عن قافلة الإيمان .

والمؤمن الصادق الذي يقيم هذه العبادة على أصلها ، ينعم بحياةٍ طيِّبةٍ خاليةٍ من مكدِّرات الكفر والنفاق والمعصية ، قال ﷻ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

١ سورة الذاريات – آية (٥٦) .

٢ ابن تيمية – أحمد بن عبد الحليم – العبودية – تحقيق زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٧ – ص ٢٠٠٥م

أُنثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] ، وهذا المنحى هو الذي يحققُ له السواء النفسيَّ ، والتوازن الشعوريَّ ، الذي ينمِّي فيه كلَّ مشاعر الخير ، ويدفع عنه مشاعر السوء والاضطراب .

" لقد حقق المنهج النبويُّ في التعامل مع المشاعر سبقًا مهمًّا ، في بيان أنَّ أداء العبادات التي كلفنا الله تعالى بها ، من صلاة وصوم وحجٍّ وزكاة ، إنما ليطهِّر بها النَّفس ويزكيها ، ويصقل القلب ويهيِّئه إلى تلقي تجليات الله عليه ، بالنُّور والحكمة ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[2] والإنسان السويُّ الذي يتمتع بصحَّة نفسيَّة جيدة ، هو الشخص الذي يستطيع تأدية العبادات بكفاءةٍ وصدقٍ ، دون اللجوء إلى النفاق والرِّياء أو الكسل أو الامتناع عن تأديتها "[3] .

" فلو أجلت فكرك في حِكَمِ الصلاة ، والزكاة ، والصيِّام ، والحجِّ ، وهي أعظم دعائم الإسلام بعد الشهادتين ، لوجدت أنَّ من أعظم حِكم تشريعها مراعاة المشاعر ، وقيام روح الألفة والمودة بين المسلمين "[4].

---

١ سورة النحل – آية (٦٧) .

٢ سورة الزمر – آية (٢٢) .

٣ أبو شهبة – **السنَّة النبويَّة وتوجيه المسلم الى الصحَّة النفسيَّة** – (ص١٥) .

٤ الحَمَد – **فقر المشاعر**- (ص٥) .

إنَّ أداء العبادات يكفِّر الذنوب ، ويبعثُ في الإنسان الرجاء في مغفرة الله وعفوه ، ويقويِّ فيه الأمل بالفوز بالجنَّة ، ويثبِّت في نفسه الشُّعور بالأمن والطمأنينة ، فتسهم العبادة في صُنع النَّفسيَّة السَّليمة التي تضبط المشاعر الإنسانيَّة ، وتحفظها ، وتتابع سيرها نحو الدَّافعية المرجوة لكلِّ عملٍ صالحٍ .

ولعلَّ سائلاً يستدرك فيقول : كيف تحقِّق هذه العبادات – التي تُعدُّ من التكاليف – مثل هذا التوازن الشعوريِّ بهذه الصورة المدَّعاة ؟

وللإجابة على مثل هذا السؤال ، لا بدَّ من تناول جملةٍ من العبادات ، مع بيان أثرها الشعوريِّ على الإنسان ، وسأقتصر هنا – خشية الإطالةِ – على عبادتين من أصول العبادات ، الأولى عبادةٌ بدنيةٌ وهي الصَّلاة ، والثانية عبادةٌ ماليةٌ وهي الزكاة ، مبينًا التعلقات الشُّعوريَّة المرتبطة بهذه العبادات ، وموضحاً أثر المنهج الشعوريِّ النبويِّ في النِّظام التعبدي .

المثال الأول : الصلاة وضبط المشاعر :

الصلاة أعظم العبادات التي فرضها الله على عباده ، فهي الرُّكن الثاني من أركان الإسلام ، وتمتاز الصَّلاة بأنَّ لها آثارًا عظيمةً على المسلم ظاهرًا وباطنًا ، فهي عبادة القلب واللِّسان والجوارح معًا ، من ثمراتها : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[1] .

١ سورة العنكبوت – آية (٤٥) .

وقد كان النبيُّ ﷺ يعظِّم أمر الصَّلاة ، ويرفعُ من شأنها ، ويحرص على ربط الأمَّة بها ، بل خرجت روحه الشريفة وهو يناشد أمَّته أمر الصلاة فـ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قَالَ : كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، (الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)[١].

ومن أعظم ما يدلُّ على قدر الصَّلاة ، أنَّها تعدُّ ضابطًا شعوريًا دقيقًا ، يحافظ على نفسيَّة المؤمن المتوازنة ، لقد أشار المنهج النبويُّ الشعوريُّ إلى هذه الحقيقة بشكلٍ نظريٍّ وعمليٍّ ، يبرز في الاتجاهات الآتية :

أولاً : كان النبيُّ ﷺ يقول : (وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)[٢] ، وهذا يدلُّ أنَّ الصَّلاة كانت تشكِّل تحوُّلاً شعورياً من التَّعب والنَّصب ، إلى الرَّاحة والدعة ، وقد أرشد القرآن

---

١ (**حسن**) رواه أبو داود في سننه – كِتَاب الْأَدَبِ – بَابٌ فِي حَقِّ الْمَمْلُوكِ – (ج٤،ص٣٣٩) كِتَابُ الْوَصَايَا – وابن ماجه – محمد بن يزيد – السنن – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء الكتب العربية – بَابُ هَلْ أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ – (ج٢ ، ص٩٠١) وأحمد في مسنده (ج٢ ، ص٢٤) – والحديث رواته ثقات ، رواة الصحيح ، غير أمِّ موسى ، وهي سريَّة عليٍّ رضي الله عنه – اسمها فاختة ، وقيل حبيبة – قال ابن حجر في التقريب : مقبولة (ابن حجر – احمد بن علي – تقريب التهذيب – تحقيق محمد عوامة – (رقم ٨٧٧٧ ، ص٧٥٩) – دار الرشيد – سوريا – ط١ – ١٤٠٦هـ) ، وحديثها يقبل اعتباراً ، وقد تابعتها أمُّ سلمة في رواية ابن ماجة السابقة ، فالحديث حسن بطرقه .

٢ (**حسن**) رواه النسائي - أحمد بن شعيب – السنن الصغرى – تحقيق عبد الفتاح أبو غدة – مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤٠٦هـ - كِتَابُ عِشْرَةِ النِّسَاءِ – بَابُ حُبِّ النِّسَاءِ (ج٧ ، ص٦١) ، وأحمد في مسنده – (ج٢١ ، ص٤٣٣) من طريق عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ عن سَلَّامٌ أَبِي الْمُنْذِرِ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ – ورجاله ثقات غير سلام ، وهو سلام بن سليمان المزني أبو المنذر ، قال ابو حاتم : (صدوق صالح الحديث) (ابن أبي حاتم – الجرح

الكريم نبينا ﷺ إلى هذه المعاني الشعوريَّة الهامَّة في جملة من الآيات ، فمن ذلك أنَّ القرآن أشار إلى الصلاة كمحرّك شعوريٍّ مهم لتثبيط المشاعر السيِّئة ، والتحوُّل إلى المشاعر الحسنة ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ، وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۞ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[1] .

لقد كان النبيُّ في أوائل مرحلة الدعوة ، يعالج خوفًا وقلقًا شديدًا من تحمُّل أعباء النبُّوة ، ناهيك عن تصديه لهذه الرِّسالة الفتيَّة ، فجاء التوجيهُ الإلهيُّ لقيام الليل كتهيئةٍ نفسيَّةٍ ، لأنَّ القول ثقيلٌ ، لا بُدَّ له من قلبٍ يطمئنُّ له ، ويحرص عليه.

ومن ذلك أن القرآن نبَّه النبيَّ ﷺ إلى اعتبار الصَّلاة علاجاً شعورياً ، لما يجده من أذىً نفسيٍّ قد يولِّد مشاعر الحزن والقلق : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾[2] ، والسجود لله عزَّ وجلَّ مع استشعار عظمته ، وحقارة الدنيا ، لا بدَّ أن يعالج القلب ، ليتحوَّل العبد من ضيق ما يجده من أذى الدنيا ، إلى رحبٍ واسعٍ من عطاء الله .

والتعديل – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٩٥٢م) قال ابن حجر : (صدوق يهم)– (تقريب التهذيب – ص٢٦١).

١ سورة المزمل – (آية ١– ٥) .

٢ سورة الحجر – (آية ٩٧ ، ٩٨) .

ثانياً : الصلاة منهجٌ عمليٌّ في دفع الخواطر التي تولّد المشاعر السيّئة : فمن المعلوم أنَّ الصَّلاة التي يصل بها المسلم إلى هذه الدرجة من التغلب على المشاعر المثبِّطة ، هي الصَّلاة التي تتفاعل فيها أعمال القلوب تجاه خالقها ، فتتولّد فيها مشاعر الخوف والرَّجاء ، وهذا هو " الخُشُوع " الذي هو روح الصَّلاة ومحركها ، قال ﷻ : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إلاَّ عَلَى الْخاشِعِينَ ﴾[1] ولا يصل العبد إلى درجة الخشوع ، إلا بدفع الخواطر التي تطرق ذهنه ، و " الخواطرُ هي المحرّكات للإرادات ؛ فإن النيّة والعزم والإرادة ، إنَّما تكون بعد خطور المنْويِّ بالبال لا محالة ، فمبدأ الأفعال الخواطر ، ثمَّ الخاطر يحرِّك الرغبة ، والرَّغبة تحرِّك العزم ، والعزمُ يحرِّك النيَّة ، والنيَّة تحرِّك الأعضاء "[2] ، وهذه الخواطرُ التي تعصف بالذِّهن ، كثيرًا ما تولِّد المشاعر السيِّئة ، التي تُهلك القلب والذهن ، لتزعزع كيان الإنسان ، وقد تسبِّب كثيرًا من الأمراض النفسيَّة ، كالوسواس القهريِّ[3] ، ولا سبيل لدفعها إلاَّ بالاستعانة بالله ﷻ .

---

١ سورة البقرة – (آية ٤٥) .

٢ الغزالي - محمد بن محمد - **إحياء علوم الدين** - دار المعرفة – بيروت – (ج٣ ،ص٢٧).

٣ الوسواس القهري : " أفكار أو أفعال أو خواطر أو نزعات متكررة ذات طابع بغيض ، يرفضها الفرد عادة ، ويسعى في مقاومتها ، كما يدرك عادة أنها خطأ ولا معنى لها ، لكن هناك ما يدفعه إليها دفعًا ، ويفشل في أغلب الأحيان في مقاومتها " انظر : الوسواس القهري – طارق بن علي الحبيب – مكتبة الملك فهد الوطنية – ط١ – ١٤٢٤هـ - (ص ٢٠) .

إنَّ الصَّلاة ذات الخشوع والخضوع ، هي السبيل الأعظم في تدريب الإنسان على دفع الخواطر المربية للشعور السيِّء ، وتنمية المشاعر الحسنة ، ولا يزالُ العبد في صلاته في مدافعة هذه الخواطر ، حتى يصل إلى الخشوع الذي يولِّد حلاوة الإيمان أو بمعنى آخر القدرة على إدارة الشعور الذاتيِّ ، وهي الراحة النفسيَّة التي يسعى إليها الإنسان في صلاته " وهذا يؤكِّد بصراحةٍ ووضوحٍ أنَّ المصلين الذين يحافظون على صلاتهم هم أبعد النَّاس عن آفات النَّفس وعللها وأمراضها "[1] .

ويبلغ التفوق في أثر الصلاة الشعوريِّ في الجانبين الوقائيِّ والعلاجيِّ :

- **أولاً : الجانب الوقائيُّ :**

تشكِّل الصَّلاة نظامًا وقائيًا فريدًا يحمي الإنسان من جميع المشاعر المثبِّطة ، التي تُبنى في أصلها على عقدة الذَّنبِ ، واتهام النَّفس ، وعدم الثقة بالذَّات ، والتي هي من ثمار الصدِّ عن أوامر الله ، فالصَّلاة بصفتها عبادةً دائمة ، توفِّر قدرًا مرتفعًا من الإيمان ، والذي هو تجديدٌ للعلاقة السامية بين العبد وخالقه ، مما يثمر راحة البال ، وكلُّ هذا يعين على التوازن الشعوريِّ الذي يحتاجه الإنسان دائمًا ، للوقاية من الأمراض النفسيَّة عمومًا (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا ، مَا تَقُولُ : ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ ؟

---

١ خليل – محمد يوسف – الصلاة واسرارها النفسية – (ص٤) .

قَالُوا : لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا ، قَالَ : فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا)[١] .

• **ثانياً : الأثر العلاجيُ :**

يمكننا أن نلخِّص أهمَّ الآثار العلاجية لركن الصَّلاة في النقاط التالية :

أولاً : أثرها في علاج مشاعر القلق ، بسبب ما توفِّره من استرخاءٍ ذهنيٍّ وفسيولوجيٍّ ، يحدِث توازنًا في نفسيَّة المسلم ، وهذا يشبه في أصله ما يعرف في الطب النفسيِّ " بالعلاج السلوكيِّ " وهو من أحدث الطرق في الطبِّ النفسيِّ ، ويقصد به تدريب المريض النفسيِّ على الاسترخاء التام ، في أيِّ موقف يكون فيه ، حتى يتجنب سرعة الانفعال ، وتَولُّد المشاعر السيِّئة بشكلٍ سريعٍ ، مما ينتج عنه قدرةٌ على التعامل مع المثيرات .

إلا أنَّنا نلمح التفوق التشريعيَّ هنا ، بأنَّ الاسترخاء المجرد عن الاعتقاد لا يمكن أن يصل به الإنسان إلى ضبط يقارب أو يشابه ما تحدثه الصَّلاة ، لأنَّ الصَّلاة ليست مجرد استرخاءٍ عضويٍّ ، بل هي عبادةٌ ترتبط فيها الروح بالجسد ، لتحقُّق العبوديَّة المطلقة لله ، وهذه العبوديَّة هي عبوديَّة السرَّاء والضرَّاء ، التي ترسم للعبد منهجًا للتعامل الشعوريِّ في كلِّ موقفٍ .

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلاَةِ - بَابٌ: الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ كَفَّارَةٌ – (ج١ ص ١١٢) ، مسلم – كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ – بَابُ الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا، وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ – (ج١ ، ص٤٦٢) .

يقول الدكتور نجاتي : " ويلاحظ أنَّ الصَّلاة تؤدي إلى نفس النتيجة التي يؤدِّي إليها العلاج النفسيُّ الناجح ، فإنَّ ما تحدثه الصَّلاة من شعور بالأمن ، وتحرُّر من القلق، يساعد على انطلاق طاقة الإنسان النفسية ، التي كانت مقيدة في أغلال القلق ، فيشعر الإنسان بتدفُّق النشاط والحيويَّة في كيانه " [1] ، ولذا فإن للصلاة أثراً كبيراً في التعامل مع الصدمات الشعوريَّة ، المتولدة من المواقف المختلفة ، وصدق الله ﷻ وهو يقول : ﴿ إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً ۞ إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ۞ وَإذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ۞ إلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴾[2] .

ثانيًا : أثرها في التغلُّب على مشاعر الحزن والخوف ، لأنها تشكل اعترافًا من العبد بين يدي الله ، يثمر تفريغًا شعورياً لمشاعر الحزن ، لذا ربط الله بين إقام الصَّلاة وتلاشي مشاعر الحزن والخوف ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3] .

ثالثًا : أثرها في علاج الأمراض النفسيَّة المبنيَّة على مشاعر الوحدة والعزلة ، وعدم الانتماء ، وذلك بتشريع صلاة الجماعة ، التي من ثمارها انشاء صداقات وعلاقات

---

١ نجاتي – محمد عثمان – القرآن وعلم النفس – دار الشروق – القاهرة – ط٧ – ١٤٢١هـ - ص (٢٨٩)

٢ سورة المعارج – آية (١٩ – ٢٢) .

٣ سورة البقرة – آية (٢٧٧) .

متماسكة برابطة الإيمان ، فتتلاشى كلُّ الفوارق الاجتماعيَّة ، ولا شكَّ أنَّ كلَّ هذا له من الآثار الشعوريَّة الحسنة في قلب المسلم .

المثال الثاني : الزكاة وضبط المشاعر :

يظهر الضبط الشعوريُّ في ركن الزكاة بصورةٍ جليةٍ ، كما هو في كلِّ العبادات ، ليرسِّخ المفهوم العام في بناء التشريعات على اعتبار المشاعر ، بصورته النظريَّة والعمليَّة ، فقد تبيَّن لي بعد الإمعان في الارتباطات الشعوريَّة للزكاة ، أنَّ نظام الإنفاق العام قائمٌ على نظامٍ شعوريٍّ وجدانيٍّ فريد ، يحقق التوازن النفسيَّ للمجتمع عمومًا كما سيظهر لنا في الاتجاهات الآتية :

أولاً : فتنة المال شعوريًا :

المالُ نعمةٌ من نعم الله ، يسعى الإنسان لتحصيله والانتفاع به ، وهو فتنةٌ ابتلى الله بها عباده ، كما قال ﷺ (إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ) [1] ، لذا ينبغي على الإنسان أن يدرك حيثيات هذه الفتنة ، التي تفتك بكثيرٍ من النَّاس .

١ (**صحيح**) رواه الترمذي في سننه – أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ فِتْنَةَ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي المَالِ – وقال : (هذا حديث حسن صحيح غريب ، إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح) (ج٤ ، ص٥٦٩) ، وأحمد في مسنده – (ج٢٩ ، ص١٥) ، وابن حبان في صحيحه - كِتَابُ الزَّكَاةِ - ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْمَالَ قَدْ يَكُونُ فِيهِ فِتْنَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ – (ج٨ ، ص١٧) ، والحاكم في مستدركه – (ج٤ ، ص٣٥٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، كلهم من طريق لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ ،عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ ، عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ ، وهذا اسناد صحيحٌ لا علَّة فيه .

إنَّ فتنة المال تتولَّد من ناحية شعوريَّة أصلها الغلو في محبَّة المال ، قال تعالى : ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[1] فإذا خلا القلبُ من الإيمان ، وتعلَّق بالدنيا ، تعاظمت محبَّة المالِ في قلبه ، ليصبح جمع المالِ وتكسبه هدفاً يسعى إليه في ليله ونهاره ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ۞ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ [2]

إنَّ الغلو في حبِّ المال انحرافٌ في مشاعر المحبَّة ، يعالجه الإسلام بالإنفاق ، وتوجيه القصد إلى الانتقال من جمعه إلى توظيفه في محبَّة الله ، وهذا هو أثرُ المشاعر الحسنة كمحبة الله في توجيه الأعمال والمقاصد .

وإذا تجسدت مشاعر محبَّة المال بهذه الصورة ، تولَّد عنها جُملةٌ من الأخلاق السيِّئة كالكبر والحسد والمنِّ ، ويثمر كلُّ هذا اضطرابًا نفسيًا ووجدانيًا بسبب تولُّد مشاعر الخوف والقلق على ما جَمَعه من مالٍ ، والجزع عند فواتِ فرص جمعه فيُصيِّر الإنسان حياته كلَّها لأجل المال ، وهذه هي العبوديةُ بأجلى صورها :(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ[3]

---

١ سورة الفجر – آية (٢٠) .

٢ سورة الهمزة – آية (١ – ٣) .

٣ (وهي ثوب خزٌ أو صوف مُعلَم . وقيل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلَّمة ، وكانت من لباس الناس قديما ، وجمعها الخمائص) . ابن الأثير – **النهاية في غريب الأثر والرواية** – مادة خمص – (ج٢ / ص٨٠) .

، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ [1] فَلاَ انْتَقَشَ) [2].

ومن هنا سعى الهدي النبويُّ إلى حماية المؤمن من الآثار السيئة للتعلق بالمال .

ثانيا : عبادة الزكاة والمشاعر الإنسانيَّة :

وصف الله ﷻ حكمة تشريع الزكاة في كتابه بقوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [3] ، وهذا يدلُّ على أنَّ مقصد تشريع الزكاة يتجاوز النَّفع الماديَّ للفقير ، إلى نفعٍ ذاتيٍّ على الشخص المنفق ، بوصفين رائعين هما : تُطَهِّرُهُمْ ، وَتُزَكِّيهِمْ ، وهما محور العمليَّة التربويَّة القائمة على التخليَة من كلِّ سوءٍ ، والتحلية بكلِّ مرغوب .

ويظهر هذا جليًا في الجانب الشعوريِّ الذاتيِّ للمنفق ، فالزكاة تطهيرٌ من كلِّ شعور سيِّء بالإنفاق الذي يخلِّص المسلم من الأنانية ، وحبِّ الذات ، ليتحوَّل المالُ من مقصدٍ إلى وسيلةٍ ، فتزول مشاعر الخوف على فوات المال ، : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قَالَ اللَّهُ ﷻ : أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ ، وَقَالَ : يَدُ اللَّهِ

---

١ (أي إذا شاكته شوكةٌ لا يقدر على انتقاشها ، وهو إخراجها بالمنقاش) . ابن الأثير – **النهاية في غريب الأثر والرواية** – مادة شوك – (ج٢ / ص ٥١٠) .

٢ رواه البخاري في صحيحه - كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ الحِرَاسَةِ فِي الغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ – (ج٤ ، ص٣٤) .

٣سورة التوبة – آية (١٠٣) .

مَلْأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)[1] ، وتتلاشى مشاعر الجزع لأنَّ النبيَّ ﷺ وعد بالإخلاف : (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ)[2] ، لتتحوَّل أسهم المضاعفة من الدنيا الزائلة بكُلِّ ما فيها إلى الآخرة ، التي تستحق الإنفاق والإقراض : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3] .

وليست هذه المعالجة الشعوريَّة بفرض الزكاة خاصةً بالمنفق ، بل هي تتعدى إلى المحتاج الذي تتجسد في قلبه مشاعرُ الحزنِ على واقعه ، والخوفِ من مستقبله ، والحقد على مجتمعه الذي يعيشُ جُلُّ أفراده برفاهية تتجاوز حدود الاحتياجات ، ولا شكَّ أنَّ هذه المشاعر المثبطة هي أعظم الدوافع لتولُّد سلوكيات العُنف والإجرام ، والبحث عن سبل كسبٍ غير مشروعة ، مما يهدد الأمن المجتمعيَّ عموماً ، كما نرى في المجتمعات التي يتزايد فيها الفقراء ، فتزداد المشاعر السيِّئة ، وينتشرُ الفساد بكلِّ صوره .

---

١ رواه الشيخان – صحيح البخاري - كِتَابُ الزَّكَاةِ - بَابُ قَوْلِهِ : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ﴾ (هود : ٧) – (ج٦ ، ص٧٣) – صحيح مسلم - كِتَابُ الزَّكَاةِ – بَابُ الْحَثِّ عَلَى النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ – (ج٢ ، ص ٦٩٠) .

٢ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ – (ج٤ ، ص٢٠٠١) .

٣ سورة البقرة – آية (٢٤٥) .

ومن هنا ندرك حجم التكامل النفسيِّ الذي يحققه فرض الزَّكاة ، على المستوى الشعوري الفرديِّ والمجتمعيِّ ، لتلتقي فيه عواطف ومشاعر الغنيِّ والفقير على الحبِّ والودِّ والرحمة ، وهذه الثمرات الشعوريَّة هي المقصد الأسمى لهذه العبادة : عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ)[1] ، لتثمر الزكاة ما يمكننا أن نسميه العلاج الشعوريَّ المجتمعيَّ .

ثالثا : التكامل الشعوريُّ في تشريعات الزَّكاة في المنهج النبويِّ :

لا يقتصر الحديث هنا على بيان تفوُّق تشريعات الزَّكاة الشعوريَّة على العموميات النظريَّة التي سبق الإشارة اليها ، بل يتعدى الأمر إلى الجانب التطبيقيِّ في مراعاة مشاعر المنفق والمحتاج ، سواءً في عملية جمع المال وإنفاقه ، ويظهر هذا الأمر في المنهج النبويِّ في كلِّ ما يتعلق بالزكاة بصورةٍ جليَّةٍ .

ويمكننا هنا أن نرصد شيئاً من صور مراعاة المشاعر في عمليَّة الزكاة :

فمن مراعاة مشاعر المنفق مدحُه والثناء عليه ، وهذا يترك أثراً شعورياً حسناً على المنفق ، وما يترتب عليه من آثارٍ حسيَّة ومعنويَّة ، فـ (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ ، قَالَ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ

---

١ رواه الشيخان – البخاري - كِتَابُ الصَّلاَةِ - بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ – (ج١،ص١٠٣) – مسلم - كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ – بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (ج٤ ، ص١٩٩٩) .

فُلاَنٍ ، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى)[1] . ومن مراعاة مشاعر المنفق : توقي كرائم الأموال عند جمع الزكاة ، كما قال ﷺ : (فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ)[2] ، وكرائم الأموال هي : " نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها له " [3] .

قال الإمام مالك : (السُّنَّة عندنا ، والذي أدركتُ عليه أهل العلم ببلدنا ، أنَّه لا يضيَّق على المسلمين في زكاتهم ، وأنْ يُقبل منهم ما دفعوا من أموالهم)[4] ، ولا شكَّ أنَّ هذا الأمر له مدخلٌ شعوريٌّ دقيقٌ ، بقصد رفع الحزن والقلق عن المنفق ، إذا أُخِذ نفيس ماله .

وأمَّا فيما يتعلق بمراعاة مشاعر الفقير والمحتاج ، فهذا ما نجده مفصلا في مبحث مراعاة مشاعر الفقير ، في الفصل القادم إن شاء الله .

---

١ رواه الشيخان – البخاري – كِتَابُ الزَّكَاةِ - بَابُ صَلاَةِ الإِمَامِ، وَدُعَائِهِ لِصَاحِبِ الصَّدَقَةِ – (ج٢ ، ص١٢٩) – مسلم – كِتَابُ الزَّكَاةِ - بَابُ الدُّعَاءِ لِمَنْ أَتَى بِصَدَقَتِهِ – (ج٢ ، ص٧٥٢)

٢ رواه البخاري في صحيحه – كِتَابُ الزَّكَاةِ – بَابُ لاَ تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ – (ج٢ ، ص١١٩) .

٣ ابن الأثير – **النهاية في غريب الحديث والأثر** – (ج٤ ، ص ١٦٧) .

٤ ابن عبد البر - يوسف بن عبد الله – **الاستذكار** - تحقيق سالم محمد عطا - دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢١هـ - (ج٣ ، ص٢٠٤) .

المطلب الثاني : الجانب الإعلامي الخطابي :

الإسلام رسالةٌ عالميَّةٌ تحرص على التبليغ العامّ ، الذي يوصل دعوةً نقيَّةً لمبادئه وتعاليمه ، ومنذ أنْ طَرَقَ سمْعُ نبينا ﷺ قول الحقّ : ﴿ وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[1] وهو يحرص على الجدّ في إيصال هذا الخير ، استجابةً منه لقوله ﷻ : ﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾[2] .

ولذا ظهر الجانبُ الإعلاميُّ في سيرة النبيِّ ﷺ بصورةٍ مميزةٍ ، واتصف بأنَّه إعلامٌ شاملٌ للعقيدةِ والأخلاقِ والآداب ، متتبعٌ لجميع الشؤون السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة ، متنوعٌ في وسائله ، من الكتابة والموعظة والشعر والخِطابة ، قائمٌ على مبادئ هذا الدين السَّامية ، من تحرِّي الصدق والموضوعيَّة ، ونبذ التعصُّب والهوى . ويظهر تفوُّق الإعلام النبويِّ كذلك في طرق الإقناع التي يسلكها ، والتي تستند إلى الحُجَّة العقليَّة ، والتأثير الشعوريِّ ، وبهذا يحصُلُ التكامل المنشود ، الذي يلبي حاجات الإنسان .

يقول إبراهيم الحميدان في بحثه القيِّم : " الإقناع والتأثير ، دراسةٌ دعويَّةٌ " : " بالنظر إلى التطبيقات العمليَّة لأساليب الإقناع والتأثير في كتاب الله ، وسنَّة رسوله ﷺ ؛ فإننا نجد أنَّها تخاطب عقل الإنسان ، وتستثير عاطفته للالتزام والتطبيق .... وبذلك يمكن القول بأنَّ أسلوب الإقناع والتأثير الذي ينبغي أن يكون في دعوة النَّاس

---

١ سورة سبأ – آية (٢٨) .

٢ سورة المائدة – آية (٦٧) .

إلى الإسلام ، أظهر ما يكون في هذين الإطارين ، الأوَّل : أسلوب الإقناع والتأثير بالحُجَج القطعيَّة ، الثاني : أسلوبُ الإقناع والتأثير العاطفيّ " [1] .

ومن هنا يمكننا أن نتتبَّع الجوانب الشعوريَّة في الخطاب الإعلاميّ النبويّ ، لندرك أهميَّة المشاعر في هذا الاتجاه ، وأنا هنا سأقف مع أهمّ صور الإعلام النبويّ – في نظري – وهي الخطابة ، التي تعدُّ من أشهر وسائل الاتصال الجمعيّ [2] .

" والإعلام الخطابيُّ فرعٌ من فروع الإعلام النبويّ الشفهيّ ، وقد كانت هذه الوسيلة تستخدم لاستنهاض الهمم ، والحثّ على الفضائل ، أو جمع الشَّمل ، وإرهاب الأعداء وإصلاح الفكر والعقيدة " [3] .

ومن خلال تتبعي لأشهر خُطب ومواعظ النبيّ ﷺ ظهر لي جملة من جوانب التفوُّق النبويّ في إدارة المشاعر الإنسانيَّة ومراعاتها ، تبرز في النِّقاط الآتية :

---

١ الحميدان – إبراهيم صالح – **الإقناع والتأثير ، دراسةٌ دعويَّةٌ** – مجلة جامعة الامام محمد بن سعود – العدد (٤٩) – محرم ١٤٢٦هـ - ص (٢٧٢) .

٢ (الاتصال الجمعي يكون من مصدرٍ واحدٍ ، فردٍ أو جماعةٍ ، إلى عدد كبير من الأفراد ، كأن يكونوا قراء جريدة ، أو مجلة ، أو مستمعي إذاعة ، أو خطابة ، أو مشاهدي تلفاز ، وفي هذا يدخل الإعلام والدعوة على أوسع نطاق) - **الإعلام والدعوة الإسلامية** – محمد كمال – مجلة الأزهر – سبتمبر – سنة ١٩٨٤- الجزء الثاني عشر – ص (٢١٢١) .

٣ **الإعلام النبويُّ ودوره في خدمة الدعوة الإسلامية** – إسماعيل سعيد محمد رضوان – بحث مقدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر – الجامعة الإسلامية – غزة – ١٣٢٦هـ (ص٥٠٣) .

أولاً : التأثيرُ الشعوريُ العميقُ في نفوس المخاطبين ، والّذي يدلُّ على قدرة في التعامل مع المشاعر ، استجلاباً للحسنة منها وتثبيطاً للسيِّئة .

في حديث العرباض بن سارية ﷺ ، (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ)[1] ، فوصف الصحابيُ الجليلُ قمَّة التأثير الذي أصابهم ، والذي دلَّ على أثر هذه الخُطبة بال ، من زرع الخوف من الله ، واستشعار أهميَّة الطاعة ، حتى ظنَّ الصحابة الكرام أنَّها موعظة من يودِّع هذه الدنيا ، فيسعى لمزيد نصح وتوجيه .

ثانيًا : ومن جوانب اعتبار المشاعر في المنهج النبويِّ الإعلاميِّ ، تحيُّن اللحظات المناسبة في الخطاب مراعاةً لحال المخاطبين ومشاعرهم ، وهذا يتطلب قدرةً كبيرةً في فهم نفسيات النَّاس واحتياجاتهم في الأوقات المختلفة ، ولا شكَّ أنَّ لهذا الجانب أثراً كبيراً في تقبُّل الكلام ، وقدرة المتكلم على الإقناع والتأثير الوجدانيِّ :

---

١ (**صحيح** لغيره) رواه أبو داود في سننه – كِتَاب السُّنَّةِ – بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ – (ج٤،ص٢٠٠) والترمذيُّ في سننه وقال : (هذا حديث حسن صحيح) – أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ (ج٥ ، ص٤٤) ، وأحمد في مسنده (ج٢٨،ص٣٧٣)، كلهم من طريق عَبْد الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ ، وإسناد الترمذي أضعف لأن فيه بجير بن سعد ، قال ابن حجر في التقريب : (مقبول) (ص٣٤٧ ، رقم ٣٩٦) ، وقد تابع عبد الرحمن هذا كل من حجر بن حجر الكلاعي عند أحمد في المسند (ج٢٨،ص٣٧٥) ، وعبد الله بن أبي بلال الخزاعي عند أحمد (ج٢٨،ص٣٧٦) ، وعبد الله بن العلاء بن زيد عن يحيى بن أبى المطاع - الحاكم (ج١ ، ص٩٧) فالحديث صحيح بطرقه .

ولهذا لما طلب الصحابة من ابن مسعودٍ ﷺ أن يجالسهم دائمًا قال لهم : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا)[1] والسآمة هي الملل المتولد من تكرار الشيء واعتياده .

ويدخل في هذا عدم الإطالة في الخطاب ، والإسهاب في البيان ، مراعاةً لمشاعر الحاضرين ، خشية إملالهم ، وهذا حال النبيّ ﷺ الذي كان كلامه قصدًا ، وكان يقول : (إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ)[2].

ثالثًا : ومن الجوانب المهمَّة في التعامل الشعوريّ في الخطاب النبويّ ، تعميم النَّقد ، وعدم التصريح بشخص المقصود بالخطأ ، حفظًا لمشاعره من الإيذاء ، ونقلاً للقضية من الإطار الشخصيّ الضيّق ، إلى العامّ الذي يتسع فيه النَّفع للعموم ، ولهذا يَكثر في خطب النبيّ ﷺ ألفاظ التعمية ، كقوله : " ما بالُ أقوام يفعلون كذا وكذا " ، فـ (عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ، قَالَ : اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأَسْدِ ، يُقَالُ لَهُ : ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ – قَالَ عَمْرٌو : وَابْنُ أَبِي عُمَرَ – عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا لِي ، أُهْدِيَ لِي ، قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَحَمِدَ اللهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ ، فَيَقُولُ : هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي ،

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ العِلْمِ – بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا – (ج١ ، ص٢٥) ، ومسلم – كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ – بَابُ الاِقْتِصَادِ فِي الْمَوْعِظَةِ – (ج٤ ، ص ٢١٧٢) .

٢ رواه مسلم في صحيحه – كتابُ الجُمُعة – بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ – (ج٢–ص٢٥٤).

أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا ؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةٌ تَيْعِرُ)[1] .

نلحظ هنا أنّ النبيَّ ﷺ حفظَ مشاعر ابن اللتبية في هذا الخطاب من وجهين :

الأول : لم يصرِّح باسمه ، واكتفى بقوله : مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ .

الثاني : حوَّل القضية إلى خطاب عامٍ ، ليبعد الأضواء عن شخص ابن اللتبية ، وليوصل رسالة عامَّةً ينتفع منها الجميع : لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

رابعًا : ومن الجوانب المهمة في التعامل الشعوريِّ في الخطاب النبويِّ ، مراعاة مشاعر الأفراد ، وتلمُّس الاحتياجات الشعوريَّة الخاصَّة لبعض النَّاس أثناء الخطاب العام ، وهذا يدلُّ على شمولية اعتبار المشاعر ، وعدم إهمال أيِّ جانبٍ شعوريٍّ قد يطرأ في أي لحظةٍ .

فمن ذلك – على سبيل المثال – حديث (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ : إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ : فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ،

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا – بَابُ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الهَدِيَّةَ لِعِلَّةٍ – (ج٣، ص١٥٩) ، مسلم – كِتَابُ الإِمَارَةِ - بَابُ تَحْرِيمِ هَدَايَا الْعُمَّالِ – (ج٣،ص١٤٦٣).

فَعَجِبْنَا لَهُ ، وَقَالَ النَّاسُ : انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ المُخَيَّرَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، إِلَّا خُلَّةَ الإِسْلاَمِ ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ)[1] .

كانت هذه الخطبة في مرض النبيِّ ﷺ ، وقد دنا أجلُه ، وهو ﷺ يحرصُ على حفظ مشاعر أصحابه ، أن لا يدخلها هَمٌّ ولا حزنٌ ، ولذا فهو لا يُحبُّ أن يصارحهم بدنو أجله ، بل يُعرِّضُ لهم في الحديث ، " قال المُهلَّب : (فيه التعريض بالعلم للنَّاس ، وإن قلَّ فهماؤه ، خشية أن يدخل عليهم مساءة أو حزن)[2] ، إلاَّ أنَّ الصِّديق ﷺ بما آتاه الله من فهمٍ ثاقبٍ ، ومحبَّة خالصةٍ ، يدرك أنَّ النبيَّ ﷺ يقصدُ نفسه ، فيتفاعل مع الحديث حزنًا وبكاءً وتصريحًا بقوله : (فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا) .

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ المَنَاقِبِ – بابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ – (ج٥ – ص٥٧) ، مسلم – كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ – بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ – (ج٤ ، ص١٨٥٤) .

٢ ابن بطال – علي بن خلف - **شرح صحيح البخاري** – تحقيق ياسر بن إبراهيم - مكتبة الرشد – الرياض – ط٢ – ١٤٢٣هـ - (ج٢ ، ص١١٤) .

في هذه اللحظة يعالج النبيُّ ﷺ الموقف الشعوريَّ الخاص بأبي بكرٍ ، بجملة من الأمور التي تدلُّ على التفوق النبويِّ في المعالجة الشعوريَّة ، فقد نهى أبا بكرٍ عن البكاء ، ثمَّ أفاض عليه من المديح ، بذكر جُملةٍ من مناقبه ، ثُمَّ صرَّح بمحبته الخاصة له ، حتى كادت محبتُه أن تكون خُلَّة ، ثم تكون المكافأةُ العمليةُ التي تتوج هذا كله ، بسدِّ جميع الخوخات[1] الا خوخةَ أبي بكْرٍ ، كُلُّ هذا من شأنه أن يسهم في تثبيط مشاعر الحُزن ، وتنمية المشاعر نحو الرضا بعطاء الله ورسوله .

خامسًا : ومن الجوانب المهمَّة في التعامل الشعوريِّ ، في الخطاب النبويِّ ، في الجانب الإعلاميِّ إعطاء قيمةٍ معنويَّةٍ للمخاطب ، تسهم في حفظ مشاعره ، ورفع شأنه ، كتخصيصه بالذِّكر والثناء عليه ، والاستماع له ، من خلال فتح باب الحوار ، كلُّ هذا يُسهم في استقرار المشاعر ، ونجاح عملية الاتصال .

فمن ذلك أن النبيَّ ﷺ كان يُشْرِكُ أصحابه في خُطبه ، من خلال سؤالهم ، والاستئناس بآرائهم ، فـ (عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ ، قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ : أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ ، قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ ، قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ ، قُلْنَا :

---

١ الخوخة : (باب صغير كالنافذة الكبيرة ، وتكون بين بيتين ينصب عليها باب) ابن الأثير – **النِّهاية في غريب الحديث والأثر** – مادة خوخ – (ج٢ – ص٨٦) ، والمراد هنا المنافذ المؤدية للمسجد النبويِّ .

اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ ذُو الحِجَّةِ ؟ ، قُلْنَا : بَلَى ...)[1] .

" إنَّ إشراك الجمهور في العمليَّة الاتصاليَّة ، والحوار المفتوح ، وهذا الأسلوب الحواري في الإعلام له أثره الفعَّال في تحقيق الاقناع والاقتناع ، وهذا ما تؤكده الدراسات الاتصالية ، حيث تُعدُّ من مؤهلات الاقناع بالرِّسالة الإعلاميَّة إشراك الجمهور المتلقي في العمل الإعلاميِّ " [2] .

من ذلك الثناء على المخاطبين ، ومناداتهم بأحبِّ الأسماء إليهم ، ممَّا يرفع من قدرهم ، ويعين على إيصال الرِّسالة الإعلاميَّة دون أيِّ أذيَّةٍ شعوريَّةٍ ، كما كان النبيُّ ﷺ يخاطب النَّاس بقبائلهم ، (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ } ، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا ، فَجَعَلَ يُنَادِي : يَا بَنِي فِهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ – لِبُطُونِ قُرَيْشٍ – حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ..)[3] .

---

١ رواه الشيخان ، البخاري - كِتَابُ الحَجِّ - بَابُ الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى – (ج٢ ، ص١٧٦) ، مسلم - كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ – بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ – (ج٣ ، ص ١٣٠٥) .

٢ انظر : د. حمدي حسن أبو العينين – **الإتصال وبحوث التأثير** – دراسات الإتصال الجماهيريِّ – كويك للطباعة – القاهرة – ١٩٩٣م – ص (٤١) .

٣ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ - بَابُ { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ } ، أَلِنْ جَانِبَكَ – (ج٦ – ص١١١) .

وهكذا ظهر لنا أنَّ الخطاب النبويَّ راعى الجانب الشعوريَّ بصورة ملحوظةٍ ، إلى جانب الإقناع العقليِّ القائم على البرهان ، ليثمر هذا التركيب تفوقًا ظهر في جُلِّ المواقف الإعلاميَّة النبويَّة .

وقبل أن أختم هذا المبحث ، لا بُدَّ لي من إيراد مثالٍ عمليٍّ للمعالجة الشعوريَّة في الجانب الإعلاميِّ النبويِّ ، وذلك بالوقوف مع خطبةٍ من خُطب النبيِّ ﷺ واستخراج جوانب مراعاة المشاعر من خلالها :

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ : لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ ، قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي ، وَمَا أَنَا ؟ قَالَ : فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ ، قَالَ : فَخَرَجَ سَعْدٌ ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ ، قَالَ : فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَتَرَكَهُمْ ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ ، فَرَدَّهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ ، فَقَالَ : قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالَ : فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ

قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ؟ ، قَالُوا : بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ . قَالَ : أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، قَالُوا : وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ . قَالَ : أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا ، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ فِي رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا ، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ، اللهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ ، قَالَ : فَبَكَى الْقَوْمُ ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا)[1] .

تعطي هذه الخطبةُ مثالاً واقعيّاً تطبيقيّاً للتفوّق النبويِّ في مراعاة المشاعر الإنسانيَّة، وعلاج الجوانب النفسيَّة السيِّئة ، المترتبة عليها ، ذلكم أنَّ النبيَّ ﷺ بعد

---

١ (**حسن**) رواه أحمد في مسنده بهذا السياق الطويل (ج١٨ ، ص٣٢) من طريق محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، رواته ثقات ، وإسناده حسن لإجل محمد بن إسحاق ، وقد صرَّح هنا بالتحديث ، فلا شبهة بالتدليس ، والحديث مرويٌّ في الصحيحين والسنن بروايات مختصرة .

غزوة حنينٍ غَنِمَ كثيرًا من الغنائم ، فقسمها طائفةً من قريشٍ ، ولم يُعط الأنصار منها شيئًا ، فوجد الأنصار في أنفسهم لأجل هذا ، حتى قال بعضهم : (إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةٌ فَنَحْنُ نُدْعَى ، وَيُعْطَى الغَنِيمَةَ غَيْرُنَا)[1] .

ويمكننا هنا أن نلمحَ مشاعر الأنصار في هذه اللحظة ، والتي وصفها الرَّاوي: " وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ " ، أي حزنوا وغضبوا ، وهو مزيجٌ من المشاعر المثبِّطة ، نتيجة التحليل الخاطئ للموقف .

ولا شكَّ أنَّ فعل النبيِّ ﷺ كان لحكمةٍ قائمةٍ على جانب شعوريٍّ ، وهو تأليفُ قلبِ من أسلم حديثًا ، ليطمئنَّ قلبُه لهذا الدِّين ، قال ابن حجرٍ : " اقتضت حكمته أن تُقسَّم الغنائم على من لم يتمكَّن الإيمان من قلبه ، لِما بقي فيه من الطبع البشريِّ من محبَّة المال ، فقسمه فيهم لتطمئنَّ قلوبهم ، وتجتمع على محبته ؛ لأنَّها جُبلت على محبَّة من أحسن إليها ، ومنع أهل الجهاد من أكابر المهاجرين ، ورؤساء الأنصار ، مع ظهور استحقاقهم لجميعها ؛ لأنَّه لو قسَّم الغنائم فيها لكانت مقصورة عليهم ، فاقتضت هذه الحكمة أن توزع الغنائم في المؤلَّفة ، ويوكل مَنْ قلبه ممتلئ بالإيمان إلى إيمانه "[2] .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه – كِتَابُ المَغَازِي – بَابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ – (ج٥ ، ص١٦٠) .

٢ ابن حجر – فتح الباري – (ج٨ – ص٤٩) .

وقد ذكر النبيُّ ﷺ هذه الحكمة في أكثر من موضع فقال : " فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ "[1] .

ومن هنا فقد نَجَحَ النبيُّ ﷺ في هذا المنحى الذي بُني على أصلٍ نفسيٍّ يَقْصِد إلى التحوُّل الشعوريِّ من البغض إلى الحبِّ ، بسبب هذا العطاء ، فهذا صفوان بن أميَّة يقول : (وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي ، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ)[2] .

وعند التمعن في خطبة النبيِّ ﷺ للأنصار يمكننا أن نلمح التفوق الشعوريَّ في الجوانب الآتية :

أولا : اقتصر اللقاء على دعوة الأنصار دون غيرهم ، كما جاء في رواية مسلم أنَّه قال لهم : (أَفِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ ؟ فَقَالُوا : لَا ، إِلَّا ابْنُ أُخْتٍ لَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ)[3] فهي دعوة خاصةٌ لفئةٍ معينةٍ ، والانفراد النبويُّ

---

١ رواه الشيخان – البخاري – كِتَابُ المَغَازِي – بَابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ – (ج٥ ، ص١٥٦) ، مسلم – كتاب الزكاة – بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ – (ج٢،ص٧٣٣)

٢ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْفَضَائِلِ - بَابُ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ – (ج٤ ، ص ١٤٠٥) .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ المَنَاقِبِ – بَابٌ : ابْنُ أُخْتِ القَوْمِ وَمَوْلَى القَوْمِ مِنْهُمْ – (ج٤ ، ص١٨٥) ، مسلم – كتاب الزكاة - بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ – (ج٢ ، ص٧٣٥) .

بالأنصار له كثير من الملامح الشعوريَّة ، فمنها إعطاء قيمةٍ للأنصار بخصوصية الطرح ، وهم محور هذه الإشكاليَّة لا غيرهم ، كما أنَّ في هذه السريَّة حفظٌ لمشاعر المؤلَّفة قلوبهم عن شهود الموقف مع قول النبيِّ ﷺ : " أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا ، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا " ، ورحم الله الإمام البخاريَّ وهو يترجمُ : (بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا)[1] ، وذكر ابن حجر من فوائد الحديث : " وَفِيهِ جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ الْمُخَاطَبِينَ فِي الْخُطْبَةِ "[2].

ثانياً : استماع النبيِّ ﷺ للأنصار ، وإعطاء الفرصة لهم للتعبير عن مشاعرهم من هذا الحدث ، لمعرفة حقيقة مشاعرهم ، ومن ثمَّ الحوار الشعوريُّ بينه وبينهم ، حيث بدأ النبيُّ ﷺ خطابه بقوله : " يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ ؟ " فسمح لهم بإظهار حقيقة شكواهم .

ولا شكَّ أنَّ هذا الأمر يطفئ انفعالاتهم ، ويخفِّف من مشاعرهم السيِّئة ، بما يمكن تسميته التفريغ الذاتيَّ للمشاعر ، كما أنَّ السؤال يعطي الثقة للمسؤول بأنَّ ما سيكون من حُكمٍ لن يبنى على أخبار تكثر فيها آفات النقلةِ ، وإنما سيكون مبنيّاً على تصريحاتهم وبيانهم .

---

١ البخاري – محمد بن اسماعيل – الصحيح الجامع – كِتَابُ العِلْمِ – (ج١ ، ص٣٧) .

٢ ابن حجر – **فتح الباري** – (ج٨ ، ص٥٢) .

ثالثا : عالج النبيُّ ﷺ المشاعر السيِّئة المتجسدة عند الأنصار بالحُزنِ على فوات الغنيمة ، بلفت أنظارهم إلى ما حصل لهم من خيرٍ عظيمٍ ، بفوزهم بشخص النبيِّ ﷺ ، فعقد مقارنة بين ما جناه أولئك من خير الدنيا ، وبين الغنيمة الحقيقيَّة بحيازة رسول الله ﷺ بين أظهرهم ، وهذا الأمر من شأنه أن يثبِّط الحزن ، وينمي الفرح والغبطة في النَّفس ، فتصبح الغنائم لا قيمة لها ، مقارنة بما حباهم الله به من خيرٍ عظيمٍ ، قال ابن حجر " وَفِيهِ تَسْلِيَةٌ مَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا مِمَّا حَصَلَ لَهُ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ " [1] .

ومن ثمَّ فقد نمَّى النبيُّ ﷺ المشاعر الحسنة في نفوس الأنصار برفع منزلتهم ، وذكر فضائلهم ، قال : " فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا ، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ " ، وهذا يعالج مداخل نفسيَّة وشعوريَّةً كثيرة ، منها دفع الظنِّ أنَّ العطيّة مبنيَّةٌ على علو المنزلة ، ولا شك أنَّ المدح بصورته المعتدلة الخارجة عن الغلو ، يثمر ثمارًا عظيمة في نفس الممدوح ، ويدفعه لمزيد من العمل والإنجاز .

ثمَّ عزَّز النبيُّ ﷺ هذا المدح بالدعاء للأنصار دعاءً عامًّا يشمل ذريتهم ، ولك أن تدرك معي قيمة دعاء النبيِّ ﷺ في قلوب أصحابه لما فيه من البركة ، فشكَّل هذا الدعاء بُعدًا مهمًّا رفع من مشاعر الحُبِّ للنبيِّ ﷺ ، واحتقار هذه الدنيا إذا ما قورنت

---

١ ابن حجر – **فتح الباري** – (ج٨ ، ص٥٢) .

بمغفرة الله ﷻ ، ولا شكَّ أن الدعاء في مثل هذه اللحظات ، يمثل أهميةً كبيرةً لكسب قلوب القوم .

والسؤال هنا : هل نجح النبيُّ ﷺ في تعزيز مشاعرهم الحسنة ، وكسب قلوبهم ؟

يطلعنا الحديث في نهايته بثمرة هذا الخطاب : " فَبَكَى الْقَوْمُ ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا " ، وهذا يدلُّ على نجاح النبيِّ ﷺ في عملية الإقناع التي بنيت على ركني البرهان العقليِّ ، والشعور الوجدانيِّ .

المطلب الثالث : الجانب التربويُّ :

تنوعت التعريفات التي تناولت مفهوم التربية بالبيان والتوضيح ، إلا أنَّها تتفق على أنَّها عمليَّةٌ تهدف لرعاية الإنسان في جوانبه الجسميَّة والعقليَّة والشعوريَّة ، نحو تكوين العادات الحسنة ، والمحافظة على الفطرة السليمة .

وتمثِّل التربية الإسلاميَّة المستقاة من الكتاب والسنَّة بصورتها المتكاملة ، تطورًا لمفهوم التربية ، نتيجة ارتباطها بجملة العقائد والتشريعات الإسلاميَّة التي ترسم تصورًا عن الكون والإنسان والحياة ، لتحقق الهدف الكليَّ للتربية ، وهو صناعة إنسان يحقق العبودية بمفهومها الواسع ، الذي يشمل كلَّ محددات التعامل ، لتقود إلى سعادة الدنيا والآخرة ، وهذه هي الثمرة التي ترجوها التربية الإسلاميَّة .

" ويمكننا أن نعرِّف التربية النبويَّة بدون شطط أو مُغالاة بأنَّها " عمليةٌ متكاملةٌ " وهو ما فيه سبقٌ فريدٌ للمفهوم العصري الحديث للتربية ، وتصحيحٌ

للأخطاء والانحرافات العالقة به ، سواء في الجانب النظري أم الجانب التطبيقي ... ونعني بقولنا أن التربية المحمديَّة " عمليَّة متكاملة " عنايتها بالجانب الروحيِّ والعقليِّ والوجدانيِّ والأخلاقيِّ والاجتماعيِّ والجسديِّ في تكوين الشخصيَّة الإنسانيَّة ، وفق معيار الاعتدال والاتزان ، فلا إفراط في جانبٍ دون غيره ، ولا تفريط في جانب لحساب آخر "[1] .

من جملة ما سبق ندرك أنَّ المنهج النبويَّ التربويَّ عُني بالجانب الشعوريِّ بصورة كبيرة ، لِما له من أثرٍ بالغٍ في استقرار النَّفس الإنسانية ونجاحها ، فالمشاعر منبع تكوين القيم والاتجاهات .

ومن هذا المنطلق ظهر مفهوم التربية الوجدانيَّة ، والتي تعَّرف بأنَّها " مجموعة العمليات التي تهتم بتنمية الجوانب الوجدانيَّة لدى الفرد ، من مشاعر وعواطف وأحاسيس وانفعالات ، وتهذيبها وتوجيهها التوجيه الإسلاميَّ السليم ، ممَّا يجعلها تؤثِّر تأثيرًا إيجابيًا على سلوك ذلك الفرد "[2] .

١ الزنتاني - **أسس التربية الإسلامية في السنَّة النبويَّة** – (ص١١) .

٢ الشهري – محمد علي - **التربية الوجدانية للطفل وتطبيقاتها التربوية** – رسالة ماجستير – جامعة أم القرى – ١٤٣٠هـ - ص (٥٠) .

ومن خلال تعريف التربية الوجدانيَّة ، نجد أنَّ المنهج النبويَّ الشعوريَّ يضع أُسسًا هامَّة للتنشأة ، تهدف لتنمية المشاعر الإنسانيَّة بصورتها السليمة ، فهو يعترف أولاً بالمشاعر والانفعالات الذاتيَّة ، ويسعى لتقويمها ، وحسن رعايتها .

يقول الزنتاني : " وبدراسة المضامين التربويَّة في السنَّة النبويَّة ، نجدها تعترف بالانفعالات وأهميَّة آثارها في تكوين الشخصيَّة الإنسانيَّة ، وتهتمُّ بتوجيهها وجهةً رشيدةً حتى يكتمل نضجها لدى الناشئ ، بحيث يصبح قادرًا على ضبط نفسه، والتحكم في نوازعها وأهوائها ، وإشباعها بالسبل المشروعة المتاحة ، وعدم الانسياق وراء تيارها المدمر للفرد والجماعة " [1] .

والمتتبع للمنهج التربويِّ الشعوريِّ المستقى من المنهج النبويِّ يدرك تلك الشموليَّة لجميع المراحل ، وفي هذا المبحث سنقف مع مرحلتين مهمتين من مراحل النشوء الإنساني لنرى نماذج من التعامل الشعوريِّ النبويِّ معهما ، وهما مرحلتا الطفولة والمراهقة :

أولاً : مرحلة الطفولة :

تهدف التربيةُ الشعوريَّةُ النبويَّةُ إلى توفير الحاجات الشعوريَّة لدى الطفل ، لتحقيق الصحَّة النفسيَّة لديه ، عن طريق تزويده بالمشاعر التي يحتاجها ، وقد تبيَّن لي أنَّ التربية الشعوريَّة السليمة للطفل ، توصل إلى إشباع حاجات الطفل الوجدانيَّة

١ الزنتاني - **أسس التربية الإسلامية في السنَّة النبويَّة** - ص (٥٤٢) .

، وهذا يحقق التوازن النفسيّ لديه ، كما أنّ لها أثرًا كبيرًا على تنمية شخصيَّة الطفل ، وتحقيق التوافق الشخصيّ له .

إنَّ المتتبع للمنهج النبويّ يجد أنَّه اعترف بالحاجات الشعوريَّة للطفل في مراحل حياته الأولى : وفي المنهج النبويّ جميع احتياجات النمو الشعوريّ لدى الطفل ، وهي تبنى على أساسين شعوريَّين مهمَّين :

الأول : إشباع الجوانب الشعوريَّة عند الطفل :

يقول الشّهريّ : " إنَّ للطفل حاجاتٍ وجدانيةٍ يجب على الآباء والمربين إشباعها ، والحرمان من إشباعها قد يؤدي إلى خلل في الإتزان ، إنَّ للتربية الوجدانيَّة والعاطفيَّة عند الأطفال أسسًا تربويَّةً تقوم عليها ، مستنبطة من سيرة النبيّ ﷺ في تعامله مع الأطفال " [1] .

فمن صور إشباع الجوانب الشعوريَّة ، إشباع الحاجة للحُبّ ، والتي تولِّد عند الطفل استقراراً شعوريًا يسير به نحو النموّ الوجدانيّ السليم ، ويقيه الاضطرابات النفسيَّة ، ويحقق له السواء الوجدانيّ الذي يحتاجه في هذه المرحلة الهامة ؛ (فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ ، وَيُقْعِدُ الحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ

---

١ الشهري – **التربية الوجدانية للطفل وتطبيقاتها التربوية** – ص (٣) .

الأُخْرَى ، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ، ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا)[1] (وعن البَرَاءَ ﷺ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ)[2].

إنَّ زرع المشاعر الحسنة في ذات الطفل له أثرٌ بالغ على تنمية الوازع الدينيِّ ، وذلك عن طريق تنمية كلِّ شعورٍ حسنٍ ، ممَّا يخلِّص النفس من الأحقاد والمشاعر السيئة تجاه الذَّات والغير ، وهذا يولِّد لدى الطفل قدرة على ضبط انفعالاته الذاتيَّة تجاه الآخرين . " أمَّا الطفل الذي لا يُشبع هذه الحاجة من الحُبِّ فإنَّه يُعاني من الجوع العاطفيِّ ، ويشعُر أنَّه غير مرغوبٍ فيه ، ويصبح سيِّء التكيُّف والتوافق ، مضطربًا نفسيًا " [3] .

الثاني : إبعاد الطفل عن كلِّ أذيَّةٍ شعوريَّة محتملةٍ .

وهذا ما سوف نناقشه في مبحث مراعاة مشاعر الطفال بمشيئة الله [4] .

---

١ رواه البخاري في صحيحه – كِتَابُ الأَدَبِ – بَابُ وَضْعِ الصَّبِيِّ عَلَى الفَخِذِ – (ج٨ ،ص٨).

٢ رواه البخاري – كِتَابُ المَنَاقِبِ – بَابُ مَنَاقِبِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – (ج٥،ص٢٦) ، مسلم - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ - بَابُ فَضَائِلِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – (ج٤ ، ص ١٨٨٣) .

٣ الشهري – محمد علي - **التربية الوجدانية للطفل وتطبيقاتها التربوية** – ص (٦٤) .

٤ انظر : ص (١٨١) .

ثانيا : مرحلة المراهقة :

من المراحل الهامة التي يظهر فيها تفوق المنهج النبويِّ الشعوريِّ هي مرحلة ما يسمى بالمراهقة ، وهي المرحلة التي تشهد تغيرًا فسيولوجيًا وشعوريًا بالغًا ، " وقد لا يكون من المبالغة تسمية المراهقة بمرحلة العواصف النفسيَّة ، لما تثيره في المراهق من مخاطر واندفاع ، وما يظهر فيها لديه من آراء متباينة في التفكير والعواطف والانفعالات ، وفي القيم والمبادئ والاتجاهات وغيرها " [1] .

لقد سجَّل علماء النَّفس كثيرًا من المظاهر النفسيَّة التي تبنى على أصلٍ شعوريٍّ ، ممَّا ينتشر عند المراهقين ، وهي الرغبة الشديدة في التفرُّد والإنعزال ، وعدم الاستقرار الذاتيِّ ، المتمثِّل بكثرة السَرَح وأحلام اليقظة ، وتولُّد الرفض والعناد في ذاته ، ونمو شعور الحياء في نفسه ، وعدم الثقة بذاته [2] ، وهذه المظاهر تدلُّ دلالةً واضحةً على أهميَّة مراعاة مشاعر المراهق ، بما يوصله إلى السواء النفسيِّ .

ولذا حرص المنهج النبويُّ على التعامل مع المراهق في هذه الفترة تعاملاً متكاملاً يشمل الإقناع العقليَّ ، والإشباع الشعوريَّ ، وتحييدِ الإضطرابات النفسيَّة التي قد تتولد نتيجة شعوره بأنَّه انتقل من مرحلة الطفولة إلى الرجولة " واذا نظرنا

---

١ الزنتاني – **أسس التربية الاسلامية في السنة النبوية** – ص (١٠٠) .

٢ انظر : بحث **أساليب التعامل مع المراهق** – إسماعيل محمد حنفي – مجلة دراسات دعوية – العدد السابع – يناير ٢٠٠٧ – ص (١٦٠ – ١٦١) .

إلى موقف السنّة النبويّة المطهرة من النمو الوجدانيّ الانفعالي والعاطفيّ في هذه المرحلة ، لوجدناه موقف الاهتمام والتأكيد على حسن الرّعاية والعناية ، وحسن معاملتهم وتوجيههم وإرشادهم ، فهي توجّهنا إلى الأخذ بأسباب الرفق والرحمة والعطف في معاملتنا ، وفي مواقفنا من انفعالاتهم وعواطفهم المتأرجحة ، والتي لم تستكمل أو تصقل بعد " [1] .

ومن صور الخطاب النبويّ الشعوريّ مع فئة الشباب عموماً ما جاء في حديث (أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : مَهْ . مَهْ . فَقَالَ : " ادْنُهْ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا " قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ : " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟ " قَالَ : لَا . وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ " . قَالَ : " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ " قَالَ : لَا ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ " . قَالَ : " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟ " قَالَ : لَا ، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ " . قَالَ : " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ " قَالَ : لَا ، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ " . قَالَ : " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ " قَالَ : لَا . وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : "

١ الزنتاني – أسس التربية الإسلامية في السنة النبويّة – ص (٦٨) .

وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ " . قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : " اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ : فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ)[1].

في هذا الحديث تعاملٌ نبويٌّ فريدٌ مع هذا الشاب بُني على جانبين هما : الإقناع العقليُّ والخطاب الشعوريُّ ، ويتمثل الجانب الشعوريُّ في أنَّ النبيَّ ﷺ أنكر زجر الصحابة كأسلوبٍ للإنكار ، يقوم على التخويف ، وسعى للتعامل الشعوريِّ السليم مع هذا الشابِّ ، الذي تتقدُ في نفسه حاجةٌ إنسانيّة هامَّة ، فيبحث عن مخرجٍ شرعيٍ لإشباعها ، فيبدأ النبيُّ ﷺ بإعطائه عنصر الأمان ، حيث أمره بأن يدنو منه ، لينفي الخوف من ذاته ، ويهيُّء جوًا تعليميًا آمنًا .

ثمَّ سلك النبيُّ مسلك الإقناع العقليِّ بأسلوبِ السؤال والجواب ، الذي يركِّز على أصل الفكرة ، ويشارك الشاب من خلاله في تأصيل الفكرة ، ثم يبلغ الإحسان النبويُّ في التعامل الشعوريِّ ، بلمسة حنانٍ على صدره ، تجسِّد معنى الحُبِّ والشفقة ، وتدفع الشاب لتكوين قناعةٍ نفسيِّةٍ تكون قاعدةً صلبةً لتعديل السلوك السيِّء ، ولذا خُتم الحديث بالثمرة التربويَّة التي يرجوها كل داعية " فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ " .

---

١ (**صحيح**) رواه أحمد في مسنده – (٣٢/ ٥٤٥) ، والطبراني – سليمان بن أحمد – المعجم الكبير – تحقيق حمدي السلفي – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط٢ – (ج٨ ، ص١٦٨) من طريق يزيد بن هارون ، عن حريز بن عثمان ، عن سليم بن عامر ، عن أبي أمامة ، وهذا السند صحيح ورجاله ثقات .

المطلب الرابع: الجانب التعليمي :

حرص المنهجُ النبويُّ على اعتبار الجانب الشعوريِّ في التعليم ، وأقصدُ بذلك أنْ تتم العمليةُ التعليميَّةُ على أساسٍ شعوريٍّ يهدف لحفظ المشاعر وتنميتها ، ويسعى لعدم أذيَّتها ، ومن ثمَّ توفيرُ بيئةٍ شعوريةٍ ونفسيةٍ ، تحيط بالعمليَّة التعليميَّة .

ويمكننا أن نشير هنا إلى جملة من هذه الأمور :

أولاً : التهيئة الشعوريَّة قبل إلقاء المعلومة :

وتهدفُ إلى تهيئة المتلقي لتحصيل العلم ، وإيجاد بيئة آمنة تعين المتلقي على الإنتفاع بما يسمع ، فمن ذلك (عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّ رَسُولَ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ : يَا مُعَاذُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ : " أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)[1] .

لقد قدَّم النبيُّ ﷺ وسيلة شعورية بذكر التصريح بالحبِّ ، وتكرار ذلك ، ثمَّ جاء إلقاء المعلومة ليشكِّل التصريح الشعوريُّ مدخلاً نفسيًا يملأُ القلب طمأنينةً ، ويُشعر المتلقي بخصوصية التوجيه .

---

١ (**صحيح**) رواه أبو داود - كِتَاب الصَّلَاةِ - بَابٌ فِي الِاسْتِغْفَارِ- (ج٢ ، ص٨٦) ، والنسائي في السنن - كِتَابُ السَّهْوِ - بَابُ الدُّعَاءِ بَعْدَ الذِّكْرِ – (ج٣ ، ص٥٣) ، واحمد في مسنده – (ج٣٦،ص٤٣٠) من طريق عبد بن يزيد المقرئ ، عن حيوة بن شريح ، عن عقبة بن مسلم ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن الصنابحي ، عن معاذ بن جبل ، وهذا السند رجاله ثقات بل هم رجال الصحيح غير عقبة بن مسلم التجيبي المصري وهو ثقة .

وقد يتعدى الأمر مجرّد القول إلى الفعل الذي يولّد المشاعر الحسنة ، (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ)[1] .

ثانيًا : معالجة الخطأ دون إيذاء المتعلم شعوريًا :

(عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ، قَالَ : بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ ، مَا شَأْنُكُمْ ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ، فَوَاللهِ ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي ، قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ » أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ)[2] .

لقد صرَّح معاوية ﷺ بالأثر النفسيّ الذي تركه أسلوب النبيّ ﷺ بقوله " مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ، فَوَاللهِ ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي"

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ العِلْمِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ - (ج١،ص٢٦) .

٢ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ - بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ – (ج١ ، ص٣٨١) .

فابتعد النبيُّ ﷺ عن أيِّ أسلوب قد يؤذي مشاعره ، وسلك مسلك التعليم المبنيِّ على اعتبار المشاعر ، ممَّا ولَّد في نفس معاوية ﷺ طمأنينة واستقرارًا .

يدلنا على ذلك ما كان من حوار بينه وبين النبيِّ ﷺ بعد ذلك ، واستطراد معاوية ﷺ في حديثه ، ممَّا يوضِّح أنَّ النبيَّ ﷺ نجح في ضبط شعوره ، ومعالجة ما تولَّد في ذاته من آثار زجر الصحابة له ، قال النوويُّ : (في الحديث رفقُه ﷺ بالجاهل ، وحسن تعليمه ، واللطف به ، وتقريبُ الصَّواب إلى فهمه)[1] .

ومن الجوانب التي يظهر فيها مراعاة المشاعر في الجانب التعليميِّ ، ما يتعلق بنقد الأشخاص ، وتصويب الأخطاء ، والتعليق على السلوكيات ، ذلكم أنَّ تصويب الخطأ الذي يقع فيه الإنسان ، من النصيحة التي أمر الله بها ، كما أنَّه منهج القرآن الكريم الذي كان كثيرًا ما يعلِّق على جملة من المواقف ، ليصوِّب المفاهيم والسلوكيات ، قال ﷻ ﴿ مَا كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ ﴾[2] ، وعلى هذا الهدي الكريم سار النبيُّ ﷺ ، فسلك سبيل النقد السالم من أيِّ أذيَّة شعوريَّة محققة أو محتملة .

---

١ النووي – يحيى بن شرف - **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** - دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٢ – ١٣٩٢هـ - (ج٥ ، ص٢٠) .

٢ سورة التوبة – ص (١١٣) .

إنَّ تتبع المنهج النبويِّ في التعامل مع أخطاء البشر من الأهمية بمكان ، لإنَّه منهجٌ يرافقه الوحي اقرارًا وتصويبًا ، وهو يضع القواعد الرئيسة في أسلوب النقد المتكامل ، الذي يُحسن تصويب الخطأ بالأسلوب المناسب ، والطريقة السليمة ، لذا نلمح مراعاة المشاعر واضحةً كمقيد مهمٍّ في عملية النصح والتعليم ، وهو يُظهر أهميَّة وجود رؤيةٍ شرعيَّة تأصيليَّة للجانب الشعوريِّ في النقد [1] .

لقد رفض المنهج النبويُّ كلَّ أسلوب هدميٍّ من أساليب النقد ، يشتمل على أذيَّة شعوريَّة : كالغيبة والتعيير والتحقير والسخرية والقذف والذم ، وهذا يشير إلى بناء منهج تصويب الأخطاء على مراعاة المشاعر .

المطلب الخامس : الجانب الاجتماعيُ :

من مزايا المنهج النبويِّ أنَّه يقود في مبادئه إلى مجتمع متماسك ، يخلو من مظاهر الفرقة والتنازع بين أفراده ، ليغدو المجتمع لُحمةً واحدةً ؛ ذلكم أنَّه يضع لكلِّ فردٍ من الحقوق والواجبات التي تضمن حصول استقرارٍ نوعيٍّ في جميع مناحي الحياة ، وهذا ما اصطلح على تسميته بالأمن الاجتماعيِّ .

---

١ من هذه المحاولات التي تستحق الثناء رسالة (الهديُ النبويُّ في نقد الذات والآخر) للأخت فايدة إبراهيم ، فقد وجَّهت الأنظار إلى الجانب الشعوريِّ كمقيدٍ أصيلٍ في عمليَّة النقد النبويِّ ، وذكرت أنَّ من خصائص الأداء النقدي النبويِّ أنَّه (لا يستهدف شخوص المنقودين أو ذواتهم ، ولا يظهر عيوبهم أو يشهِّر بهم ، بل يحافظ على كرامتهم ، ويرفع من تقديرهم لذواتهم ، ويبتعد عن إثارة واستفزاز المشاعر السلبيَّة لديهم) عواد – فايدة – **الهدي النبوي في نقد الذات والآخر** – رسالة ماجستير – الجامعة الأردنية – ٢٠٠٧م – ص(٢١٤) .

والأمن الاجتماعيُّ مفهوم مركبٌ من لفظين ؛ (الأمنُ) : الذي يقصد به ما يقابل الخوف والفزع والجزع ، من حصول الطمأنينة والسكينة ، و(الاجتماعيُّ) : وهو " وصفٌ للسلوك أو الموقف نحو الآخرين ... وهو يعني : المواقف التي فيها تأثير متبادلٌ بين فرقاء ، تربطهم روابطُ وعلاقاتٌ " [1] .

بمعنى أنَّ الأمنَ الاجتماعيَّ هو في حقيقته استقرارٌ شعوريٌّ مجتمعيٌّ ، يصل به الفردُ الى سواءٍ نفسيٍّ ، نتيجة تعايشه في بيئة شعورية آمنةٍ ، " ذلك أنَّ الإنسان كفرد مدنيٌّ واجتماعيٌّ بطبعه ، وبحكم حاجاته ، وأمنُه الحقيقيُّ ، وإن بدأ بدائرته الفرديَّة ، فإنه لا يستقيم ولا يتحقق إلا إذا عمَّت آفاقه الاجتماع والجماعة والعمران "[2] وهذا الاستقرار الشعوريُّ ثمرة تصحيح علاقة المؤمن مع ربِّه من جهة ، والقيام بحقوق النَّاس التي منها ما هو ماديٌّ ، ومنها ما هو نفسيٌّ شعوريٌّ .

ولا يُدركُ أهمية هذا التوازن الشعوريِّ في المجتمعات ، إلاَّ من تفطن إلى جملة من العقوبات الربَّانية التي تفتك بالأُمم إذا خالفت منهج الله ، والتي هي في حقيقتها اضطرابٌ شعوريٌّ يصيب المجتمع ، فيَشلُّه عن عجلة التنمية ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ

١ **معجم العلوم الاجتماعية** — نخبة من الاساتذة المصريين والعرب المتخصصين — تصدير إبراهيم مدكور — يونسكو — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٥م — ص (١٣) .

٢ محمد عمارة — **الإسلام والأمن الإجتماعي** — دار الشروق — ط١ — ١٩٩٨م — ص (١٣) .

بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[1] ولك أن تتفكّر في ثمرات الخوف على عامّة المجتمع .

وإذا أصاب الجماعة مثل هذا الانحراف الشعوريّ الخطير ، فإنّه لا ملاذ لها إلا تصحيح مسارها ، لتعود إلى تحقيق التوازن النفسيّ الذي تحقق فيه التبديل الشعوريّ نحو التوازن ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾[2] .

من هذا المنطلق بَنى المنهجُ الشعوريُّ النبويُّ أصوله الثابتة القائمة على ركني مراعاة مشاعر الفرد الذاتية ، ومراعاة مشاعر الآخر ، ليسهم هذا كلّه في إيجاد توازن في المجتمع .

ويمكننا هنا أنْ نلفت النظر إلى جملة من الأمور التي تُظهر تفوق هذا المنهج على المستوى الاجتماعيّ ، من خلال بيان شيءٍ من التشريعات النبويّة ، التي تهدف لتنمية المشاعر الحسنة ، وتثبيط المشاعر السيّئة في المجتمعات .

١ سورة النحل – آية (١١٢) .

٢ سورة النور – آية (٥٥) .

يلمح المتمعن في النصوص النبويّة المجتمعيّة ، كثيرًا من المبادئ والأسس التي تحمل معاني شعوريّة ، وتقصد إلى التوافق النفسيّ بين أفراد المجتمع المسلم ، فهي تشريعاتٌ شعوريةٌ تثبت بما لا يدع مجالاً للشك ، أنَّ حفظ المشاعر جزءٌ لا يتجزء من عملية الإصلاح التي تتبناها السنَّة النبويَّة .

فمن ذلك ما كان في قصة وليمته ﷺ على زينب بنت جحش رضي الله عنها ، ونزول قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ وَلكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾[1] فقد أخرج البخاريُّ في صحيحه من حديث أنس ﷺ ، قال : (بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ ، فَأُرْسِلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ ، قَالَ : ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ ، وَبَقِيَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَقَالَ : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَقَالَتْ : وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ ، فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا ثَلاَثَةٌ مِنْ رَهْطٍ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ ،

---

١ سورة الأحزاب – آية (٥٣) .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَدِيدَ الحَيَاءِ ، فَخَرَجَ مُنطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَمَا أَدْرِي آخْبَرْتُهُ أَوْ أُخْبِرَ أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا فَرَجَعَ ، حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ البَابِ دَاخِلَةً ، وَأُخْرَى خَارِجَةً أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الحِجَابِ)[1] .

فهذه دعوة ربانيةٌ للصحابة الكرام ومن تبعهم لأهمية التنبه للموقف الشعوريّ ، ومراعاة المشاعر النفسيَّة في المواقف الاجتماعيَّة ، حيث عدَّ النصُّ القرآني عدم مراعاة حال النبيِّ ﷺ في هذا الموقف ايذاءً لمشاعره ، فقد كان النبيُّ ﷺ شديد الحياء ، وهذا الأمر يمنعه من إبداء العذر في هذه اللحظة ، اذاً لا بدَّ من التنبه الذاتيِّ للمشاعر ، خشية الوقوع في مثل هذا الأمر.

ثم جاء نهى النبيِّ ﷺ المباشر عن الأذية الشعوريَّة بين أفراد المسلمين ، ففي حديث ابن عمر أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ)[2] .

إنَّ احتقار المسلم له من الأثر السيِّء على المشاعر ، فهو يولِّد الحزن والكره ، ويحطم أواصر المحبَّة بين الإخوة ، وهذه المحبَّة هي الأصل في توليد العلاقات

---

١ أخرجه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ - بَابُ قَوْلِهِ : { لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا ... } – (ج٦،ص١١٨).

٢ رواه مسلم - كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ ، وَخَذْلِهِ ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ ، وَمَالِهِ – (ج٣ ، ص١٩٩٦) .

السليمة بين الأفراد ، لذا قال النبيُّ ﷺ : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[1] ، فذكر النبيُّ ﷺ مصطلح التواد ، الذي يدلُّ على أنَّ مشاعر الحبِّ هي التي تُكوِّن الدافعيَّة للسلوك الجيِّد داخل المجتمع .

إنَّ الإيذاء الشعوريَّ يشكِّلُ معول هدمٍ خطيرٍ ، يهدِّد العلاقات الاجتماعية على جميع المستويات ، لما يحدثه من أثرٍ نفسيٍّ سيءٍ ، يقود إلى التنازع والخلاف ، ومن ثمَّ تبديد الطاقات الحيَّة نحو الضياع ، ومن هنا فإننا نلحظ جلياً من خلال تمعننا في حيثيات المنهج النبويِّ الشعوريِّ أنَّه يؤصِّل لحفظ المشاعر ، لإيجاد السواء النفسيِّ في المجتمع عموماً .

إنَّ الدراسات الحديثة تُحذِّرُ من آثار التعامل الشعوريِّ السيِّء على مستوى المجتمعات ، فهذا دانيال جولمان في كتابه المشهور (الذكاء الوجدانيّ) يشير إلى انهيارٍ محتملٍ في المجتمع الأمريكيِّ بسبب التعامل السيِّء للمشاعر ، والذي ولَّد

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الأَدَبِ – بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ – (ج٨ ، ص١٠) ، مسلم – كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ – (ج٤،ص١٩٩٩) .

كثيرًا من الآثار السيِّئة ، من مثل الشعور بالقلق والاكتئاب ، والجنوح والعدوانيَّة ، والانسحاب والوحدة [1] .

وصدق الحقُّ وهو يوجِّه نبيه لهذا فيقول : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [2]. وإليك بعض الأحاديث التي توجِّه بعض السلوكيات الفرديَّة خشية الأذيَّة الشعوريَّة المحتملة :

– عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ) [3] .

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ) ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ : (مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ) [4].

---

١ انظر الفصل الخامس عشر من الكتاب – **الذكاء العاطفي**– دانييل جولمان – ترجمة ليلى الجبالي - سلسلة عالم المعرفة – رقم (٢٦٢) – ٢٠٠٠م – ص (٣١٧) .

٢ سورة آل عمران – آية (١٥٩) .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ – بَابٌ : لاَ يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ – (ج٨ ، ص٦١) ، مسلم في صحيحه – كتاب الآداب – بَابُ تَحْرِيمِ إِقَامَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ مَوْضِعِهِ الْمُبَاحِ الَّذِي سَبَقَ إِلَيْهِ – (ج٤ – ص١٤١٧) .

٤ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْآدَابِ - بَابُ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ عَادَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ – (ج٤، ص١٥١٧) .

- عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى)[1] .

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (إِذَا كَانُوا ثَلاَثَةٌ ، فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ)[2] .

هذه التوجيهات النبويَّة المجتمعيَّة ، والتي تتعلق بآداب الجلوس ، جمعتها هنا لأدل على أنَّها تشريعاتٌ بنيت على أساسٍ نفسيٍّ شعوريٍّ ، تؤدي إلى التوافق النفسيِّ بين أفراد المجتمع ، وتمنع الإساءة الشعوريَّة من أيِّ فردٍ لإخيه .

إنَّ الجلوس في مكان الغير ، والتفريق بين اثنين في المجلس ، وتخطي رقاب الجالسين ، والتناجي بين اثنين دون الثالث ، كلُّ ذلك يُدخِلُ الحُزنَ على الأفراد ، والبغض لبعضهم البعض ، ممَّا له أثرٌ سيِّء على المجتمع ، من نشر ثقافة الطبقيَّة ، المبنيَّة على الظلم والكِبر ، وهكذا نلمح هذا التفوُّق النبويُّ في جُلِّ التشريعات التي

١ رواه البخاريُّ في صحيحه – كِتَابُ الجُمُعَةِ – بَابُ الدُّهْنِ لِلْجُمُعَةِ – (ج٢ ، ص٣) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الاِسْتِئْذَانِ – بَابُ لاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ – (ج٨،ص٦٤) ، مسلم – كتاب الآدَابِ - بَابُ تَحْرِيمِ مُنَاجَاةِ الاِثْنَيْنِ دُونَ الثَّالِثِ بِغَيْرِ رِضَاهُ – (ج٤،ص١٧١٧) .

تنظِّم علاقة الأفراد معًا نحو تكوين مجتمعٍ تترسخُ فيه الأخلاق الساميةُ والمبادئ الكريمةُ .

إنَّ السنَّة النبويَّة تزخر بكثيرٍ من التطبيقات التي تدعم هذا المحور بشكلٍ واضحٍ ، ومن أعظم الأمثلة التاريخيَّة التي تبين هذا التميز ، ما كان من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في حادثة الهجرة النبويَّة .

نظامٌ إسلاميٌّ غير مسبوق ، لا يُعرف له مثيلٌ في الجاهلية لا من قريبٍ ، ولا من بعيد ، دمجٌ اجتماعيٌّ مبنيٌّ على أصولٍ شعوريَّةٍ نفسيَّة بين فئتين ، بقصد المواساة لمن فقد كلَّ مقدراته لإجل دينه ، مواساةٌ تفوق معاني العون الماديِّ ، إلى المعنويِّ من النَّصيحةِ والمحبَّةِ والرعايةِ .

إن الإشكاليات الكبيرة التي نجمت عن الهجرة من الغُربة ، وترك الأموال ، وتغير الأحوال ، كلُّ ذلك ولَّد ضغطًا نفسيًا احتاج إلى حلٍّ سريعٍ وفعَّالٍ ، ينجو بهذه الفئة من هذه الأزمة الشعوريَّة بطريقةٍ سليمةٍ .

" آخى رسول الله ﷺ بين رجالٍ من المهاجرين ، ورجالٍ من الأنصار . وكان هذا الإخاء صلةً فريدةً في تاريخ التكافل بين أصحاب العقائد . وقام هذا الإخاء مقام أخوَّة الدم ، فكان يشمل التوارث والالتزامات الأخرى الناشئة عن وشيجة النسب وارتفع المدُّ الشعوريُّ في هذا إلى ذروةٍ عاليةٍ ؛ وأخذ المسلمون هذه العلاقة الجديدة

مأخذ الجِّد ، شأنهم فيها شأنهم في كُلِّ ما جاءهم به الإسلام . وقام هذا المدُّ في إنشاء المجتمع الإسلاميِّ وحياطته مقام الدولة المتمكنة ، والتشريع المستقر والأوضاع المسلمة ، بل بما هو أكثر ، وكان ضرورياً لحفظ هذه الجماعة الوليدة وتماسكها في مثل تلك الظروف الاستثنائية المتشابكة التي قامت فيها ، وإنَّ مثل هذا المدِّ الشعوريِّ لضروريٌّ لنشأة كلِّ جماعةٍ تواجه مثل تلك الظروف ، حتى توجد الدولة المتمكِّنة ، والتشريع المستقرُّ ، والأوضاع المسلمة ، التي توفِّر الضمانات الاستثنائية لحياة تلك الجماعةِ [1] ".

ومما سبق ندرك أنَّ المؤخاة لم تكن لسدِّ حاجات المهاجرين الأساسيَّة من السكن والزاد فحسب ، بل هي بمثابة معالجةٍ شعوريَّةٍ لمن تكالبت عليه مشاعر الحزن والقلق ، جراء هجر المحبوبات من الديار والأهل والأحباب ، والخوف من المستقبل ، الذي لا يدرى ما يكون فيه ، فهي مشاعر الغريب الذي يعالج ما يملئ صدره من الأسى والحزن .

لقد كان النبيُّ ﷺ يدرك خطورة هذا الأمر ، وهو ابن مكة التي يحبها حباً شديدًا ، ويشعر بالحزن والأسى لفراقها ، ينظر إليها ، وتخالط عبراته لهجته وهو يقول :

---

١ سيد قطب - **في ظلال القران** – (ج٥ – ص ٢٨٢٧) .

(مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ)[1] ، ولذا خشي النبيُّ ﷺ على أصحابه ما قد يصيبهم من مفارقة المحبوبات ، فسأل الله عز وجل أن يعينهم على التبديل الشعوريِّ بأن يحبوا المدينة ، كحبهم مكَّة أو أشدَّ ، قال رسول الله ﷺ : (اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ)[2] .

ولذا تركت هذه المؤاخاة أثرًا شعورياً كبيرًا في نفوس المهاجرين ، ساهمت في نجاح الدمج المجتمعيِّ الذي ولَّدَ لُحمَةً إيمانيَّةً ، لإنَّه أقيم على أسسٍ شعوريَّةٍ عميقةٍ ، وقد صرَّح المهاجرون بهذه الحقيقة ؛ فقال قائلهم : (يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ ، وَلَا أَحْسَنَ بَذْلًا فِي كَثِيرٍ ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمَئُونَةَ ،

---

١ (**حسن**) رواه الترمذي في سننه – أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَابٌ فِي فَضْلِ مَكَّةَ – (ج٥،ص٧٢٣) ، وقال : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ) – من حديث محمد ابن موسى البصري عن الفضيل بن سليمان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : حدثنا سعيد بن جبير ، وأبو الطفيل ، وهذا سند رجاله ثقات ، ووقع الخلاف في الفضيل بن سليمان ، فضعفه طائفة منهم ابن معين : (ليس بثقة) تاريخ يحيى بن معين – تحقيق أحمد محمد نور – (ج٤ ، ص٢٢٦) مركز البحث العلمي وإحياء التراث – مكة المكرمة – ط١ – ١٩٧٩م = =وقد توبع الفضيل كما في رواية أحمد بن حازم بن أبي غرزة ، قال حدثنا نعيم ، قال حدثنا زهير ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم (الحاكم – المستدرك على الصحيحين – ج١ ، ص٦٦١) وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الحَجِّ – بَابُ كَرَاهِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ تُعْرَى المَدِينَةُ – (ج٣،ص٢٣) ، مسلم – كِتَابُ الْحَجِّ – باب الترغيب في سكن المدينة ، والصبر على لأوائها – (ج٢ ، ص١٠٠٣) .

وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَإِ ، حَتَّى لَقَدْ حَسِبْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ قَالَ : " لَا ، مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ ، وَدَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ) [1] .

١ (**صحيح**) رواه أبو داود في سننه – كِتَاب الْأَدَبِ – بَابٌ فِي شُكْرِ الْمَعْرُوفِ (ج٤،ص٢٥٥) من طريق حماد بن سلمة عن ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ – ورواه الترمذيُّ في سننه – أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ - من طريق معاذ بن معاذ عن حُمَيْدٌ ، عَنْ أَنَسٍ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه (ج٤،ص٣٥٦) ، وأحمد في مسنده (ج٢٠،ص٣٦١) من الطريقين .

المبحث الثاني

مظاهر مراعاة المشاعر في المنهج النبويّ

سبقت الإشارة في الأبواب الماضية إلى شموليَّة المنهج النبويّ لجميع الجوانب الإنسانية ، وهذه الشمولية تشكّل منهجًا متكاملاً يُقدّم صورةً عمليَّة للتعامل الشعوريّ ، وفي هذا الفصل سنلقي الضوء على شريحةٍ واسعةٍ من الفئات التي يظهر فيها مراعاة المشاعر ، لتكون جانبا عملياً يسعى المسلم لتطبيقه في كلّ مكان .

المطلب الأول : مراعاة مشاعر أصحاب المنزلة والمكانة :

من حكمة الله ﷻ أن خلق عباده متفاوتين ، فرفع بعضهم فوق بعض درجاتٍ ، لتظهر طائفة من النَّاس قد اشتهروا بمكانةٍ ومنزلةٍ ورفعةٍ ، كالولاة والعلماء وأهل الفضل ، قال صاحب " فيض القدير " : " والمراد هنا أهل المروءة والخصال الحميدة ، التي تأتي عليهم الطباع ، وتجْمَعُ بهم الإنسانيَّة والألفة أن يرضوا لأنفسهم بنسبة الفساد والشرّ إليها " [1] .

إنَّ هذه المنزلة الكريمة التي اشتهر بها هؤلاء ، توجب نوع تعامل خاصّ ، يتناسب مع مكانتهم ، ورفعة شأنهم ، وقد حقق المنهج النبويُّ سبقاً في التعامل مع هذا الصنف من جميع الجوانب ، ومن أهمها – وهو موضع بحثنا هنا – الجانب الشعوريُّ الوجدانيُّ .

---

١ المناوي – محمد عبد الرؤوف – **فيض القدير شرح الجامع الصغير** - المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ط١ – ١٣٥٦هـ - (ج٢ – ص٧٤) .

أصّلت السنّة النبويّة لحفظ مشاعر هذه الفئة ، بجملةٍ من السُّلوكيات ، تقوم على أساسين مهمّين هما : حفظ مكانتهم ، والتجاوز عن زلاّتهم .

أولاً : حفظ مكانة أصْحَاب المنزِلَة :

يظهر هذا التطبيق بشكلٍ جليّ في تعامل النبيّ ﷺ مع هذه الطائفة ، ليشكّل منهجًا عمليًا يدلُّ على حكمةٍ في التعامل الشعوريّ ، فمن أدلة ذلك حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : (لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إليه وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ ، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ ، قَالَ : لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ)[١] .

نلحظ في هذا الحديث تنبيه النبيّ ﷺ الأنصار لصورةٍ من صور حفظ منزلة سيِّدهم بقوله : " قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ " ، قال النوويُّ : " فيه إكرامُ أهل الفضل ، وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا " [٢] .

يقول الخطابيُّ : " وفيه أنَّ قيام المرؤوس للرئيس الفاضل ، وللولي العادل ، وقيام المتعلم للعالم مستحبٌ غير مكروه ، وإنما جاءت الكراهة فيمن كان بخلاف

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ إِذَا نَزَلَ العَدُوُّ عَلَى حُكْمِ رَجُلٍ – (ج٤ ، ص٦٧) .

٢ النووي – **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** – (ج١٢ – ص٩٣) .

أهل هذه الصفات "[1] . لقد أراد النبيُّ ﷺ حفظ مكانة سعد ، والمبالغة في أكرامه ، ولا شكَّ أنَّ هذا المنحى له من الأهميَّة في تنمية المشاعر الذاتيَّة ، والتفطُّن للحالة النفسيَّة التي تتولد من المكانة التي نالها هذا الشخصُ .

ومن الأدلة على هذا المنحى قول النبي ﷺ (مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ فَهُوَ آمِنٌ)[2] .

لقد حاز أبو سفيان ﷺ في مكة مكانةً عظيمةً ، فهو السيِّد والمطاع ، لقد تركت هذه المنزلة أثرًا كبيرًا ، ليس فقط في شخص أبي سفيان ، بل في أهلِ مكَّة عمومًا ، إنَّ إسلام أبي سفيان ﷺ في هذه المرحلة بالذات ، تجعلُ من الحكمة أن يُعالَج هذا المنحى الشعوري معالجةً حكيمةً ترفع المشاعر السيئة المتولِّدة على فوات المُلكِ والمكانة ، وتعزِّزُ الإيمان في نفسه ، ومن هنا أخذ النبيُّ ﷺ بتلك النصيحة السديدة من الصديق القديم لإبي سفيان ، وهو العباس ﷺ ، بأن يخصَّ أبا سفيان

---

١ الخطابي – حمد بن محمد - **معالم السنن** - المطبعة العلمية – حلب – ط١ – ١٣٥١ هـ – (ج٤ ، ص١٥٥) .

٢ (**حسن**) رواه أبو داود في سننه - كِتَاب الْخَرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ – بَابُ مَا جَاءَ فِي خَبَرِ مَكَّةَ – (ج٣ ، ص١٦٢) ، وهو جزء من حديث طويل في خبر فتح مكة ، ورواه الطبرانيُّ في "المعجم الكبير" ، (ج٨ ، ص٩) ، والحاكم في المستدرك (ج٣ ، ص٤٣ /٤٤) وقال : "صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي " ، ومحمد بن إسحاق أخرج له مسلم متابعة ، وهو حسن الحديث ، بشرط التصريح بالتحديث ، وقد صرح ابن اسحاق بالتحديث هنا كما في رواية الطبراني والحاكم .

بشيء ، يرفع به مكانته ، ليأتي هذا الوسام النبويُّ ،ويكون بيت أبي سفيان ملاذاً وملجأً لإهل مكة ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

ومن هنا نلمس هذا التوازن الرائع في إدارة مشاعر أبي سفيان ، ليسهم هذا الأمر في تسكين انفعال الغضب الذي قد يظهر في مكَّة ، نتيجة الفتح ودخول الجيش ، وفي هذا تسهيلٌ للمهمَّة ، فهي حكمةٌ سياسيَّةٌ كبرى ، تدلُّ على أهمية اعتبار المشاعر في جميع الجوانب .

ويدخل في هذا الجانب : التلطف مع هذه الفئة في الخطاب : فمن ذلك أنَّه ﷺ كان يصف المَلِكَ أو السيِّد بأوصاف المدح والتعظيم تأليفًا لقلبه ، ومراعاةً لمشاعره : فمن ذلك ما جاء في الرسائل النبويَّة للملوك : (مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ)[1] ، قال النوويُّ : " ولم يقل إلى هرقل فقط ، بل أتى بنوع من الملاطفة فقال : عظيم الروم ، أي الذي يعظمونه ويقدِّمونه ، وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام "[2] ، قال ابن حجر : " قوله : عظيم الروم فيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمرة ؛ لأنَّه معزولٌ بحُكم الإسلام ، لكنَّه لم يُخلِّه من إكرامٍ لمصلحة التألُّف "[3].

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كتاب بَدْءِ الوَحْيِ - كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ ﷺ ؟ - (ج١ ، ص٨) .

٢ النوويُّ - **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** – (ج١٢ – ص١٠٨) .

٣ ابن حجر – **فتح الباري** – (ج١ ، ص٣٨) .

ولا شكَّ أنَّ هذه المعاني التي أشار اليها الإمامان من التأليف والملاطفة ، هي نوع تعامُلٍ شعوريٍّ ، يبنى على معالجة نفسيَّة حكيمة .

ولم تقتصر المعالجة الشعوريَّة لِهذه الفئة على مجرَّد التلطف اللفظيّ ، بل تجاوز ذلك لجملة من السلوكيات التي تدعم هذا المبدأ : فقد كان النبيُّ ﷺ " يُكرم كلَّ الوفود التي تأتي إلى المدينة النبويَّة ، بصرف النظر عن الموقف السياسيّ والدينيّ الذي يُتَوَقَّع من هذه الوفود ، وكان لرسول الله ﷺ اهتمام خاصٌّ بالوفود ؛ استقبالاً وضيافةً وتجمُّلاً وجوائز ؛ فكان يُجري عليهم الضيافة ، ويُحسن استقبالهم ، ويسائلهم ، ويتردَّد عليهم ، ويلبَس أحسن الثياب لاستقبالهم " [1] .

ويدخل في هذا قبول هديتهم ، لما في قبولها من آثار نفسيةٍ عظيمةٍ ، ولهذا (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا) [2] .

وكان ﷺ يولي هدايا الحكَّام وأصحاب المكانة عنايَة خاصَّة ، ويثيب عليها : " قال أبو حميد : أهدى ملك أيلة [3] للنبيِّ ﷺ بغلةً بيضاء ، وكساه بُردًا ، وكتب له ببحرهم [1] " [2] .

---

١ حمادة – فاروق – **العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي** – دار القلم – دمشق - (ص٩٥) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه – كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا – بَابُ المُكَافَأَةِ فِي الهِبَةِ – (ج٣ ، ص١٥٧) .

٣ (أيلة : بالفتح ، مدينة على ساحل بحر القلزم ، مما يلي الشام ، وقيل : هي أخر الحجاز وأوّل الشام ، وهي مدينة لليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا=

ثانياً : التجاوز عن زلاتهم :

ومن التطبيقات النبويَّة الشعوريَّة في التعامل مع أصحاب المكانة والمنزلة ، التجاوز عن هفواتهم ، قال الإمام النوويّ رحمه الله في التعليق على حديث " مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " [3] : " فالمراد به السَّتر على ذوي الهيئات ونحوهم ، ممَّن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد ، فأمَّا المعروف بذلك فيُستحبُّ أن لا يُستر عليه ، بل تُرفع قضيته إلى وليّ الأمر ، إن لم يخف من ذلك مفسدة ... " [4] .

قال ابن القيم : " الظاهر أنَّهم ذوو الأقدار بين النَّاس من الجاه والشَّرف والسؤدد ، فإنَّ الله خصَّهم بنوع تكريمٍ وتفضيلٍ على بني جنسهم ، فمن كان مستوراً مشهوراً بالخير ، حتى كَبَاً به جَوَادُه ، ونَبَا عضب صبره ، وأُديل عليه شيطانه ، فلا تسارع إلى تأنيبه وعقوبته ، بل تُقَالُ عثرته ، ما لم يكن حدّاً من حدود الله ، فإنَّه

=قردة وخنازير) الحموي – ياقوت – معجم البلدان – دار صادر – بيروت – ط٢ – ١٩٧٥م – (ج١ ، ص٢٩٢) ، وهي مدينة العقبة جنوب الأردن ، وبحر القلزم هو البحر الأحمر .

١ (أي ببلدهم ، والبحار القرى) النووي – **المنهاج شرح صحيح مسلم** – (ج١٥ ، ص٤٤)

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا - بَابُ قَبُولِ الهَدِيَّةِ مِنَ المُشْرِكِينَ – (ج٣ – ص ١٦٣) .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ -كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ - بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ – (ج٣ ، ص١٢٨) ، مسلم -كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ - بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ – (ج٤ ، ص١٩٩٦) .

٤ النووي – **المنهاج شرح صحيح مسلم** – (ج١٦ ، ص١٣٥) .

يتعيَّن استيفاؤه من الشريف ، كما يتعيَّنُ أخذه من الوضيع " [1] . يشير ابن القَّيم إلى قيمة هامَّة في التعامل الشعوريِّ مع أصحاب المكانة ، وهي أنَّ زلَّة مثل هذا الصنف الذي إشتهر خيرُه ، واستتر شرُّه وقلَّ ، تُلزمنا سلوك مسلك خاصٍ ، يحفظ مشاعره ، ومن هنا نلحظ تفريق الشَّارع بين المُجاهر بالمعصية وصاحب السَّتر ، فإنَّ الذي يستُر على نفسه ، يُستَر عليه ، وهذا فيه مراعاة لمشاعره ، وتنميةٌ لها . ومن ذلك ما كان في قصة حاطب بن أبي بلتعة (قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)[2] .

نقل الخطابيُّ عن الشافعيِّ قوله : " إذا كان هذا من الرجل ذي الهيئة بجهالة ، كما كان من حاطب بجهالة ، وكان غير متهم ، أحببتُ أن يُتجافى عنه ، وإن كان من غير ذي الهيئة ، كان للإمام تعزيره " [3] .

المطلب الثاني : مراعاة مشاعر كبار السن :

لكل مرحلة من مراحل حياة الإنسان جملةٌ من الخصائص التي تميزها عن غيرها ، وتتبع هذه التغيرات ما يصيب الإنسان من تحوُّلٍ عقليٍّ وشعوريٍّ وفسيولوجيٍّ

---

١ ابن قيِّم الجوزية – محمد بن أبي بكر - **بدائع الفوائد** - دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان – (ج٣ ، ص١٣٩) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ الجَاسُوسِ – (ج٤ ، ص٥٩) .

٣ الخطابي – **معالم السنن** – (ج٢ ، ص٢٦٤) .

ولقد أشار الشرع إلى هذا المقصد ، فقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [1] .

وتعدُّ مرحلة الضعف الناجمة عن كِبَرِ السنِّ من أخطر مراحل حياة الإنسان ، لما يصحب هذه المرحلة من تغيُّرات ، وما تحتاجه هذه المرحلة من احتياجات ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [2] . ومن أهمِّ ما يتعرض له كبار السنِّ في هذه المرحلة ، هو تكالب المشاعر السيِّئة ، كمشاعر الكآبة والحُزن والقلق ، ممَّا يولِّد كثيرًا من السلوكيات السيئة .

فمن ذلك أنَّه يقلُّ نشاطه ، وتضمرُ حركتُه ، ويميلُ إلى الإنعزال والوحدة ، وهذا ما يُطلقُ عليه علماء النَّفس " الانسحاب الاجتماعيّ عند كبار السنِّ " وهو : " نمطٌ من السلوك يتميز عادةً بإبعاد الفرد نفسه عن القيام بمهمَّات الحياة العاديَّة ، ويرافق ذلك إحباطٌ وتوتُّرٌ وخيبةُ أمل " [3] . وعند التمعن في الأسباب المباشرة لهذه الأمراض الشعوريَّة الخطيرة ، نجد أنَّ مرجعها سوء تعاملٍ بخصوصيةٍ مع مشاعر

---

١ سورة الروم – آية (٥٤) .

٢ سورة النحل – آية (٧٠) .

٣ محادين – حسين طه – **تعديل السلوك** – دائرة الإنتاج للنشر والتوزيع – الأردن - ط١ – ٢٠٠٩ م– (ص٥٦) .

هؤلاء ، فتركُه لعمله نتيجة كبر السنّ ، وانشغال أبنائه عنه ، ورفض المجتمع له ، وتعدد الأمراض والأوجاع ، ناهيك عن قلقه المستمرّ من مصيره ومستقبله ، وشعوره من دنوّ الموت ، كُلُّ هذا كفيل بأن يجدَ المسنُّ نفسه أسير نهرٍ جارٍ من المشاعر السيِّئة والمثبطة .

وفي المنهج النبويِّ الشعوريِّ وقايةٌ وعلاجٌ لجميع الإشكاليات الشعوريَّة لهذه الفئة ، بل لنا أن نفخر هنا أنَّ الهديَّ النبويَّ قد سبق مؤسسات الشرق والغرب بتشريعات حقوق كبير السنِّ ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عن النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيوقِّر كَبِيرنَا)[1] ، ولنا هنا أن نشير إلى جزءٍ يسيرٍ من حقوق كبير السنِّ الشعوريّة :

أوّلاً : وجَّه النبيُّ كبار السنِّ إلى الاهتمام بهذه المرحلة ، والنظر إليها على أنها فترة يجب استغلالها والإفادةُ منها في طاعة الله ، لافتاً النظر إلى أنَّها فرصةٌ للازدياد

---

١ (**حسن**) رواه والترمذيُّ في السنن - أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الصِّبْيَانِ – (ج٤ ، ص٣٢١) ، قال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَزَرْبِيٌّ لَه أَحَادِيثُ مَنَاكِيرُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ) ، وزربيٌّ هذا ضعفه ابن حجر في التقريب : = = (ص٢١٥) ، إلاَّ أنَّ للحديث شواهد عدَّة منها : عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يبلغ به النبي ﷺ قال : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا) المستدرك على الصحيحين – الحاكم – وقال : على شرط مسلم (ج١ ، ص١٣١) ، وعن ابن عباس : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لَنَا حَقَّنَا) ، (ج١١ ، ص٤٤٩) ، وعن أبي أمامة بلفظ : (مَن لَم يَرحم صَغيرَنَا ، ويُجِلَّ كَبيرنَا فَليسَ مِنَّا) ، البخاريُّ – محمد بن اسماعيل – الأدب المفرد – تحقيق سمير الزهيري – مكتبة المعارف – الرياض – ط١ – ١٩٩٨م – (ص١٨٥) .

من العمل الصالح ، والتقرُّب إلى الله ، (جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما : يا رسول الله أي النَّاس خير؟ قال طوبى لمن طال عمره وحسن عمله)[1] ولا شكَّ أنَّ هذا المنطلق يرفع همَّة كبير السنِّ إلى العمل والإنتاجيَّة ، والسعي لتحصيل أعلى المراتب ، لا سيما أنَّ الحسنات سبيل لمحق السيِّئات ، وتدارك ما قد فات .

إنَّ هذا المنحى من شأنه أن يدعو إلى التحوُّل الشعوريِّ ، وعدم بقاء كبير السنِّ أسيرًا لذكريات التقصير مع الله ، والخوف من سوء الخاتمة ، (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ شَيْخٌ كَبِيرٌ يَدَّعِمُ عَلَى عَصًا لَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ لِي غَدَرَاتٍ وَفَجَرَات فَهَلْ يُغْفَرُ لِي ؟ قَالَ : " أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ " قَالَ : بَلَى ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : " قَدْ غُفِرَ لَكَ غَدَرَاتُكَ وَفَجَرَاتُكَ ")[2] .

---

١ (**حسن**) رواه الترمذيُّ في سننه – أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي طُولِ العُمْرِ لِلْمُؤْمِنِ – (ج٤ ، ص٥٦٥) ، وأحمد في مسنده (ج٢٩ ، ص٢٤٠) ، من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ ، والحديث رواته ثقات .

٢ (**حسن**) رواه احمد في مسنده ، (ج٣٢ ، ص١٧١) بإسناد يروي فيه مكحول عن عمرو بن عبسة ، ومكحول الشامي كثير الإرسال ، لا يعرف له سماع من عمرو ، إلاَّ أنَّ للحديث شاهداً من طريق (عمرو بن الضحاك ، قال حدثنا أبي ، حدثنا مستور أبو همام ، حدثنا ثابت ، عن أنس) ابو يعلى – أحمد بن علي – المسند – تحقيق حسين سليم أسد – دار المأمون للتراث – دمشق – ط١ ، ١٩٨٤م – (ج٦ ، ص ١٥٥) ، قال الحافظ ابن حجر : رجاله رجال الصحيح سوى مستور ، وقد وثقه ابنُ معين (ابن حجر – الأمالي المطلقة – تحقيق حمدي السلفي – المكتب الإسلامي – بيروت – ط١ – ص١٤١٦هـ - (ص١٤٣) . وله كذلك شاهد عن عبد القدوس بن الحجاج الحمصي عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير =

ثانيًا : تشكِّل الواجباتُ الدينيَّة اليوميَّة نوع وقايةٍ من مشاعر الكآبة الناتجة عن الوحدة ، عن طريق توفير المشاركة الجماعيَّة ، وإشغال الفراغ الكبير لدى هذه الفئة ، مثال ذلك : المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد ، وما يوفِّره هذا الأمر من فرص التحدث مع الغير ، والاختلاط بعموم النَّاس ، والشعور بالإنتاجية ، كما توفر نصيبًا من الطمأنينة القلبيَّة المهمَّة في رفع مشاعر القلق من المستقبلِ ، والخوف من المصير .

ثالثًا : اهتمَّ المنهج النبويُّ الشعوريُّ برفع مكانة كبار السنِّ الاجتماعيَّة ، للتغلُّب على المشاعر المثبِّطة ، وتوليد المشاعر الحسنة على الدوام ، فمن ذلك إكرام شيبته كما في حديث أبي موسى الأشعريِّ ﷺ (مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ)[1] . ومن صور تكريم كبير السنِّ تقديمه عند الحديث : دليل هذا حديث (سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ ، قَالَ : انطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ ، وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ

= عن أبي طويل شَطْبِ الممدود ﷺ عنه ، قال الحافظ : هذا حديث حسن صحيح غريب – ابن حجر – الأمالي المطلقة – (١٤٥) ، قال شعيب الأرناؤوط : (صحيح بشواهده) ، مسند أحمد – (ج٣٢،ص١٧١) .

١ (**صحيح**) رواه الترمذيُّ في سننه - أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ – (ج٤ ، ص١٧٢) ، والنسائي في السنن – كِتَابُ الْجِهَادِ - ثَوَابُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ – (ج٦ ، ص٢٦) ، وأحمد في مسنده – (ج٢٧ ، ص٢٤١) عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ ، عَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ السِّمْطِ ، عن كَعْبِ بْنِ مُرَّةَ ، والحديث قد روي عن جمع من الصحابة الكرام ، كعمر بن الخطاب ، وعمرو بن عبسة ، وأبو هريرة ، وأبو نجيح السلمي ، وفضالة بن عبيد وغيرهم .

زَيْدٍ، إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ ، فَتَفَرَّقَا فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَمَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلًا ، فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ ، وَمُحَيِّصَةُ ، وَحُوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ: كَبِّرْ كَبِّرْ ، وَهُوَ أَحْدَثُ القَوْمِ ، فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا)[1] . ومنها تقديمه في العطاء : (عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ ، فَجَاءَنِي رَجُلَانِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا ، فَقِيلَ لِي : كَبِّرْ ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا)[2].

ومنها : بدأه بالسلام : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ)[3] .

ومن التطبيقات الشعوريَّة النبويَّة في هذا المنحى ، ما كان من قدوم أبي قحافة على النبيِّ ﷺ : (فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ : هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ .

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الجِزْيَةِ – بَابُ المُوَادَعَةِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ المُشْرِكِينَ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ ، وَإِثْمِ مَنْ لَمْ يَفِ بِالعَهْدِ – (ج٤ ، ص١٠١) ، مسلم – كِتَابُ القَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ – بَابُ الْقَسَامَةِ – (ج٣ ، ص ١٢٩٤).

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الوُضُوءِ - بَابُ دَفْعِ السِّوَاكِ إِلَى الأَكْبَرِ – (ج١ ، ص٥٨)، مسلم – كتاب الرُّؤْيَا – بَابُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ - (ج٤ ، ص ١٧٧٩) .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الاِسْتِئْذَانِ - بَابُ تَسْلِيمِ القَلِيلِ عَلَى الكَثِيرِ – (ج٨،ص٥٢) ، مسلم – كتاب الآدَابِ – بَابُ يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ – (ج٤،ص١٧٠٣).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ ، هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ أَنْتَ إِلَيْهِ ، قَالَ : فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَسْلِمْ . فَأَسْلَمَ ، وَدَخَلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأَنَّهُ ثَغَامَةٌ [1] ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ)[2] .

فانظر معي إلى التدابير النبويَّة في التعامل مع هذه الشيبة ، من إكرامه ، والإخبار بأنَّه أولى بالذهاب إليه ، ومسح صدره ، والأمر بإكرام شعره ، وتغيير شيبته ، لتدرك حسن الإدارة النبويَّة للمشاعر الإنسانيَّة .

رابعاً : ويبلغ التفوق النبويُّ مبلغه ، وهو ينظر إلى علامات الكِبر والعجز نظرة تكريم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[3]، ولك أن تدرك أثر هذه التوجيهات في تنمية المشاعر الحسنة لدى هذه الفئة .

خامساً : حذَّر المنهج النبويُّ الشعوريُّ من الأذيَّة الجسدية المفضية للأذيَّة الشعوريَّة ، فـ (عن جَابِرٍ ﷺ ، قَالَ : لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ ، قَالَ :

---

١ (أثغم رَأس الرجل : إِذا صَار كالثغامة ، وأثغم الْوَادي : إِذا صَار فِيهِ الثغام ، وَهُوَ شجر أَبيض النُّور يشبه بِهِ الشيب) الجوزي – عبد الرحمن بن علي – **كشف المشكل من حديث الصحيحين** – تحقيق علي حسين البواب – دار الوطن – الرياض – (ج٣ ، ص٨٣) .

٢ (**صحيح**) رواه أحمد في مسنده (ج٤٤ ، ص٥١٩) ، وابن حبان في صحيحه – كِتَابُ إِخْبَارِهِ ﷺ عَنْ مناقب الصحابة ﷺ – ذِكْرُ أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ (ج١٦ – ص١٨٨) ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، جميعهم بنفس الإسناد ، رجاله رجال الشيخين ، غير يحيى بن عبَّاد ابن عبد الله بن الزُّبير ، روى له أصحاب السنن ، وهو ثقة ، ومحمد بن اسحاق روى له مسلم في المتابعات ، وعلته التدليس وقد صرح بالتحديث.

٣ سبق تخريجه ص (١٤٧) .

أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ؟ ، قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ، ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا ، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا ، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا ، قَالَ : يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : صَدَقَتْ ، صَدَقَتْ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ ؟) [1] .

ومن جملة هذه الأمور كُلِّها ندرك تفوّق المنهج النبويِّ الشعوريِّ في تتبع مواطن التنمية الشعوريَّة عند هذه الفئة للوصول بها إلى دائرة الأمن النفسيِّ .

١ (**حسن**) رواه ابن ماجة – السنن – كتاب الفتن – باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – (ج٢ ، ص١٣٢٩) من طريق يحيى بن سليم ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير عن جابر ، وابن حبان في صحيحه – كتاب القضاء – ذِكرُ الأمر للمرء أن يأخذ للضعيف من القوي إذا قدر على ذلك – (ج١١ ، ص٤٤٥) ، من طريق حرملة بن يحيى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني مسلم بن خالد ، عن ابن خثيم ، عن أبي الزبير ، وهذا إسناد رواته ثقات ، رواة الصحيح ، سوى مسلم بن خالد ، فإنه سيء الحفظ ، وقد توبع برواية الفضل بن علاء عن ابن خثيم – ابن حبان (ج١١ ، ص٤٤٦) ، كما تابعه يحيى بن سليم عن ابن خثيم ، كما في رواية ابن ماجه السابقة .

المطلب الثالث : مراعاة مشاعر أصحاب العاهات :

ميَّز الله ﷻ بين عباده في صورهم وأجسامهم وعقولهم ، فزاد بعضهم على بعض في الحُسن والخِلقة ، وابتلى أقوامًا بنقصٍ أو قصورٍ يمتازون به عن غيرهم من الأصحَّاء ، ولقد اصطُلح حديثاً إطلاق لفظِ " ذوي الاحتياجات الخاصَّة " على هذه الفئة ، ويقصد به : " كُلُّ شخصٍ مصابٍ بقصورٍ كُليٍّ أو جزئيٍّ ، بشكل مستقر ، في أيٍّ من حواسه ، أو قدراته الجسميَّة ، أو النفسيَّة ، أو العقليَّة ، إلى المدى الذي يحدُّ من أمكانية التعلُّم أو التأهيل أو العمل ، بحيث لا يستطيع تلبية متطلبات حياته العاديَّة في ظروف أمثاله من غير المعوقين " [1] .

إنَّ تميُّز هذه الفئة عن عامَّة النَّاس ، بمثل هذا القصور ، يجعل من المهمِّ أن تنال عنايَة خاصةً تلبي هذه الاحتياجات ، وهذه العنايةُ تشمل كثيرًا من الجوانب ، من أهمها الجانب الشعوريُّ .

إنَّ الهدي النبويَّ في التعامل مع أصحاب الاحتياجات الخاصة ، حمل كثيرًا من جوانب الإبداع والتميُّز ، ولا يظهر هذا التفوُّق بصورته الجميلة إلا عند مقارنة نظرة المجتمعات الجاهليَّة لهذه الفئة ، بما جاء في شريعة الإسلام .

لقد عانت هذه الفئة قبل الإسلام أشدَّ المعاناة ، وتمثل ذلك بنبذها واستقذارها ، مما ولَّد معاملةً شعوريَّةً سيئةً ، عادت عليهم بكلِّ شر ، فقد ذكر القرطبيُّ في

---

١ انظر **قانون حقوق الأشخاص المعوقين** – قانون رقم (٣١) – الجريدة الرسمية – (٤٨٢٣) بتاريخ ٢٠٠٧/٥/١م .

تفسيره أنَّ " العرب ومن بالمدينة قبل المبعث ، كانت تتجنب الأكل مع أهل الأعذار، فبعضهم كان يفعل ذلك تقذرًا لجولان اليد من الأعمى ، ولانبساط الجلسة من الأعرج ، ولرائحة المريض وعلاّته ، وهي أخلاق جاهلية وكِبر " [1] .

ولمَّا جاء الإسلام بسماحته وشموليته ، حضيت هذه الفئة بعنايةٍ متميزةٍ ، نقتصر في بحثنا هذا على الجانب الشعوريِّ منها ، لنلفت الأنظار إلى ما يمكننا أن نصفه بالمنهج الشعوريِّ النبويِّ في التعامل مع أصحاب الاحتياجات الخاصة ، والذي يتمثل في الجوانب الآتية :

أولاً : قرَّر المنهج النبويُّ أنَّ هذه الإعاقات جزءٌ من الابتلاء الربانيِّ للعبد ، والذي يستوجب الصبر ، ويحصِّل به العبد الأجر من عند الله ، ولذا جاءت الكثير من النُّصوص التي تَعِدُ الصابر بالأجر الجزيل عند الله ، (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ)[2].

إنَّ إدراك المعاق هذا المبدأ ، يقوده إلى التعامل مع إعاقته معاملةً صحيحةً تتضمن عدم التسخُّط والرضا بقضاء الله ، والصبر عليها ، طمعًا بما عند الله ، (عَنْ أَبِي

---

١ القرطبي – محمد بن أحمد – **الجامع لأحكام القرآن** – تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية – القاهرة – ط٢ - ١٣٨٤هـ – (ج١٢ ، ص٣١٣) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه – كِتَابُ الْمَرْضَى – بَابُ فَضْلِ مَنْ ذَهَبَ بَصَرُهُ – (ج٧،ص١١٦) .

قَتَادَةَ أَنَّهُ حَضَرَ ذَلِكَ قَالَ : أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ ؟ وَكَانَتْ رِجْلُهُ عرْجَاءَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : نَعَمْ . فَقَتَلُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ)[1] .

ثانيًا : التخفيف عن المعاق ، حتى لا يقع في المشقَّة : وذلك لأنَّ العجز الجسديَّ عند المعاق يجلب التيسير ، وهذا التيسير له أثرٌ شعوريٌّ عميقٌ ، يتمثل بتحقيق قدرة المعاق على القيام بالعمل دون مشقَّة ، مما يرفع عنه تبعة ترك الأعمال ، فعن (زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ : ﴿ لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] ﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، قَالَ : فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ – وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى – فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي ، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ غَيْرُ أُولِي

---

١ (**حسن**) رواه أحمد في مسنده – (ج٣٧ ، ص٢٤٧) من طريق أبي صخر حميد بن زياد ، عن يحيى بن النضر ، عن أبي قتادة ، وهذا إسناد رجاله ثقات ، وإنَّما نزل عن مرتبة الصحيح من أجل حميد بن زياد ، قال شعيب الأرناؤوط : " وهو – وإن كان من رجال مسلم – فيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وله بعض الأوهام " .

٢ سورة النساء – آية (٩٥) .

الضَّرَرِ﴾)[1] ، ولك هنا أن تدرك أثر هذه الزيادة في مراعاة مشاعر ذلك الضرير الذي جاء يقصد أجر الهجرة والجهاد .

وقال تعالى – مخففًا عن هذه الفئة – : ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذاباً أَلِيماً ﴾[2] .

بيد أنّا نلحظ هنا أنَّ التخفيف الذي يتمتع به المعاق لم يكن مطلقًا ، بل يتسم بالتوازن والاعتدال ، كُلٌّ بحسب حاجته ، وهذا الأمر له مدخل شعوريٌّ مهمّ ، ذلك أنَّه يرفع الحرج عن المعاق في الجانب الذي يشقُّ عليه ، ومن جِهَةٍ أخرى يجعله يقوم بجملة الأعمال القادر عليها حتى لا يشعر بالنَّقص والعجز ، وضياع الأجر ، ومن هنا كان النبيُّ ﷺ لا يقبلُ بعض أعذار هذه الفئة ، فيما لا يشقُّ عليهم من أعمال ، كما طلب ابن أم مكتوم عذرًا في التخلف عن صلاة الجماعة فلم يأذن له النبيُّ ﷺ [3].

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ...) إِلَى قَوْلِهِ (غَفُورًا رَحِيمًا) – (ج٤ ، ص٢٤)، مسلم – كِتَابُ الْإِمَارَةِ - بَابُ سُقُوطِ فَرْضِ الْجِهَادِ عَنِ الْمَعْذُورِينَ – (ج٣ ، ص١٥٠٨) .

٢ سورة الفتح – آية (٤٨) .

٣ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ ، فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ ، فَرَخَّصَ لَهُ ، فَلَمَّا= = وَلَّى ، دَعَاهُ ، فَقَالَ : هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَجِبْ) – رواه مسلم في

ثالثاً : تحريم السخرية بهم ؛ وذلك خشية أذيتهم شعوريًا ، فيجدُ المعاق نفسه مادةً للسخريةِ والتندر ، ممّا يولِّد في نفسه الحزن والحقد ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

وقد حذر النبيُّ ﷺ من أيِّ سلوك يقود إلى أذيَّتهم ، فمن ذلك قوله ﷺ : (لَا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْذُومِينَ)[2] ، قال ابن حجر : " وحُمِل الأمْرُ بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم ، لأنَّه إذا رأى صحيح البدن ، السليم من الآفة ، تعظم مصيبته ، وتزداد حسرته ، ونحوه حديث (لَا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْذُومِينَ) فإنَّه

صحيحه - كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ - بَابُ يَجِبُ إِتْيَانِ الْمَسْجِدِ عَلَى مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ – (ج١ ، ص٤٥٢) .

١ سورة الحجرات – آية (٣) .

٢ (**حسن**) رواه ابن ماجة في سننه - كِتَابُ الطِّبِّ - بَابُ الْجُذَامِ – (ج٢ ، ص ١١٧٢) ، وأحمد في مسنده (ج٣،ص٥٠١) ، من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، عن أمّه فاطمة بنت الحسين وهذا إسناد حسن ، رجاله ثقات ، ووقع الخلاف في محمد بن عبد الله ، وهو الملقَّب بالديباج : قال العجليُّ : (مدنيٌّ تابعيٌّ ثقةٌ) (تهذيب التهذيب – ج٩ ، ص٢٦٩) وضعَّفه النَّسائي (ليس بالقويِّ) (سير أعلام النبلاء – الذهبي) – وقال ابن حجر (صدوق) (تقريب التهذيب – ص٤٨٩) ، وقد ورد الحديث بطرق أخرى لا تصح ، وهذه الطريق أصحُ الطرق ، وبه يحسُن الحديث .

محمولٌ على هذا المعنى " [1] ، وهذا من حرص النبيِّ ﷺ على مشاعر المجذوم أن يتعرض لشيء من الأذيَّة الشعوريَّة .

ومن الأمثلة على التفوق النبويِّ في مراعاة مشاعر هذه الفئة ، ما رواه مسلم في صحيحه : (كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ)[2] .

قال السنديُّ : " رَدَّهُ خَوْفًا عَلَى أَصْحَابِهِ لِئَلَّا يَرَوْا لِأَنْفُسِهِمْ فَضْلًا عَلَيْهِ ، فَيَدْخُلُهُمُ الْعُجْبُ ، أَوْ خَوْفًا عَلَيْهِ ، لِئَلَّا يَحْزَنَ الْمَجْذُومُ لِرُؤْيَةِ النَّاسِ ، فَيَقِلُّ صَبْرُهُ عَلَى الْبَلَاءِ"[3] . وهذا من تمام مراعاة المشاعر ، أن قبل النبيُّ ﷺ بيعته ، وأذن له في عدم القدوم حفاظًا على شعوره من أيِّ أذيَّة محتملة .

لقد حرص المنهج النبويُّ الشعوريُّ على وضع آلياتٍ عدَّة لدمج هذه الفئة في المجتمع ، ذلكم أنَّ انخراط المعاق في المجتمع ، هو أعظم طريقٍ لتنمية مشاعره الحسنةِ ، وإبعاد الكآبة والحزن عنه ، حتى يشعر بذاته ، وأنه ليس عبئًا على أحد ، وفي هذا تربية المعاق على تحمل المسؤوليَّة والاعتماد على الذَّات ، نمثِّل على هذا الأمر بشخصية ابن أمِّ مكتوم الضرير ، فقد احتلَّ هذا الصحابيُّ مكانةً مجتمعيَّةً

---

١ ابن حجر – **فتح الباري** – (ج١٠ ، ص١٦٠) .

٢ رواه مسلم في صحيحه – كتاب الآداب – بَابُ اجْتِنَابِ الْمَجْذُومِ وَنَحْوِهِ – (ج٤،ص١٧٥٢).

٣ السندي – محمد عبد الهادي - **كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه** - دار الجيل – بيروت – (ج٢ ، ص٣٦٤) .

رُغم إعاقته ، تمثلت بتوليّه شؤون المدينة وقت غياب النبيِّ ﷺ للجهاد أكثر من مرّةٍ [1] ، ناهيك عن كونه مؤذّن النبيِّ ﷺ ، وتولى إمامة الصّلاة كذلك ، فعن أنس ، أنَّ النبيَّ ﷺ (اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ يَؤُمُّ النَّاسَ وَهُوَ أَعْمَى)[2] .

المطلب الرابع : مراعاة مشاعر الجار :

جعل الإسلام للجار مكانةً عظيمةً ، دلَّ عليها توافر النصوص الموصية بالجار في الكتاب والسنَّة ، والتي استنبط العلماء منها ما أطلقوا عليه (حقوق الجار) ، ومع كثرة هذه الدراسات وتوافرها ، إلاَّ أنَّ هناك جانبًا لا يزال بحاجةٍ إلى مزيد من إلقاء الضوء ، إنَّه ما يمكن أن يُطلق عليه " حقوق الجار الشعوريَّة " .

١ (حسن) روى أبو داود في سننه من حديث محمد بن عبد الله المخرميّ ، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أنس : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَى الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ) ، ورجال هذا الإسناد ثقات ، رجال الصحيح غير عمران القطان ، وهو ابن داور ، ضعَّفه ابن معين (تاريخ يحيى بن معين – ج٤ ، ص١٥٧) ، وقال أحمد : ارجو أن يكون صالح الحديث – (ابن أبي حاتم – الجرح والتعديل – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ ، ١٩٥٢م – ج٦ ، ص ٢٩٨) ، قال ابن حجر : عمران ابن داوَر ، بفتح الواو بعدها راء ، أبو العوام القطان البصريّ ، صدوق يهم ، ورمي برأي الخوارج – (ابن حجر – تقريب التهذيب – (ص٤٢٩) ، والراجح فيه أنه حسن الحديث .

٢ (**حسن**) رواه أبو داود في سننه - كِتَاب الصَّلَاةِ - بَابُ إِمَامَةِ الْأَعْمَى – (ج١ ، ص ١٦٢) ، قال : (حدثنا محمد بن عبد الرحمن العنبري أبو عبد ، حدثنا ابن مهدي ، حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أنس) وهذا سند جيد إلا أنَّ عمران بن قطان – وهو ابن داور العمّيُّ – صدوق يهم كما وصفه ابن حجر (ص٤٢٩/ رقم ٥١٥٤) ، وهو حسن الحديث .

ومما يدلُّ على عمق الاهتمام النبويِّ بهذا الجانب ، ما جاء في حديث (ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)[1] .

ومن خلال تتبعي للهدي النبويِّ في التعامل مع الجار ، يمكنني أن أشير إلى بعض الحقوق الشعوريَّة بين الجيران والتي تتلخص بما يلي :

أولاً : دعا المنهج النبويُّ الشعوريُّ إلى تجنب السلوكيات التي تؤذي مشاعر الجيران: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِي جَارَهُ)[2] ، والأذيَّةُ تشمل التعامل السيِّء مع المشاعر بجميع صورها ، ومن ذلك قوله ﷺ : (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)[3] .

ومن صور أذيَّة مشاعر الجيران ، الأذيَّة اللفظيَّة ، فـ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا ، وَصِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ : هِيَ فِي النَّارِ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، فَإِنَّ

---

١ رواه الشيخان – البخاري - كِتَابُ الأَدَبِ - بَابُ الوَصَاةِ بِالْجَارِ – (ج٨ ، ص١٠) ، مسلم – كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ – (ج٤ ، ص٢٠٢٤) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ النِّكَاحِ - بَابُ الوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ – (ج٧ ، ص٢٦) ، مسلم – كِتَابُ الْإِيمَانَ – بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ – (ج١ ، ص٦٨) .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الأَدَبِ – بَابُ إِثْمِ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ – (ج٨،ص١٠) – مسلم في صحيحه - كِتَابُ الْإِيمَانَ - بَابُ بَيَانِ تَحْرِيمِ إِيذَاءِ الْجَارِ – (ج١،ص٦٨).

فُلَانَةُ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، وَصَلَاتِهَا ، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ [1] مِنَ الْأَقِطِ ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ : هِيَ فِي الْجَنَّةِ)[2] . فهذا الحكم القاطع من النبيِّ ﷺ يدلُّ على خطورة الأذيَّة اللسانيَّة للجيران بالسبِّ أو اللَّعن أو الغيبة ، وكلُّ هذا يولِّد المشاعر السيئة عند الجيران .

ثانياً : حضَّ المنهج النبويُّ الشعوريُّ على تجسيد السلوكيات التي تنمِّي المشاعر الحسنة بين الجيران : فعن عائشة رضي الله عنها : (يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي جَارَيْنِ إِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي ؟ قَالَ : إِلَى أَقْرَبِهِمَا بَابًا مِنْكِ)[3] ، والحكمة أنَّ الأقرب أكثر اطلاعاً على جاره ، فعالج النبيُّ ﷺ هذا الأمر بهذه التشريعات التي تعتبر الجوانب الشعوريَّة بتفوُّق ، ومثال هذا (يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً ، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ)[4] .

---

١ (الأثوار) جمع ثور ، وهي قطعة من الأقط ، وهو لبن جامد مستحجر – (ابن الأثير – **النهاية في غريب الأثر والرواية** – مادة ثَورَ – (ج١ / ص٢٢٩) .

٢ (**حسن**) رواه أحمد في مسنده – (ج١٥ ، ص ٤٢١) ، والبخاريُّ في الأدب المفرد – باب لا يؤذى جاره – (ج١ ، ص٦٣) والحاكم في المستدرك – (ج٤ ، ص١٨٣) وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ، وقد روي الحديث من طريق أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي يحيى ، مولى جعدة ، رواته ثقات ، وقد وقع الخلاف في أبي يحيى ، فوثَّقه ابن معين : (أبو يحيى مولى جعدة : ثقة) ابن أبي حاتم – عبد الرحمن بن محمد - الجرح والتعديل – (ج٩ ، ص٤٥٩) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٢ – ١٢٧١هـ .

٣ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الشُّفْعَةِ – بَابٌ : أَيُّ الجِوَارِ أَقْرَبُ ؟ - (ج٣ ، ص٨٨) .

٤ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ – (ج٤ ، ص ٢٠٢٥) .

إنَّ من مقتضيات قرب المسكن تتبع رائحة طعام الجار ، الذي قد لا يملك قدرةً لتحصيل ما يأكله الجار ، ممَّا قد يولد حزنًا وحسرةً ، لا سيما إذا تهيَّجت شهوات الصغار أمامه ، فناسب مراعاة مشاعر هؤلاء الجيران ، بإطعامهم من هذا الطعام .

ثالثاً : دعا المنهج النبويُّ الشعوريُّ إلى مشاركة الجيران شعوريًا ، فيفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ، كما في تشريع صنع الطعام لأهل الميِّت عند المصيبة : فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قال : قال رسول الله ﷺ : (اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا ، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ)[1] ، قال الإمام الشافعيُّ : " وأحبُّ لجيران الميِّت أو ذي القرابة ، أن يعملوا لأهل الميِّت في يوم يموت وليلته طعامًا يشبعهم ، فإنَّ ذلك سُنَّةٌ وذِكْرٌ كريمٌ ، وهو من فعل أهل الخير قبلنا وبعدنا "[2] إنَّ صنيعة الطعام للجيران الذين أصابهم حزنٌ لفقد عزيزٍ ، يمثِّل معالجةً شعوريَّةً مهمةً ، يترتب عليها كثيرٌ من الجوانب الحسنة في العلاقة بين الجيران ، وهذا الذي يسعى إليه الهديُ النبويُّ الشعوريُّ .

---

١ (**حسن**) رواه أبو داود في سننه - كِتَاب الْجَنَائِزِ - بَابُ صَنْعَةِ الطَّعَامِ لِأَهْلِ الْمَيِّتِ – (ج٣،ص١٩٥) ، والترمذيُّ – أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت – وقال : هذا حديث حسن (ج٣ ، ص٣١٤) ، وابن ماجه في سننه - كِتَابُ الْجَنَائِزِ - بَابُ مَا جَاءَ فِي الطَّعَامِ يُبْعَثُ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ – (ج١،ص٥١٤) – وأحمد في مسنده (ج٣، ص٢٨٠) ، كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، وهذا السند رواته ثقات ، وقد وقع الخلاف في والد جعفر ، وهو خالد بن سارة وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت عميس عند ابن ماجه – (ج١ ، ص٥١٤) .

٢ الشافعي – محمد بن إدريس– **كتاب الأم** – دار المعرفة – بيروت – ١٤١٠هـ - (ج١،ص١٧).

المطلب الخامس : مراعاة مشاعر الخدم :

قبل الإسلام ، وعندما كانت الجاهليةُ العقديَّةُ تولِّد جاهلية السلوك ، ظهرت صورٌ مظلمةٌ للتعامل مع الخدم ، تقوم على العبوديَّة ، وهضم الحقوق ، لتعيش هذه الطبقة في ظلمات المهانة والظلم .

ولمَّا أكرم الله الخلق ببعثة المصطفى ﷺ جاء التشريع العدل ، فبنى التعامل مع الخدم على علاقة إنسانيَّة مبناها حُسن الخُلق ، الذي يتولَّد منه الصبر والصفح ، ومراعاة المشاعر ، ذلكم أنَّ الخدم – عادةً – من الطبقة الفقيرة التي ترضخ لمثل هذه الأعمال لحاجتها وقلة حيلتها .

لقد أصَّل كتاب الله تعالى لحُسن التعامل مع هذه الفئة ، كمثل قوله تعالى في قصة موسى : ﴿ قالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[1] ، فهذا النصُّ مع محدودية ألفاظه ، إلا أنَّه شمل المبادئ الخمسة التي يقوم عليها التعامل السليم مع هذه الطبقة ، وهي : مبدأ الرحمة ، والتوجيه والمكافأة ، والتيسير ، والإعانة [2] ، وكل هذه المبادئ قد بني على أساس شعوريٍّ

---

١ سورة القصص – آية (٢٧) .

٢ انظر : الحساني – عواض حمد – **معاملة الخدم في ضوء السنة النبوية ، وتطبيقاتها التربوية في الواقع المعاصر** – رسالة ماجستير – جامعة أم القرى – ١٤٣١هـ - ص (٧١) .

مكين ، لا يهدف لحفظ الحقوق الماديَّة فحسب ، بل يشير إلى جانبٍ يبلغ من الأهمية مكانه ، إنه مراعاة المشاعر وضبط النفسيَّات .

لقد نقلت السنَّة النبويَّة هذه الأصول الخمسة ، من طور النظرية إلى التطبيق ، لنشهد معًا في السطور القادمة ، شواهد حيَّة على حفظ مشاعر الخدم والأجراء .

فمن صور التشريعات التي تهدف لحفظ مشاعر هذه الفئة تحريم الأذيَّة الشعوريَّة ، سواء بالقذف أو السبِّ أو التحقير :

(عن المَعْرُورَ بْنَ سُوَيْدٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ الغِفَارِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)[1] .في الحديث جملة من الفوائد التي تدلُّ على اعتبار الجانب الشعوريِّ ، فمنها النهي عن التعيير ، الذي هو أذيَّة نفسيَّة تبلغ مبلغها من الجرح والتحقير ، قال ابن حجر : " وفي الحديث النهي عن سبِّ الرقيق ، وتعييرهم بمن ولدهم ، والحثُّ على الإحسان إليهم ، والرفق بهم ، ويلتحق بالرقيق من في معناهم من أجير وغيره " [2] .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه – كِتَاب العِتْقِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : (العَبِيدُ إِخْوَانُكُمْ فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ) – (ج٣ ، ص١٤٩) .

٢ ابن حجر – **فتح الباري** – (ج٥ ، ص١٧٥) .

وفي الحديث كذلك من الفوائد التي تهدف للتنمية الشعوريَّة لهؤلاء ، إطعام الأجير من الطعام الذي يأكله سيده استحبابًا ، " فالمراد المواساة لا المساواة من كلِّ جهة ، لكن من أخذ بالأكمل كأبي ذر فعل المساواة ، وهو الأفضل "[1] ،

والسبب في ذلك – أي أنَّه أمر بإطعامه من ذلك الطعام – أنَّ الخادم هو الذي يعالج الطعام إعدادًا وتقديمًا ، فتشتهيه نفسه ، كما في حديث أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : (إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ ، فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلاَجَهُ)[2].

ففي الحديث بيان علَّة الإطعام ، وهي أنَّه هو الذي ولي إنضاج الطعام ، وفي زيادة مسلم : (فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوهًا قَلِيلًا ، فَلْيَضَعْ فِي يَدِهِ مِنْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ ، قَالَ دَاوُدُ : يَعْنِي لُقْمَةً ، أَوْ لُقْمَتَيْنِ)[3] ، وكلُّ هذا يدلُّ على عمق الاهتمام بالجانب الشعوريِّ للخدم .

ومن صور مراعاة مشاعر الخدم ، النهيُ عن الأذيَّة اللفظيَّة التي قد يتعرضون لها أثناء خدمتهم ، فـ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ

---

١ المرجع السابق – (ج٥ ، ص ١٧٤) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَاب العِتْقِ - بَابُ إِذَا أَتَاهُ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ – (ج٣ ، ص١٥٠)

٣ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الْأَيْمَانِ - بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مَا يَغْلِبُهُ – (ج٣ ، ص١٢٨٤) .

وَفَتَاتِي)[1] ، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ : أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ ، اسْقِ رَبَّكَ ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي أَمَتِي ، وَلْيَقُلْ : فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي)[2] ،

وقد بوَّب الإمام البخاريُّ على هذه الأحاديث بقوله : (بَابُ كَرَاهِيَةِ التَّطَاوُلِ عَلَى الرَّقِيقِ ، وَقَوْلِهِ : عَبْدِي أَوْ أَمَتِي)[3] ، قال النووي : " والظاهر أنَّ المراد بالنهي من استعماله على جهة التعاظم والارتفاع لا الوصف والتعريف "[4] .

ويلحق بالنهي عن الأذية الشعوريَّة النهي عن الأذية الجسديَّة التي تولِّد إيذاء المشاعر ، فـ (عن عائشة رضي الله عنها ، قَالَتْ : مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ ، وَلاَ امْرَأَةً ، وَلاَ خَادِمًا ، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شيء قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ ، إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شيء مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[5].

---

١ رواه مسلم في صحيحه – كتاب الأَلْفَاظِ مِنَ الأَدَبِ وَغَيْرِهَا - بَابُ حُكْمِ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ الْعَبْدِ ، وَالأَمَةِ ، وَالْمَوْلَى، وَالسَّيِّدِ – (ج٤ ، ص١٧٦٤)

٢ رواه الشيخان – البخاري – كِتَاب العِتْقِ – بَابُ كَرَاهِيَةِ التَّطَاوُلِ عَلَى الرَّقِيقِ ، وَقَوْلِهِ : عَبْدِي أَوْ أَمَتِي – (ج٣ ، ص١٥٠) ، مسلم – كتاب الأَلْفَاظِ مِنَ الأَدَبِ وَغَيْرِهَا – بَابُ حُكْمِ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ الْعَبْدِ ، وَالأَمَةِ ، وَالْمَوْلَى ، وَالسَّيِّدِ – (ج٤ ، ص ١٧٦٥) .

٣ صحيح البخاريُّ - كِتَاب العِتْقِ – (ج٣ ، ص١٤٩) .

٤ النووي - **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** – (م١٥ ، ص٧) .

٥ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْفَضَائِلِ - بَابُ مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ، أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ – (ج٤ ، ص١٨١٣) .

قال النوويُّ في شرح الحديث " فيه أنَّ ضرب الزوجة والخادم والدابَّة ، وإن كان مباحًا للأدب فتركه أفضل " [1] .

وقدِ كان النبيُّ ﷺ يقيِّم التعامل مع الخدم ، ويحرص على لفت الأنظار للتعامل الشعوريِّ السليم معهم (عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي ، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا : اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ ، فَقَالَ : أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ) [2].

ومن صور مراعاة مشاعر الخدم في الهدي النبويِّ ، التنبُّه لاحتياجاتهم النفسيَّة ، وتنمية مشاعرهم بالعفو ، والمكافأة : مثال العفو : قول أنس بن مالك رضي الله عنه :(خَدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنينَ ، فما قال لي أُفٍّ ، ولا : لمَ صَنعتَ ؟ ولا ألا صنعت) [3]. ومثال المكافأة : (حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: سَلْ ، فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ . قَالَ : فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ

---

١ النووي - **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** – (م١٥ ، ص٨٤) .

٢ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الْأَيْمَانِ – بَابُ صُحْبَةِ الْمَمَالِيكِ ، وَكَفَّارَةِ مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ – (ج٣ - ص ١٢٨٠) .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الأَدَبِ - بَابُ حُسْنِ الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ البُخْلِ – (ج٨ ، ص١٤) ، مسلم – كتاب الْفَضَائِلِ – بَابُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا – (ج٤ ، ص ١٨٠٤) .

السُّجُودِ)[1] .(وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الخَلاَءَ ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ : مَنْ وَضَعَ هَذَا ؟ فَأُخْبِرَ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)[2] .

وقد كان النبيُّ ﷺ يرفع من قيمة الخدم ، تنميةً لمشاعرهم ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ – أَوْ شَابًّا – فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَسَأَلَ عَنْهَا – أَوْ عَنْهُ – فَقَالُوا : مَاتَ ، قَالَ : أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي ، قَالَ : فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا – أَوْ أَمْرَهُ – فَقَالَ : دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ ، فَدَلُّوهُ ، فَصَلَّى عَلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ)[3] .

كلُّ ما سبق كفيل بحفظ مشاعر هذه الطبقة ، مما يكون له أكبر الأثر في إنتاجيَّة الخادم ، والوصول إلى درجةٍ من المحبَّة بين الخادم والمخدوم ، وهذه هي رسالة الإسلام التي تصوغ من العبد محسنًا في قوله وعمله أينما كان وكيفما حلَّ .

المطلب السادس : مراعاة مشاعر الزوجة :

يقوم النظام الأُسريُّ في الإسلام على كثير من الأصول التي تضبط العلاقة بين أفرادها من جميع الجوانب ، إنَّ هذه القواعد تضمن استقرار الأسرة ، وديمومة العلاقة ، ومن أهمّ هذه الجوانب ، الجانب الشعوريُّ الذي يظهر في مراعاة مشاعر

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ – (ج١،ص٣٥٣).

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الوُضُوءِ - بَابُ وَضْعِ المَاءِ عِنْدَ الخَلاَءِ – (ج١،ص٤١).

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الصَّلاَةِ – بَابُ كَنْسِ المَسْجِدِ وَالتِقَاطِ الخِرَقِ وَالقَذَى وَالعِيدَانِ – (ج١،ص٩٩) ، مسلم - كِتَابُ الْكُسُوفِ - بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى الْقَبْرِ – (ج٢،ص٩٥٦).

الزوج والزوجة والأبناء فيما بينهم ، وفي هذا المطلب سنقف مع مراعاة مشاعر الزوجة كنموذج ومثال للتفوق النبويِّ في ترسيخ مفهوم الضبط الشعوريِّ داخل الأسرة ، فقد دعا المنهج النبويُّ إلى أداء حق الزوجة في قوله ﷺ : (وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا)[1] ، ولا بدَّ أنْ تشمل هذه الحقوق ، ما يمكننا أن نسميِّه : " الحقوق الشعوريَّة للمرأة في الهدي النبويِّ " .

إنَّ أعظم ما يميز الهدي النبويِّ في التعامل مع مشاعر الزوجة عن غيره من المناهج ، أنَّه منهج تطبيقيٌّ مستلٌّ من أمثلةٍ حقيقيةٍ واقعيةٍ من داخل بيوت أزواج النبيِّ ﷺ ، مما يعطيه التفوق في كلِّ الجوانب .

لقد دعا المنهج النبويُّ إلى التنبُّه إلى طبيعة خِلقة المرأة النفسيَّة الشعوريَّة : فـ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ)[2] ، فمن أهم خصائص المرأة أنَّ مشاعرها أسرع تهيُّجًا من مشاعر الرجل ، وتترسخ فيها بواعث الرحمة والعطف ، التي هي من دواعي عاطفة الأمومة ، وهذا البناء الشعوريُّ المتزايد عند المرأة ، له هدفٌ

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الصَّوْمِ – بَابُ حَقِّ الضَّيْفِ فِي الصَّوْمِ – (ج٣ ، ص٥٣) ، مسلم – كِتَابُ النِّكَاحِ – بَابٌ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ – (ج٧ ، ص٣١) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ – بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ – (ج٤ ، ص١٣٣) ، مسلم – كتاب الرضاع – بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ – (ج٢ ، ص١٠٩١).

عظيم ، فهي الأمُ التي ستتولى جانب العطف والأمومة عند أطفالها ، فقد أثبتت الدراسات " بأنَّ حُبَّ الأمِّ ، والعلاقات المميزة التي تنشأ بينها وبين طفلها ، تعتبر من أهمِّ عوامل النمو الطبيعيِّ للمجال الانفعاليِّ ، وبالتالي لحياة الطفل بالكامل "[1] .

وقد كان النبيُّ ﷺ كثيرًا ما يلفت أنظار الرجال إلى هذا المعنى ، فـ (عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ ، وَكَانَ غُلاَمٌ يَحْدُو بِهِنَّ ، يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ ، قَالَ أَبُو قِلاَبَةَ : يَعْنِي النِّسَاءَ)[2] .

قال ابن حجر : (قال الرامهرمزي : كنَّى عن النساء بالقوارير ، لرقتهن ، وضعفهن عن الحركة ، والنساء يشبَّهن بالقوارير في الرقَّة واللطافة وضعف البنية)[3] .

وقد ضرب النبيُّ ﷺ أمثلة متفوقةً في فهم مشاعر المرأة في المواقف المختلفة ، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً ، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ : لاَ ، وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى ، قُلْتِ : لاَ ، وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَتْ : قُلْتُ : أَجَلْ ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

---

١ كولتشيتسكايا – **تربية مشاعر الأطفال في الأسرة** – (ص٣٣) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الأَدَبِ – بَابٌ : المَعَارِيضُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الكَذِبِ – (ج٨،ص٤٧) ، مسلم - كتاب الْفَضَائِلِ - بَابُ فِي رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلنِّسَاءِ وَأَمْرِ السَّوَّاقِ مَطَايَاهُنَّ بِالرِّفْقِ بِهِنَّ – (ج٤ ، ص١٨١١) .

٣ ابن حجر – **فتح الباري شرح صحيح البخاري** – (ج١٠ ، ص٤٥٤) .

مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ)[1]. " وفي الحديث أنَّ من فطنة الرجل ، ورقة عاطفته ، ويقظة إحساسه ، استقراؤه لحال زوجته ، من فعلها ، وقولها ، وحركاتها ، فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه ، والحُكم بما تقتضيه القرائن ، لأنه ﷺ جزم برضا عائشة وغضبها ، بمجرد ذكرها لاسمه ، وسكوتها ، فبنى على تغيُّر الحالتين من الذكر والترك ، تغير الحالين من الرضا والغضب [2] " .

وهذا التفوق النبويّ في تشخيص نفسيَّة المرأة ومشاعرها ، أثمر تفوقاً في المنهج العمليّ في التعامل معها ، كما سنراه في النقاط الآتية :

أولاً : حرص المنهج النبويُّ على أن تبنى العلاقة الزوجيَّة على أصلٍ شعوريٍّ من المحبَّة والودِّ منذ اللحظات الأولى ، (عَنْ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ ، أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا)[3]. وهذا يدلُّ على اعتبار

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ النِّكَاحِ - بَابُ غَيْرَةِ النِّسَاءِ وَوَجْدِهِنَّ – (ج٧ ، ص٣٦) .

٢ ابن حجر – فتح الباري – (ج٩ ، ص٣٢٦) .

٣ (**حسن**) رواه الترمذي في سننه - أَبْوَابُ النِّكَاحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَابُ مَا جَاءَ فِي النَّظَرِ إِلَى المَخْطُوبَةِ – وقال : هذا حديث حسن (ج٣ ، ص٣٨٩) ، وأحمد في مسنده (ج٣٠،ص٨٨) ، من طريق بكر بن عبد الله ، عن المغيرة بن شعبة ، وقد وقع الخلاف في سماع بكر من المغيرة ، أثبته الدارقطني فقال : (ومدار الحديث على بكر بن عبد الله المزني ، قيل له : سمع من المغيرة ؟ ، قال : نعم) الدارقطني – علي بن عمر – العلل الواردة في الأحاديث النبويَّة – تحقيق محفوظ السلفي – (ج٧ ، ص٣٨) دار طيبة الرياض – ط١ – ١٤٠٥ هـ ، وقد روي الحديث من طريق أخرى عن أنس عن المغيرة ، وهي عند ابن ماجه في السنن – كِتَابُ النِّكَاحِ - بَابُ النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا – (ج١ ، ص٥٩٩) .

الجانب الشعوريّ في البحث عن الزوجة ، وكذا في رأي المخطوبة ، لِما لتقبُّل الزوجة زوجها شعوريًا من آثارٍ عظيمةً على استقرار البيت ونجاحه .

ثانيًا : يهدف الهدي النبويُّ الشعوريُّ إلى استقرار مشاعر المرأة في الأسرة ، من خلال دعوة الزوج إلى إكرامها ، وحسن التعامل معها شعورياً ، فمن ذلك قوله ﷺ : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)[1] ،

ومن صور التعامل النبويِّ الهادف لتنمية مشاعر الزوجه ، ما روته عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : (كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ ، فَيَشْرَبُ ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ[2] وَأَنَا حَائِضٌ ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ)[3] ، فهذه جملة من السلوكيات النبويَّة التي تركت أثرًا شعوريًا عميقًا في نفس عائشة رضي الله عنها.

---

١ (حسن) رواه الترمذي في سننه - أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ - (ج٥ ، ص ٧٠٩) – من طريق محمد بن يوسف عن سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، وله شاهد عند ابن ماجه من حديث ابن عباس - كِتَابُ النِّكَاحِ - بَابُ حُسْنِ مُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ – (ج١ ، ص٦٣٥)

٢ (وأتعرَّق الْعرق) : (بِفَتْح الْعين وَسُكُون الرَّاء ، الْعظم الَّذِي عَلَيْهِ بَقِيَّة من لحم ، يُقَال : تعرقته واعترقته إِذا أخذت مِنْهُ اللَّحْم بأسنانك) – السيوطي – عبد الرحمن بن أبي بكر – الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج – تحقيق أبو اسحاق الحويني – دار ابن عفان للنشر – المملكة العربية السعودية – الخبر – ط١ – ١٤١٦هـ - (ج٢ ، ص٦٨) .

٣ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الْحَيْضِ - باب سؤر الحائض – (ج١ ، ص٢٤٥) .

ونلحظ هنا خصوصيَّة المعالجة الشعوريَّة ، في الأوقات التي تتعرض المرأة فيها إلى بعض الاضطرابات النفسيَّة والشعوريَّة ، كوقت الحيض والنِّفاس ، خلافًا لمنهج الجاهليَّة المبنيِّ على إهمال المرأة ، واعتزالها في هذه الفترات ، تقول عائشة رضي الله عنها :(كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَلَّمَ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ)[1] ، وعَنْها قَالَتْ : (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ فَوْقَ الْإِزَارِ وَهُنَّ حُيَّضٌ)[2] . وروى مسلم عن أُمِّ سَلَمَةَ قولها : (بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، مُضْطَجِعَةٌ فِي خَمِيصَةٍ ، إِذْ حِضْتُ ، فَانْسَلَلْتُ ، فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حِيضَتِي ، قَالَ : أَنُفِسْتِ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، فَدَعَانِي ، فَاضْطَجَعْتُ مَعَهُ فِي الْخَمِيلَةِ)[3].

ومن ذلك أنه دعا إلى التسامح مع أخطائها ، والنظر إلى جوانب الحسن في ذاتها ، (لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا ، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ)[4] ، قال الشوكانيُّ رحمه الله : " ... فيه الإرشاد إلى حسن العشرة ، والنهي عن البغض للزوجة بمجرد كراهة خلقٍ من أخلاقها ، فإنها لا تخلو مع ذلك من أمر يرضاه منها ، وإذا كانت

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الْحَيْضِ - باب اتكاء الرجل في حجر زوجته وهي حائض وقراءة القرآن – (ج١ ، ص٢٤٦) .

٢ رواه مسلم في صحيحه – كِتَابُ الْحَيْضِ – بَابُ مُبَاشَرَةِ الْحَائِضِ فَوْقَ الْإِزَارِ – (ج١،ص٢٤٣) .

٣ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الحَيْضِ - بَابُ مَنْ سَمَّى النِّفَاسَ حَيْضًا ، وَالحَيْضَ نِفَاسًا – (ج١ ، ص٦٧) .

٤ رواه مسلم في صحيحه – كتاب الرضاع - بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ – (ج٢ ، ص١٠٩١)

مشتملة على المحبوب والمكروه ، فلا ينبغي ترجيح مقتضى الكراهة على مقتضى المحبَّة " [1].

وهذا المبدأ له قاعدة شعوريَّة هامّة مبنية على توليد المشاعر الحسنة عند الزوج ، من خلال التفطن الدائم الى الإيجابيات ، وتثبيط المشاعر السيئة من خلال الموازنة بين صفات الخير والشر واعتبار الخطأ في الذات البشريَّة .

ومن ذلك أنَّه ﷺ أذِن بالكذب بين الزوجين على وجه التحبُّب ، والذي يقصد منه تنمية مشاعر الحبّ بين الزوجين ، (عن أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ ، اللَّاتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ ﷺ ، أَخْبَرَتْهُ ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ يَقُولُ : لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : الْحَرْبُ ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا)[2] ، يقول الإمام العيني : (وحديث المرأة زوجها يحتمل أنَّه مما يحدث أحدهما الآخر من ودِّه له ، واغتباطه به)[3] ، وهذا المعنى يقصد منه التغذية الدائمة للناحية

---

١ الشوكاني – محمد بن علي - **نيل الاوطار** – تحقيق عصام الدين الصبابطي - دار الحديث – مصر – ط١ – ١٤١٣هـ - (ج٦ / ص ٣٥٩) .

٢ رواه مسلم في صحيحه – كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ – بَابُ تَحْرِيمِ الْكَذِبِ وَبَيَانِ مَا يُبَاحُ مِنْهُ – (ج٤ ، ص٢٠١٢) .

٣ العيني – محمود بن أحمد - **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** - دار إحياء التراث العربي – بيروت – (ج١٣ ، ص٢٦٩) .

الشعوريّة عند الزوجة ، ولذا كان النبي ﷺ يصرح بالحبّ لزوجاته كما ورد في كثير من النصوص ، ففي حديث مسلم وهو يقول في وصف خديجة : (إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا)[1] ، ولمّا سُئِل ﷺ : (أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : عَائِشَةُ)[2] .

ثالثاً : سعى المنهج النبويُّ إلى تخفيف الضغط الشعوريِّ المتراكم على المرأة من مسؤوليات الحياة ، وذلك بعدة صور منها : المزاح ، إدخال السرور ، الإعانة في أعمال البيت ، وكل هذا يعين في تفريغ المشاعر السيئة المتراكمة في النفس (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ قَالَتْ : فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ : هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ)[3] .

ولما سُئلت عَائِشَةَ رضي الله عنها : (مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - بَابُ فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا – (ج٤ ، ص١٨٨٨) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الْمَنَاقِبِ – بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا – (ج٥ ، ص٥) ، مسلم – كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ – (ج٤ ، ص ١٨٥٦) .

٣ (**صحيح**) رواه أبو داود في سننه - كِتَاب الْجِهَادِ – بَابٌ فِي السَّبَقِ عَلَى الرِّجْلِ – (ج٣،ص٢٩) ، وأحمد في مسنده (ج٤٣،ص٣١٣) ، وابن حبان في صحيحه (ج١٠، ص٥٤٥) كلُّهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن جده ، وهي الطريق الأولى التي روي منها الحديث ، وروي كذلك عن أبى إسحاق الفزارى عن هشام بن عروة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة ﷺ ، ورواة الحديث بالطريقين ثقات .

الصَّلَاةِ)[1]. و(عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي)[2].

رابعاً : حرص المنهج النبويُّ على إبعاد الزوجة عن أيِّ أذيَّة شعوريَّة ، فقد نهى النبي ﷺ عن تحقير الزوجة ، والإساءة إليها بما يجرح مشاعرها ، وقد أشار النبيُّ ﷺ إلى هذا المعنى عندما سئل (مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ ، قَالَ : أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ ، أَوِ اكْتَسَبْتَ ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ ، وَلَا تُقَبِّحْ ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ : وَلَا تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ : قَبَّحَكِ اللَّهُ)[3].

---

١ رواه البخاريُّ – كِتَابُ الأَذَانِ – بَابُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَهْلِهِ فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَخَرَجَ – (ج١،ص١٣٦).

٢ رواه الشيخان – البخاري – كِتَابُ الأَدَبِ – بَابُ الِانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ – (ج٨ ، ص٣١) ، مسلم - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ - بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – (ج٤،ص١٨٩٠).

٣ (**صحيح**) رواه أبو داود في سننه - كِتَاب النِّكَاحِ - بَابٌ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا – (ج٢،ص٢٤٤) وأحمد في المسند – (ج٣٣ ، ص٢٢٦) والحاكم في المستدرك وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، كلهم من طريق حماد ، عن أبي قَزَعَة الباهلي ، عن حكيم بن معاوية القشيري ، عن أبيه ، وأبو قزعة اسمه سويد بن حجير البصرى ، وهو ثقة من رجال مسلم ، وقد تابعه عطاء عند أحمد فى رواية قرنه به ، قال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا ابن جريج ، قال : حدثنا أبو قزعة ، وعطاء ، عن رجل من بني قشير ، (ج٣٣،ص٢٢٩) ، (انظر الألباني - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٢ – ١٤٠٥هـ) .

وهذه الأصول الشعوريَّة في التعامل بين الزوجين هي التي حافظت على استقرار الأسرة وتماسكها في المجتمعات الإسلامية ، ولذا ينبغي الحرص عليها وتطبيقها والسعي لجعلها منهجا في التعامل الدائم داخل بيوت المسلمين .

المطلب السابع : مراعاة مشاعر الاطفال :

ظهر لنا عند حديثنا عن الجانب التربويِّ الشعوريِّ ، أهميَّة بناء نفسيَّة الإنسان منذ نعومة أظفاره على استقرار شعوريٍّ ، يسير به نحو التوازن النفسيِّ ، وظهر من خلال جملة الحديث الأهداف التربويَّة التي يسعى إليها المنهج النبويُّ من تشريعاته الشعورية لفئة الأطفال وهي :

غرس المشاعر الحسنة في نفس الطفل ، والتي تؤهله ليكون إنسانًا متزنًا قادرًا على ضبط انفعالاته الذاتيَّة ، وتحرير الطفل من كُلِّ المشاعر السيئة ، التي تولِّد في ذاته السلوكيات الخاطئة . وحمايته من أيِّ صدمة شعوريَّة قد تؤثر عليه في مستقبله .

وحتى يتكامل الحديث في هذا الجانب دون تكرار ، نحصر الكلام هنا عن جوانب الإشباع الشعوريِّ للطفل في السنَّة النبويَّة ، ونقصد بها السلوكيات العمليَّة التي تولِّد شعوراً حسناً في التعامل مع الأطفال :

أولاً : الإشباع الشُّعوري : الحبُّ من أبرز القيم التربويَّة التي تضمنها الخطاب النبويُّ للطفل ، " ولقد وَضَحَ الحبُّ في الخطاب النبويِّ كقيمةٍ تربويَّةٍ لها أهميتها في ربط أواصر العلاقة بين المربي والمتربي ، فقد كان النبيُّ ﷺ يُشْعر هؤلاء الأطفال بهذا الحبِّ ، ويوضحه لهم بقوله وفعله ، فمرَّة يقبِّلهم ، وأخرى يضمُّهم إليه .... إنَّ

الخطاب المحبب إلى الطفل يغذّي حاجته الفطريَّة إلى العطف والحنان "[1] ، وقد كان النبيُّ ﷺ حريصاً على إظهار المحبَّة للأطفال بشتى الوسائل اللفظيَّة والعمليَّة ، لِما لِهذا الأمر من الأهميَّة العظمى على نفسيَّة الطفل .

ثانيًا : القبلة ومسح الرَّأس : تُعدُّ القبلة الحانية من المربي ، وسيلةً شعوريَّة تبلغ من أهميتها في بثِّ الدفء الشعوريِّ ، وإزالة الحُزن ، وهي دليل رضى المربي ورحمته ، (عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ)[2] .

(وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا[3] لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَبَّلَهُ ، وَشَمَّهُ ...)[4]

---

١ العلوي – محمد بن صالح - **خطاب النبي للطفل المسلم وتطبيقاته التربوية** – رسالة ماجستير – جامعة أم القرى – ١٤٣١هـ - ص (٢٠١) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الأَدَبِ – بَابُ رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ – (ج٨،ص٧) – مسلم – كتاب الْفَضَائِلِ – بَابُ رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ – (ج٤،ص ١٨٠٨) .

٣ (الظئر) : المرضعة غير ولدها ، ويقع على الذكر والأنثى – (ابن الأثير – **النهاية في غريب الأثر والرواية** – مادة ظأر– (ج٣ ، ص١٥٤)

٤ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ – (ج٢،ص ٨٣) .

" إنَّ للقبلة دورًا فعالاً في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته ، كما أنَّ لها دورًا كبيرًا في تسكين ثورانه وغضبه ، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحُبِّ بين الكبيرِ والصغير ، وهي دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ ، وهي برهان على تواضع الكبير للصَّغير ، وهي النور الساطع الذي يبهر فؤاد الطفل ، ويشرح نفسه ، ويزيد من تفاعله مع من حوله ، ثمَّ هي أولاً وأخيرًا السُّنَّة الثابتة عن المصطفى مع الأطفال[1] "

ويلحق بالقبلة اللمسات الحانيةُ كالمسح على الرأس فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، قَالَ : (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى[2] ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ، قَالَ : وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي ، قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ[3] عَطَّارٍ)[4].

ثالثا : المداعبة : للمداعبة النبويَّة للأطفال صورًا كثيرةً ، تدل على أهميتها وتقصدها ، لما لها من أثر شعوريٍّ حسن ، وهي دليلٌ على تواضعه ﷺ ، فمنها المداعبة اللفظيَّة و العمليَّة ، حيث يكرِّس شيئًا من وقته واهتمامه بهم ، يلاعبهم ويلاطفهم ،

---

١ الشهري – **التربية الوجدانية للطفل وتطبيقاتها التربوية** – (ص٧٤) .

٢ هي صلاة الظهر – أنظر : النووي – **المنهاج شرح صحيح مسلم** – (ج١٥ ، ص٨٥) .

٣ بضم الجيم ، وهمزة بعدها ، ويجوز ترك الهمزة بقلبها واواً ، وهي السفط الذي فيه متاع العطار – انظر : النووي – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – (ج١٥ ، ص٨٥) .

٤ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْفَضَائِلِ - بَابُ طِيبِ رَائِحَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلِينِ مَسِّهِ وَالتَّبَرُّكِ بِمَسْحِهِ – (ج٤ ، ص١٨١٤)

يهدف من كل ذلك إلى إدخال السرور عليهم ، وتنمية مشاعرهم . إنَّ التصابي للأطفال منهج نبويٌ له أثر شعوريٌ كبير من زرع المحبَّة في قلوبهم ، فمثال المداعبة العمليَّة : (عَنِ الْبَرَاءِ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَاضِعًا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : اللهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ)[1] .

ومثال المداعبة اللفظيَّة : (عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ ، يَقُولُ : إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا ، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ)[2].

قال ابن حجر : " وفيه جواز الممازحة ، وتكرير المزح ، وأنها إباحة سنَّةٍ لا رخصة ، وأنَّ ممازحة الصبيِّ الذي لم يميِّز جائزة ، وتكرير زيارة الممزوح معه ، وفيه ترك التكبر والترفع ، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر ، أو في البيت فيمزح "[3]

إنَّ من ثمرات هذه المداعبة أنها تبعث على النشاط ، وتدخل السرور على القلب ، وتزيل الملل ، وتزرع في النَّفس حبَّ المربي .

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ مَنَاقِبِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – (ج٥ ، ص٢٦) ، مسلم - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – بَابُ فَضَائِلِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – (ج٤- ص ١٨٨٢).

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الأَدَبِ – بَابُ الِانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ – (ج٨ ، ص٣٠) ، مسلم – كتاب الْآدَابِ – بَابُ اسْتِحْبَابِ تَحْنِيكِ الْمَوْلُودِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ وَحَمْلِهِ إِلَى صَالِحٍ يُحَنِّكُهُ ، وَجَوَازِ تَسْمِيَتِهِ يَوْمَ وِلَادَتِهِ، وَاسْتِحْبَابِ التَّسْمِيَةِ بِعَبْدِ اللهِ وَإِبْرَاهِيمَ وَسَائِرِ أَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمِ السَّلَامُ – (ج٨ ، ص٤٥) .

٣ ابن حجر – **فتح الباري** – (ج١٠ ، ص ٥٨٤) .

رابعاً : تجنيب الطِّفل أيَّ أذيَّةٍ شعوريَّة : عن طريق تجنب تنقُّصه أو سبِّه أو السخرية به " إنَّ تحقير الولد وتعنيفه بشكلٍ مستمرٍّ دائم – ولا سيما أمام الحاضرين – هو من أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنَّقص ، ومن أعظم الأسباب في انحرافات الولد النفسيَّة والخُلُقيَّة ، وخير علاج لهذه الظاهرة هو تنبيه الولد على خطئه اذا اخطأ ، برفق ولين ، مع تبيان الحُجج التي يقتنع بها في اجتناب الخطأ .... "[1] .

خامساً : مشاركة الطفل وعدم إهماله : وذلك بإعطائه قيمة معنويَّة ، ممَّا يوفِّر له عنصر الأمان ، ويمنح الطفل قدرةً على التعبير عن ذاته ، وتنمية شخصيته ، وفي كلِّ هذا من الآثار الشعوريَّة ، ما ينمِّي المشاعر الحسنة في ذاته ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ : (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، قَالَ : وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ ، فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ ، قَالَ : فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ، ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ)[2].

سادساً : الهديَّة : للهدية أثرٌ بالغٌ في بناء الجانب الشعوريِّ عند الطفل ، وقد جعل النبيُّ ﷺ الهدية مقدِّمةً لتحصيل المحبَّة ، وكان يخصُّ الأطفال بالعطيَّة ، ويقدِّمهم

---

١ علوان – عبد الله - **تربية الاولاد في الاسلام** – دار السلام للطباعة والنشر – القاهرة – ط٢١ – ١٤١٢هـ - (ج١ ، ص٣٢٠) .

٢ رواه مسلم في صحيحه - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - بَابُ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – (ج٤ ، ص ١٨٨٥) .

على غيرهم ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ: اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا ، اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ ، قَالَ : ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ)[1] .

قال النوويُّ رحمه الله : " فيه بيان ما كان عليه ﷺ من مكارم الأخلاق ، وكمال الشفقة والرَّحمة ، وملاطفة الكبار والصِّغار ، وخصَّ بهذا الصغير ، لكونه أرغب فيه، وأكثر تطلُّعًا إليه وحرصاً عليه " [2] .

المطلب الثامن : مراعاة مشاعر العجماوات :

من الجوانب التي يظهر فيها التفوُّق النبويُّ في اعتبار المشاعر ، ما يمكننا وصفه بمراعاة مشاعر العجماوات ، وأقصد بها الحيوانات والجمادات ، فالمنهج النبويُّ يثبت بما لا يدع مجالاً للشكِّ وجود نوعٍ خاصٍّ من المشاعر في العجماوات ، كما ينبه لجملةٍ من التطبيقات الشعوريَّة في هذا الجانب كما سنرى في السطور التالية :

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الْحَجِّ – بَابُ فَضْلِ الْمَدِينَةِ، وَدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ ، وَبَيَانِ تَحْرِيمِهَا ، وَتَحْرِيمِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا ، وَبَيَانِ حُدُودِ حَرَمِهَا – (ج٢ ، ص١٠٠٠) .

٢ النووي - **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** – (ج٩ ، ص١٤٦) .

فأمَّا الجمادات فقد ارتقى الخطاب النبويُّ الشعوريُّ ليجعل للجماد شعورًا وإحساساً فعن (أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ ، يَقُولُ : خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ ، رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ ، قَالَ: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ) [1] .

والشاهد هنا قوله ﷺ (يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ) ، قال ابن بطال : " فمحبَّته للجبل توجب له بركةً ، ترغب فى مجاورته له ، وعلى هذا التأويل تكون محبَّته للجبل ، ومحبَّة الجبل له حقيقةً لا مجازًا ، بأنْ يُحْدِث الله فى الجبل محبَّة " [2] .

ويدل على أنَّ هذا الأمر على حقيقته لا على المجاز اللغويِّ حديث : (صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ، فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ ، قَالَ : أثْبُتْ أُحُدُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدَانِ)[3] .

إنَّ هذا المفهوم يصيِّر المسلم متفاعلاً مع الكون ، تفاعلاً شعوريًا يبنى على اعتبار أنَّ صفحة الكون ، خلقٌ من خلق الله ، وهو مسخَّرٌ لأداء وظيفةٍ ، وأنَّ له إرادةً وسعيًا ، قال تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ فَضْلِ الخِدْمَةِ فِي الغَزْوِ – (ج٤،ص٣٥) ، مسلم – كِتَابُ الْحَجِّ - بَابُ أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ – (ج٢ ، ص١٠١١) .

٢ ابن بطال – علي بن خلف - **شرح صحيح البخاري** – مكتبة الرشد - الرياض – ط٢ – ص١٤٢٣هـ - (ج١٠/ ص٣٧٢) .

٣ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ ﷺ - (ج٥ ، ص١٠) .

إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ [1] وكقوله تعالى في حقِّ نبيِّ الله داود ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْراقِ ﴾ [2] ، ويشبه هذا قوله تعالى : ﴿ فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [3] .

ومن صور توجيه الأنظار للجانب الشعوريِّ عند الجمادات في كتاب الله قوله ﷻ :﴿ لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [4] . وقوله ﷻ ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [5] .

ويبلغ السموُّ الشعوريُّ في المنهج النبويِّ مبلغه ، عندما نرى النبيَّ ﷺ يعلِّمنا أهميَّة مراعاة المشاعر في صورة فريدةٍ ومُعْجِزَةٍ تُضمَّد فيها مشاعر جماد يشتاق لقرب المصطفى ﷺ ، ويأنُّ لفراقه ، (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، أَوْ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا ؟ قَالَ : إِنْ شِئْتُمْ ، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ

١ سورة الإسراء – آية (٤٤) .

٢ سورة ص – آية (١٨) .

٣ سورة الدخان – آية (٢٩) .

٤ سورة الحشر – آية (٢١) .

٥ سورة البقرة – آية (٧٤) .

دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ . قَالَ : كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا)[1]. فهذا النصُّ وإن كان يشكلُ عَلَمًا من أعلام النبوَّة ، ومعجزة من معجزاته ﷺ ، إلاَّ أنَّه يدلُّ على عِظم اهتمام النبيِّ ﷺ بالمشاعر ، والسعي لضبطها ومعالجتها ومراعاتها .

وأمَّا الحيوانات فقد خلق الله لها شعورًا يتناسب مع أصلِ خلقتها ، ومن أهمِّ المشاعر عند الحيوانات عمومًا ، مشاعر الأمومة ، والتي نلحظها من تعلُّق الأمِّ بأبناءها (عَنْ سَلْمَانَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً ، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ)[2] ، فقد ذكر هذا الحديث هنا صورةً من صور السلوك الحيوانيِّ المبنيِّ على مشاعر الشفقة والرَّحمة . وبعد أن اعترف المنهج النبويُّ بمشاعر الحيوان ، أصَّل لاعتبار هذه المشاعر ومراعاتها ، والتعاطف معها ،

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ – (ج٤ ، ص١٥٩) .

٢ رواه مسلم في صحيحه - كتاب التَّوْبَةِ - بَابٌ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ – (ج٤ ، ص١٤٠٧) .

بصورة فريدة لا تلحظها إلاّ في مثل هذا الهدي النبويّ ، كما سنرى في النصوص التالية :

(عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ ، وَأَنَا أَرْحَمُهَا – أَوْ قَالَ : إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا – فَقَالَ : وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ)[1] . في الحديث إقرار نبويٌّ لتوجيه المشاعر الحسنة نحو الحيوان ، والسعي إلى التعاطف معها ، وما يترتب على ذلك من تجسيد خُلق الرحمة في القلب ، وهو الذي يثمر رحمة الله تعالى .

ويشبه هذا المعنى ما جاء في حديث (شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ، قَالَ : ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)[2] .

ومن الأحاديث التي توجّه للتعامل الشعوريّ مع الحيوانات ، ما جاء في حديث (أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي وَهُوَ بِطَرِيقٍ إِذْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ

---

١ (**صحيح**) رواه أحمد في مسنده – (ج٢٤ ، ص٣٥٩) ، والبخاريُّ في الأدب المفرد - باب إرحم من في الأرض – (ص١٣٦) . والحاكم في المستدرك : وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ (ج٤ ، ص٥٢٧) ، والحديث رواته رواة الصحيحين غير زياد بن المخراق المزني ، روى له أبو داود ، ووثّقه ابن معين فقال ثقة – تاريخ ابن معين – رواية الدارمي – (ج١ ، ص١٥٥) ، وقال عنه ابن حجر : (ثقة) (ابن حجر – تقريب التهذيب – ص٢٢٠) .

٢ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ - بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ – (ج٣ ، ص١٥٤٨) .

الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بِئْرًا ، فَنَزَلَ فِيهَا ، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي بَلَغَنِي ، فَنَزَلَ الْبِئْرَ ، فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ، حَتَّى رَقِيَ بِهِ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لأَجْرًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ) [1].

وفي الهدي النبويِّ تميُّز آخر نلمحه من النقد النبويِّ للسلوكيات السيِّئة في التعامل مع الحيوانات ، ممَّا يولِّد أذيَّة مشاعرهم : (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ : أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا النَّاسِ ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا ، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ ، قَالَ : فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ ، فَقَالَ : مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ ، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ : لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا ؟ ، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ) [2] ، لقد مسح النبيُّ ﷺ بيده

---

١ رواه الشيخان – البخاري – كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ – بَابُ الآبَارِ عَلَى الطُّرُقِ إِذَا لَمْ يُتَأَذَّ بِهَا – (ج٣ ، ص١٢٣) ، مسلم – كتاب الآدَابِ - بَابُ فَضْلِ سَاقِي الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا – (ج٤ ، ص١٧٦١) .

٢ (**صحيح**) رواه أبو داود - كِتَاب الْجِهَادِ - بَابُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ – (ج٣ ، ص٢٣) ، وأحمد في مسنده (ج٣ ، ص٢٨١) ، والحاكم في مستدركه (ج٢،ص١٠٩) ، من طريق محمد بن عبد الله ابن أبي يعقوب ، عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي ، عن عبد الله بن جعفر ، قال الحاكم : وهو صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ، وقد أصابا ، فقد أخرج

الشريفة عَبَرات هذا الجمل ، ليزرع في قلوبنا أهميَّة التعامل الشعوري ، ويرسم لنا لوحةً فريدةً قلَّما تلمسها في السلوك الإنسانيِّ عموماً .

المطلب التاسع : مراعاة مشاعر الفقير :

يُعدُّ الفقر مشكلةً كبيرةً يشكو منها الأفراد والمجتمعات ، لِما يولِّده من مظاهر سيئة كالجهل ، والجريمة ، وسوء الخلق ، وتبدأ مشكلة الفقر عندما يفقد الفقير حاجاته الضروريَّة ، فتتنامى في قلبه مشاعر الحقد والحسد والبغض على مجتمعه الذي يتوافر فيه الأغنياء ، يقول الدكتور القرضاوي : " فالإنسان اذا عضَّته أنياب الفقر ، ودهته داهية الحاجة ، ورأى حوله من ينعمون بالخير ، ويعيشون في الرغد ، ولا يمدُّون له يداً بالعون ، بل يتركونه لمخالب الفقر وأنيابه ... هذا الإنسان لا يسلم قلبه من البغضاء والضغينة على مجتمع يهمله ، ولا يُعني بأمره ، وتربة الشحِّ والأنانية لا تنبت إلا الحقد والحسد لكلِّ ذي نعمة " [1] .

مسلم الحديث بسنده دون قصَّة الجمل ، كِتَابُ الْحَيْضِ - بَابُ مَا يُسْتَتَرُ بِهِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ – (ج١،ص٢٦٨) .

١ القرضاوي – يوسف – **فقه الزَّكاة** – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ – ١٣٩٣هـ - ص(٨٧٦).

ومن هنا ندرك أنَّ سيِّئة الفقر الماديَّة ، ترافقها مشاكل نفسيَّة ، تتولد من مشاعر سيِّئة في نفس المحتاج ، لذا كان النبيُّ ﷺ يستعيذ بالله من الفقر : (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ) [1] .

لقد تنبه النبيُّ ﷺ لهذا الأمر ، بل كان ﷺ يدرك الفروق الشعوريَّة بين النَّاس في هذا الجانب ، (أَمَّا بَعْدُ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي ، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ) [2] . وعند تتبع المنهج النبويِّ في التعامل مع هذه الفئة ، نجد أنَّه نجح في بناء صرح شعوريٍّ يهدف لحفظ مشاعر الفقير ابتداءً ، ومن ثمَّ المعالجة الشعوريَّة له .

ومراعاة مشاعر الفقير في المنهج النبويِّ تقوم على ثلاثة دعامات رئيسة :

أولاً : السعي لخرط الفقير في المجتمع ، للقضاء على المشاعر السيِّئة تمامًا .

ثانياً : معالجة المشاعر السيِّئة المتولدة من حاجة الفقر .

ثالثاً : صيانةُ مشاعر الفقير عند أخذه للصدقة .

---

١ رواه الشيخان - البخاريُّ - كِتَابُ الدَّعَوَاتِ - بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ - (ج٨،ص٧٩)، مسلم - كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ - بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ وَغَيْرِهَا - (ج٤،ص٢٠٧٨).

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجُمُعَةِ - بَابُ مَنْ قَالَ فِي الخُطْبَةِ بَعْدَ الثَّنَاءِ: أَمَّا بَعْدُ - (ج٢ ، ص١٠) .

أولاً : الدعامة الأولى : حرص المنهج النبويّ على إبعاد الفقير عن كلّ خللٍ شعوريٍّ قد يتعرض له ، وذلك بدمجه في المجتمع ، وهذا الدمج يولِّد في ذات الفقير كثيرًا من المشاعرِ الحسنة ، كالقناعة والرِّضا (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرُزِقَ كَفَافًا ، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ)[1] ، لذا دعا المنهج النبويُّ الفقيرَ للتكسب ، ورفع اليد السفلى لتكون هي العليا ، وهذا الأمر فيه وقايةٌ شعوريَّةٌ مهمَّة ، تحفظ العبد من التعرض للأذية الشعوريَّة الناتجة عن طلب المال ، والحاجة اليه من أيدي النَّاس ، ممَّا تثمر استقرارًا شعوريًّا للمحتاج ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا ، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ)[2] .

الدعامة الثانية : معالجة المشاعر السيِّئة المتولدة من حاجة الفقر:

اشتملت السنَّة النبويَّة على جملةٍ وافرةٍ من صور المعالجةِ الشعوريَّةِ للفقير منها :

أولاً : لفتُ نظر الفقير إلى أنَّ الفقر ابتلاء من الله ، وأنَّ الصبر على هذا البلاء من الطاعات التي يحبُّها الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[3] ، مع بيان عظم الأجر

---

١ رواه مسلم في صحيحه – كتاب الزكاة - بَابٌ فِي الْكَفَافِ وَالْقَنَاعَةِ – (ج٢ ، ص٧٣٠) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الزَّكَاةِ - بَابُ الِاسْتِعْفَافِ عَنِ المَسْأَلَةِ – (ج٢ ، ص١٢٢)

٣ سورة البقرة – آية (٥٥) .

الأخرويّ المترتب على الصبر ، فقد قال ﷺ (إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ ، بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا)[1] .

ثانيًا : ومن صور تنمية مشاعر الفقير توجيهه لصور الكسب الحقيقيّ الذي ينفع يوم القيامة ، ومن ثمّ أوجد الشارع ما ينافسُ به الفقير أجور الغنيّ ، المترتبة على الإنفاق كما في حديث (أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : جَاءَ الفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا ، وَيَعْتَمِرُونَ ، وَيُجَاهِدُونَ ، وَيَتَصَدَّقُونَ ، قَالَ : أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ ، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا ، فَقَالَ بَعْضُنَا : نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : تَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ)[2] .

ويلحق بهذا حرص النبيّ ﷺ على دمج الفقير في المجتمع ، حتى لا يشعر بالنّقص ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : (شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ ، يُدْعَى لَهَا

١ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ – (ج٤ ، ص٢٢٨٥) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه – كِتَابُ الأَذَانِ – بَابُ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلاَةِ – (ج٢ ، ص١٦٨) .

الأَغْنِيَاءُ ، وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ)[1] . فجاء الذمُّ لهذا الطعام لإنَّه يشهده من لا يحتاجه ، فيما يُمنع عنه من هو أحقُّ به ، ويحمل هذا النصُّ دعوةً صريحة لإشراكِ الفقير ودعوته لمثل هذا ،تنمية لمشاعره وحفظا لها.

الدعامة الثالثة : نجح المنهج النبويُّ في صيانة لحظة الإنفاق من أيِّ أذيَّة شعوريَّة قد يتعرض لها الفقير ، وهذا أصلٌ مهمٌّ أشار إليه القرآن ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[2] ، وحذَّر من كلِّ ما يحيط بعملية الإنفاق من أيِّ أذيَّة شعوريَّة ، قوليَّةٍ أو فعليَّةٍ ، حفظًا لمشاعر المحتاج ونفسيته ، لأجل ذلك جاء الأمرُ بالقول المعروف عند الإنفاق ، والنهي عن إتباع الصدقة بالمنِّ والأذى : ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۞ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى ... ﴾[3] ، وتفضيل الخفاء على العلانية في إيصال الصدقة للمحتاج ، إلا فيما ترتب عليه مصلحة[4] ، وذلك حفظاً لمشاعره من الإيذاء ، فعن أبي هُرَيْرَةَ

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه – كِتَابُ النِّكَاحِ – بَابُ مَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ – (ج٧ ، ص٢٥) .

٢ سورة النساء – آية (٨) .

٣ سورة البقرة – آية (٢٦٣ ، ٢٦٤) .

٤ كصدقة من يقتدى به من الحكام وأهل العلم ، لأنَّ الناس متعلقون بهؤلاء ، ومترقبون لعملهم ، وبالتَّالي يكون إظْهار الإنفاق منهم أولى وأفضل ، قال زكريا الأنصاري من فقهاء الشافعيَّة : " وأمَّا الإمامُ فالإظهارُ له أفضلُ مُطلقًا " ، الأنصاري – زكريا بن محمد – **أسنى المطالب شرح روض الطالب** - دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠١م – (ج٢ ، ص٥٢٩) .

ﷺ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : (وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا ، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ)[1].

وقد وجَّه كتاب الله تعالى الأنظار للمحتاجين ، ودعا للتنبه والتفطن لحاجتهم قبل سؤالهم الصدقة ، لما في ذلك من حفظ المشاعر ، ومعالجة الحَياء الناجم عن ذُلِّ المسألة ، قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[2] ، فأمْعن النظر معي إلى قوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ ، لتدرك عِظَم عناية الإسلام بالمشاعر الإنسانيَّة ، وقَالَ ﷺ : (لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ الأُكْلَةَ وَالأُكْلَتَانِ ، وَلَكِنِ المِسْكِينُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ غِنًى ، وَيَسْتَحْيِي أَوْ لاَ يَسْأَلُ النَّاسَ إِلْحَافًا)[3] .

ومن حِفْظِ مشاعر الفقير عند سؤاله الصدقة ، عدم ردِّهِ ، ومنحِهِ ولو جزءًا من حاجته : دلَّ على هذا حديث (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بُجَيْدٍ ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ بُجَيْدٍ أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ : يَا رَسُوْلَ اللهِ إِنَّ الْمِسْكِيْنَ لَيَقُومُ عَلَى بَابِي ، فَمَا أَجِدُ لَهُ شَيْئاً أُعْطِيهِ إِيَاه ؟

---

١ رواه الشيخان – البخاري – كِتَابُ الزَّكَاةِ – بَابُ صَدَقَةِ السِّرِّ – (ج٢ ، ص١١٠) ، مسلم – كِتَابُ الزَّكَاةِ – بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ – (ج٢ ، ص٧١٥) .

٢ سورة البقرة – آية (٢٧٣) .

٣ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الزَّكَاةِ – بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : { لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا } - (ج٢ ، ص ١٢٤) .

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنْ لَمْ تَجِدِي لَهُ شَيْئاً تُعْطِينَهُ إِيَّاه إِلاَّ ظِلْفاً [1] مُحْرَّقاً فَادْفَعِيهِ إِلَيهِ فِي يَدِهِ) [2].

كما نلحظ التفوّق الشعوريّ في توقيت بعض الزكوات الواجبة ، كزكاة الفطر التي تسبق يومًا يُسنُّ فيه التوسعةُ الحسيَّة والمعنويَّة الشعوريَّة على الأبناء والأهل ، وهو يوم عيد الفطر ، ومن هنا جاء التوجيه النبويُّ بأدائها قبل صلاة العيد : (عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ، أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ)[3]، لأنَّ السؤال في مثل هذه المواسم له أثر نفسيٌّ بالغٌ على الفقير .

ومن صور التفوق في التعامل الشعوريِّ النبويِّ : إعطاء سهمٍ خاصٍّ من الزكاة للمؤلَّفة قلوبهم ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه الإحسان الماليّ ، لأجل التثبيت

---

١ (الظلف) للبقَرة والشَّاة والظَّبي ، كالحافر لغيرها ، واستعير للفرس – الرازي – محمد بن أبي بكر – مختار الصحاح – المكتبة العصرية – صيدا – لبنان – ط٥ – ١٤٢٠هـ .

٢ (**حسن**) رواه الترمذيُّ في سننه - أَبْوَابُ الزَّكَاةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ السَّائِلِ – (ج٣ ، ص٤٣) – والنسائيُّ في السنن - كِتَابُ الزَّكَاةِ – تَفْسِيرُ الْمِسْكِينِ – (ج٥،ص٨٦) ، وأحمد في مسنده – (ج٤٥،ص١٢٨) ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، (ج١ ، ص٥٧٨) ، رواته ثقات ، رواة الشيخين ، إلا عبد الرحمن بن بجيد ، مختلف في صحبته ، والراجح أنه صحابيٌّ كما رجح ذلك ابن حجر في الإصابة – (ابن حجر – الإصابة في تمييز الصحابة – تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (ج٤ ، ص٢٤٤)– دار الكتب العلميَّة – بيروت – ط١ – ١٤١٥هـ .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الزَّكَاةِ – بَابُ فَرْضِ صَدَقَةِ الفِطْرِ – (ج٢،ص١٣٠) ، مسلم في صحيحه – كتاب الزكاة - بَابُ الْأَمْرِ بِإِخْرَاجِ زَكَاةِ الْفِطْرِ قَبْلَ الصَّلَاةِ – (ج٢،ص٦٧٩).

الشعوريِّ ، لمحبة هذا الدين ، وهذا الأمر مبنيّ على فقهٍ عميقٍ بالمشاعر الانسانيَّة، التي تضطرب كثيرًا عند التحوُّل العقديِّ ، ومفارقة ما كان عليه الأباء والأجداد ، ممَّا يحتاج إلى مراعاةٍ خاصَّةٍ لأولئك بإعطائهم من مال الزكاة .

في حديث عَمْرِو بْنُ تَغْلِبَ ﷺ قال ﷺ : (فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي ، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ)[1] .

يقول سيد قطب : " ولكنْ أيُّ إنفاق هذا الذي ينمو ويربو؟ وأيُّ عطاء هذا الذي يضاعفه الله في الدنيا والآخرة لمن يشاء ؟ إنَّه الإنفاق الذي يرفعُ المشاعر الإنسانيَّة ولا يشوبها . الإنفاق الذي لا يؤذي كرامةً ، ولا يخدش شعوراً . الإنفاق الذي ينبعث عن أريحيَّة ونقاءٍ ، ويتجه إلى الله وحده ابتغاء رضاه .. "[2] .

ومن جملة هذه التشريعات ندرك الأثر الشعوريَّ الكبير الذي لأجله جاءت كل هذه التوجيهات وبهذه الصورة الفريدة .

---

١ رواه البخاري في صحيحه - كِتَابُ الجُمُعَةِ - بَابُ مَنْ قَالَ فِي الخُطْبَةِ بَعْدَ الثَّنَاءِ: أَمَّا بَعْدُ – (ج٢ ، ص ١٠) .

٢ سيد قطب - **في ظلال القرآن** – (ج١ ، ص٣٠٦) .

المطلب العاشر : مراعاة مشاعر غير المسلمين :

الإسلام رسالةٌ عالميَّةٌ ، تهدف لبثِّ الهداية لجميع البشر ، ومن هنا جاءت النصوص تكرِّم النفس الإنسانيَّة بصفةٍ عامَّةٍ ، قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[1].

لقد انعكس هذا المفهوم على سُبُل التعامل النبويِّ مع جميع الأطياف بما فيهم المخالفين ، على اعتبار أنَّها نفوسٌ مكرمة ، لا يجوز إهانتها ، أو التقليل من شأنها ، أخرج الشيخان حديث : (كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ ، فَقَامَا ، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَقَالاَ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ ، فَقَالَ : أَلَيْسَتْ نَفْسًا ؟)[2] ، قال ابن قيِّم الجوزيَّة : " وصحَّ عنه ﷺ أنَّه قام للجنازة لمَّا مرَّت به وأمر بالقيام لها ، وصحَّ عنه أنَّه قعد ، فاختُلف في ذلك : القيام منسوخ ، والقعود آخر الأمرين ، وقيل بل الأمران جائزان ، وفعله بيان للاستحباب ، وتركه بيان للجواز ، وهذا أولى من ادِّعاء النسخ "[3] .

---

١ سورة الإسراء – أية (٧٠) .

٢ رواه الشيخان – البخاريّ - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ – (ج٢ ، ص٨٥) ، مسلم - كِتَابُ الجنائز - بَابُ الْقِيَامِ لِلْجَنَازَةِ – (ج٢ ، ص٢٦١) .

٣ ابن قيِّم الجوزية – **زاد المعاد في هدي خير العباد** – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢٧ – ١٩٩٤م – (ج١،ص٥٠٢).

ومن هنا جاء الهديُ النبويُّ ، بمنهجٍ شعوريٍّ أصيل ، للتعامل مع غير المسلمين ، يهدف الوصول لقلوبهم ، والتأثير فيهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[1] ، قال ابن كثير : ﴿ أن تبروهم ﴾ أي : " تحسنوا إليهم "[2] ، ومن أعظم صور الإحسان مراعاة مشاعرهم ، والتعامل معها بشكل سليم .

ويبلغ بيان أهمية التعامل الشعوريّ السديد مع هؤلاء ، في أنَّ الكثير يشتبه عليه النهي عن مودَّتهم مع الأمر بالإحسان إليهم ، وقد أجاب ابن قيم الجوزيَّة عن هذا المنحى بقوله : " فإنَّ الله سبحانه لما نهى في أوَّل السورة[3] عن اتخاذ المسلمين الكفار أولياء ، وقطع المودة بينهم وبينهم ، توهم بعضهم أنَّ برهم ، والإحسان إليهم من الموالاة والمودَّة ، فبيَّن الله سبحانه أنَّ ذلك ليس من الموالاة المنهيِّ عنها ، وأنَّه لم ينه عن ذلك ، بل هو من الإحسان الذي يحبه ويرضاه ، وكتبه على كُلِّ شيءٍ ، وإنَّما المنهيُّ عنه تولي الكفار ، والإلقاء إليهم بالمودَّة "[4] .

---

١ سورة الممتحنة – آية (٨) .

٢ ابن كثير – **تفسير القرآن العظيم** – تحقيق سامي بن محمد سلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع – ط٢ – ١٩٩٩م – (ج ٨ / ص٩٠) .

٣ وهي سورة المتحنة .

٤ ابن قيِّم الجوزيَّة - محمد بن أبي بكر - **أحكام اهل الذمة** – تحقيق يوسف بن أحمد البكري – رمادي للنشر – الدمام – ط١ – ١٤١٨هـ - (ج١ ، ص٦٠٢) .

إنَّ الكفر الذي يقع فيه كثير من الناس ، سببه الجهل بنور الإسلام وهدايته ، ولا يكفُر معاندًا الا طائفةٌ قليلةٌ من النَّاس ، ولذا فإنَّ توجيه المشاعر الحسنة لمثل هؤلاء ، يشكِّل منهجًا سديدًا في التأثير عليهم ، والسير بهم نحو الإصلاح .

ومن هذا المنطلق احتوى المنهج النبويُّ الشعوريُّ على جملةٍ وافرةٍ من التطبيقات الشعوريَّة في التعامل مع غير المسلمين ، (فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَتْ : قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ ، إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمُدَّتِهِمْ مَعَ أَبِيهَا ، فَاسْتَفْتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ صِلِيهَا) [1].

لقد أمر النبيُّ ﷺ أسماء رضي الله عنها بالإحسان لإمها ، مع أنَّها مشركة ، لِما في هذا التعامل من أثرٍ شعوريٍّ عميقٍ في نفس الأمِّ ، قال النوويُّ : " وفيه جواز صلة القريب المشرك " [2].

ويشبه هذا ما يكون من عيادة مريضهم ، لما في ذلك السلوك من أثرٍ نفسيٍّ عميقٍ يترتب على الشعور بالاهتمام بهم عند حاجتهم ، (فعَنْ أَنَسٍ ﷺ ، قَالَ : كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ

---

١ رواه البخاريُّ – كِتَابُ الجِزْيَةِ – بَابُ إِثْمِ مَنْ عَاهَدَ ثُمَّ غَدَرَ – (ج٤ ، ١٠٣) ، مسلم – كتاب الزكاة – بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ ، وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ – (ج٢ ، ص ٦٩٦) .

٢ النووي - **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** – (ج٧ ، ص٨٩) .

، فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ : أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ)[1] .

ومن التطبيقات النبويَّة الشعوريَّة في التعامل مع غير المسلمين الإهداء لهم :

(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ، رَأَى حُلَّةً سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ ، فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ ، ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا حُلَلٌ ، فَأَعْطَى عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه مِنْهَا حُلَّةً ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَسَوْتَنِيهَا وَقَدْ قُلْتَ فِي حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا ، فَكَسَاهَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه ، أَخًا لَهُ بِمَكَّةَ مُشْرِكًا)[2].

قال النووي : " وفي هذا كله دليلٌ لجواز صلة الأقارب الكفار ، والإحسان إليهم ، وجواز الهديَّة إلى الكفار [3] " .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه – كِتَابُ الجَنَائِزِ – بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ – (ج٢ ، ص٩٤) .

٢ رواه الشيخان – البخاري - كِتَابُ الجُمُعَةِ - بَابُ يَلْبَسُ أَحْسَنَ مَا يَجِدُ – (ج٢ ، ص٤) ، مسلم - كتاب اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ - بَابُ تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَخَاتَمِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ عَلَى الرَّجُلِ ، وَإِبَاحَتِهِ لِلنِّسَاءِ ، وَإِبَاحَةِ الْعَلَمِ وَنَحْوِهِ لِلرَّجُلِ مَا لَمْ يَزِد عَلَى أَرْبَعِ أَصَابِعَ – (ج٣ ، ص ١٦٣٨) .

٣ النووي - المنهاج شرح الإمام مسلم – (١٤/ ٣٩) .

و (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّهُ ذَبَحَ شَاةً فَقَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِي الْيَهُودِيِّ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)[1] .

إن إيصال النفع الماديّ لغير المسلمين سبيلٌ لتأليف قلوبهم ، واستمالة مشاعرهم نحو حبِّ الإسلام ، ولذا كان النبيُّ ﷺ يكثرُ من إهداء من يرغب بإسلامهم ، وحسبك ما كان من سهم المؤلَّفة قلوبهم .

ومن النصوص التي تبيِّن أثر العطاء النبويِّ في التبدل الشعوريِّ حديث (أنسٍ ﷺ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا ، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ ، فَقَالَ أَنَسٌ : إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا ، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)[2] .

---

١ (**صحيح**) رواه أبو داود في سننه - كِتَاب الْأَدَبِ - بَابٌ فِي حَقِّ الْجِوَارِ – (ج٤ ، ص٣٣٨) والترمذي في سننه - أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الجِوَارِ – (ج٤،ص٣٣٣) بسند صحيح ، وقد روي هذا المتن بطرق كثيرة قال الترمذي : عَنْ عَائِشَةَ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَنَسٍ ، وَالمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ ، وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، وَأَبِي شُرَيْحٍ ، وَأَبِي أُمَامَةَ ، وأصله في الصحيحين دون قصة ذبح الشاة وإهدائها (البخاريُّ – كِتَابُ الأَدَبِ - بَابُ الوَصَاةِ بِالْجَارِ – (ج٨ ، ص١٠) ، مسلم – كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ – (ج٤ ، ص ٢٠٢٥) .

٢ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْفَضَائِلِ - بَابُ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ – (ج٤ ، ص١٨٠٦) .

الفصلُ الرابع

تطبيقات المنهج النبويّ في فهم المشاعر الذاتيّة والتعامل معها

(الوعي الشعوريُ الذاتيُ)

المبحث الأول : الفهم العميق للحالة الشعوريّة (قراءة مشاعر الذات) .

المبحث الثاني : تحليل المواقف الشعوريّة المختلفة (التمييز بين المشاعر).

المبحث الثالث : القدرة على التعبير عن المشاعر (الفصاحة الشعوريّة) .

المبحث الرابع : إدارة الانفعالات الناتجة عن الحالة الشعوريّة .

المبحث الخامس : تنمية المشاعر الحسنة .لتحفيز الذات .

المبحث السادس : التغلب على المشاعر السيئة .

المبحث الأول

الفهم العميق للحالة الشعوريَّة (قراءة مشاعر الذات)

دقَّة تحليل الشعور الذاتيِّ

تمثِّلُ قراءة المشاعر الذاتيَّة المرتكز الأوَّل الذي تبنى عليه الإدارة الشعوريَّة الذاتيَّة عند الإنسان ، لذا لا بدَّ أن يتقن الإنسان فهم حقيقة مشاعره المختلفة ، في المواقف المتنوعة بصورةٍ سليمةٍ ، ومن هنا اهتم علماء النَّفس بهذا المنحى بشكلٍ كبير ، نلمسه من خلال إشارتهم لمصطلح الوعي بالنَّفس أو الوعي الشعوريِّ الذاتيِّ.

ومن أشهر التعاريف التي توصلنا لفهم حقيقة هذا المصطلح :

- جون ماير : " أن نكون مدركين لحالتنا النفسيَّة ، وتفكيرنا بالنسبة لهذه الحالة المزاجية نفسها " [1].
- دانيال جولمان : " الانتباه للحالة النفسيَّة الداخليَّة " [2] .
- عثمان خضر : " قدرة العقل على ملاحظة التقلبات المزاجية ، حتى الصغيرة منها ، التي تحدث داخل الفرد " [3] .

١جولمان – **الذكاء الوجداني** – ص (٧٥) .

٢ المرجع السابق – ص (٧٤) .

٣ عثمان خضر – **الذكاء الوجداني** – الإبداع الفكري للنشر والتوزيع – الكويت – ٢٠٠٨م – ط٢ – ص (٣٤) .

- علي عجين : " التّعرُّف على شعورٍ ما وقتَ حدوثه " [1] .

من جملة هذه الإشارات يمكننا أن نصل إلى ما يمكننا أن نطلق عليه عناصر الوعي الشعوريّ الذاتيّ ، وهي كما يلي :

الأول : إدراك المشاعر الذاتيَّة كما هي : ويدخل في هذا التعرُّف على الشعور وقت حدوثه ، وسبب هذا الشعور ، مع معرفة درجته .

الثاني : تفريق الإنسان بين مشاعره وأفكاره وسلوكه .

الثالث : التنبُّه للتغيُّرات الشعوريَّة الذاتيَّة : ويشمل هذا رصد المشاعر ، وما يطرأ عليها من تبدُّل وتلوُّن .

الرابع : وعي الإنسان بطرق المعالجة الشعوريَّة الذاتيَّة .

وتكمن خطورة عدم فهم المشاعر الذاتية بما يُحدثه ذلك من تخبُّط داخليّ ، فتتولد في الإنسان سلوكيات سيئة تبعاً لهذه المشاعر .

هذا ويمكن تقسيم النَّاس من حيث فهمهم لمشاعرهم الذاتيَّة إلى ثلاثة أقسام[2]:

القسم الأول : ما يمكن تسميتهم بأصحاب الوعي الشعوريّ الذاتيّ : وهؤلاء يدركون حقيقة مشاعرهم الذاتيّة ، وما يجري عليها من تقلبات ، ويمايزون بين مشاعرهم ،

---

١ عجين – علي – **اكتسب مهارات الذكاء الوجداني من سنَّة نبيك** – ص (٢١) – سلسلة تنمية المهارات الدعوية (١) - مطبوعات جمعية الكتاب والسنة – ط١ – ١٤٣١هـ .

٢ أنظر **الدافعية والذكاء العاطفي** – حسين أبو رياش وآخرون – ص (٢٣٦) .

ويستطيعون ضبط مشاعرهم النفسيَّة ، والخروج من حالتهم الشعورية السيئة بيُسر ومهارة .

القسم الثاني : من تسيطر عليهم مشاعرهم ، فيستسلمون لها ، ويسيرون معها ، فلا تراهم إلا متقلبي المزاج ، غارقين في انفعالاتهم ، لا يجدون تفسيرًا لكثير من سلوكياتهم الناتجة عن مشاعرهم .

القسم الثالث : المتقبّلون لمشاعرهم : يدركون حقيقة مشاعرهم ، لكنَّهم لا يسعون لتغييرها .

فأمَّا من هم بحالة شعوريَّة جيدة ، فليس هناك حاجة لتغييرها ، ويكمن الإشكال في من يتقبّلون مشاعرهم السيِّئة كأمرٍ واقعٍ ، ولا يفعلون شيئاً لتغييرها.

وعند تتبعي لصور التأصيل النبويِّ للتعامل الذاتيِّ مع الشعور الداخليِّ ، لمحت التفوق في وضع منهجٍ يمتاز بالكثير من مهارات تحقيق الوعي الشعوريِّ الذاتيِّ يمكنني أن أمثِّل لها بالنقاط التالية :

أولاً : رَبَطَ المنهج النبويُّ الشعوريُّ المشاعر الذاتيَّة بخالقها ﷻ : وهذا يجعل العبد دائم الاعتماد على خالقه في ضبط مشاعره الذاتيَّة ، مما يولِّد الطمأنينة والرضا ، وإذا أردت أن تسأل عن الاستقرار الشعوريِّ الذي كان ينعُمُ به نبينا ﷺ ، فانظر بتمعُّنٍ إلى تعلُّقه بربِّه ، وتوكيله أمر مشاعره إليه . (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ : الْتَمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى

خَيْبَرَ ، فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي ، وَأَنَا غُلاَمٌ رَاهَقْتُ الحُلُمَ ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ)[1].

و(عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه : أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي ، قَالَ : قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)[2] .

تشكِّل هذه التضرعات النبويَّة متابعةً ذاتيَّةً نفسيَّة ، ومراجعةً شعوريَّةً ، فنجد الاستعاذة في المثال الأول من الهمِّ والحَزَن – وهي من المشاعر السيِّئة – نوعَ وعيٍ ذاتيٍّ ، فيعترفُ العبدُ بضعفه ، ويسألَ خالقه إعانته ، ويشكِّل قناعةً ذاتيَّةً بخطورة هذا الشعور وأهميَّة ضبطه .

ثانياً : دعا المنهج النبويُّ الشعوريُّ إلى فهم حقيقة المشاعر الذاتيَّة ، والمراقبة الواعية لها ، من خلال نظر كلِّ إنسانٍ إلى ذاته ، وإدراك ما يميِّزها عن غيرها من المشاعر الفطريَّة التي خلقها الله فيها ، إذ أنَّ كلَّ إنسانٍ يمتاز بجملة من المشاعر التي تظهر عليه ، وتغلب على سلوكه ، فيمتاز بها عن غيره .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ مَنْ غَزَا بِصَبِيٍّ لِلْخِدْمَةِ – (ج٤،ص٣٦) .

٢ رواه الشيخان – البخاري - أبواب صفة الصلاة - بَابُ الدُّعَاءِ قَبْلَ السَّلاَمِ – (ج١، ص١٦٦) ، مسلم - كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ - بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ – (ج٤،ص٢٠٧٨).

إنَّ معرفةَ هذه الجوانب يعينُ على فهم الذَّات وتقييمها ، والعمل على علاج ما ينقصها ، ومن ثمَّ يوصل لتقبُّل الإنسان لنفسه ، وهذا من أهمِّ عناصر تقدير الذات .

وقد رسم لنا النبيُّ ﷺ صورةَ الوعي الشعوريِّ الذاتيِّ ، عندما كان يحدثنا عن نفسه في كثير من التصريحات الشعوريَّة النبويَّة :

(قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ، لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي)[1] .

و(عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ، قَالَ : " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ....)[2] .

وهذا يدلُّ على أنَّ النبيَّ ﷺ كان يدرك مشاعر ذاته ، وصنفَها ، ودرجَتها ، ولذا فهو يصرِّح بها ، ويمايز بينها ، مما يدلُّ على وعيٍ شعوريٍّ فائق .

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الحُدُودِ - بَابُ مَنْ رَأَى مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَقَتَلَهُ – (ج٨،ص١٧٣) ، مسلم - كِتَابُ اللِّعَانِ – (ج١ ، ص١١٣٥) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ - بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ : آمِينَ ، وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ – (ج٤،ص١١٥) – مسلم - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ – (ج٣،ص ١٤٢٠).

ثالثاً : النقد الشعوريُ الذاتيّ :

وأعني به تتبعُ المواقف الشعوريَّة الذاتيَّة دائماً ، وتحليلها بصورةٍ سليمةٍ وواقعيَّةٍ ، لتكوين مواقف مستقبليَّة أكثر نضجاً من سابقتها .

(عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : اللهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ ، يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ ، وَإِنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ ، فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً ، تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1] .

يشكِّل هذا المثال مراجعةً شعوريَّةً داخليَّة ، يعترف فيها النبيُّ ﷺ ببشريته التي يتولد منها النَّقص ، فانفعال الغضب المتولِّد في بعض الظروف ، قد يقود إلى أذيَّةٍ للغير ، وهذا العُمق في تتبع المشاعر الداخليَّة وتقييمها ، يثمر نضجاً وجدانيَّاً ، يحتاجه الإنسان في حياته كلِّها .

و (عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ ﷺ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لاَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الآنَ ، وَاللَّهِ ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ مَنْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، أَوْ سَبَّهُ ، أَوْ دَعَا عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ هُوَ أَهْلًا لِذَلِكَ ، كَانَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا وَرَحْمَةً – (ج٤ ، ص ٢٠٠٨) .

الآنَ يَا عُمَرُ)[1] ، قال ابن حجر : " وفي هذا الحديث إيماءٌ إلى فضيلة التفكُّر ؛ فإنَّ الأحبيَّة المذكورة تعرف به ، وذلك أنَّ محبوب الإنسان إمَّا نفسُه ، وإمَّا غيرها ، أمَّا نفسه : فهو أن يريد دوام بقائها سالمةً من الآفات ، هذا هو حقيقة المطلوب ، وأمَّا غيرها فإذا حقَّق الأمر فيه ؛ فإنَّما هو بسبب تحصيل نفعٍ ما على وجوهه المختلفة حالاً ومآلاً "[2] .

إنَّ هذا التفكر الذي يشير إليه ابن حجر رحمه الله ، هو ما يطلق عليه علماء النَّفس (الحوار الوجدانيّ الذاتيّ) ، ويقصدون به التفكُّر الشعوريَّ الذاتيَّ ، وهو من صور النقد الشعوريِّ الذاتيِّ ، بهدف الوصول إلى حقيقة الموقف الشعوريِّ ، وهو تماماً ما حصل مع عمر ﷺ وهو يفتِّشُ نفسه ، ويقارن محبَّة نفسه بالمحبَّة الدينيَّة لشخص النبيِّ ﷺ ، ليغيِّر قناعته ، ويرصد شعوره ، ويرجع بالصواب : (وَاللَّهِ ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي) .

رابعاً : رصد مثبطات المشاعر وتتبعها :

تنبِّه السنَّة النبويَّة إلى ضرورة رصد المؤثرات السيِّئة على المشاعر الذاتيَّة ، لتجنبها وتحييدها ، وهذا الوعي الذاتيُّ في رصد هذه الأمور ، يدفع العبد إلى ديمومة إدارته لذاته نحو الاستقرار الشعوريِّ .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ - بَابٌ: كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ – (ج٨ ، ص ١٢٩) .

٢ ابن حجر – **فتح الباري** - (ج١ ، ص٥٩) .

وقد كان النبيُّ ﷺ يدرك ما يؤثِّر على مشاعره ، ويسارع إلى دفع كلِّ فكرةٍ سيِّئة ، قد تقود إلى استجلابِ المشاعر السيِّئة ، وهذه هي ثمرة الوعي الذاتيِّ .

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَلاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا ، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ)[1].

قال ابن حجر : " كان الكفَّار من قريش من شدَّة كراهتهم للنبيِّ ﷺ لا يسمُّونه باسمه الدال على المدح ، فيعدلون إلى ضدِّه ، فيقولون (مذمَّم) ، وإذا ذكروه بسوءٍ قالوا : فَعَلَ الله بمذمَّم ، ومذمَّم ليس هو اسمه ، ولا يعرف به ، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره "[2] .

ومع أنَّ الكفار يقصدون شخص النبيِّ ﷺ إلاَّ أنَّه ﷺ دفع هذا المعنى عن ذهنه ، واستدعى صوراً حسنةً في تفسير ذلك ، وهو أنَّه ليس كما وصفوه لفظاً ولا معنى ، ومن ثمَّ هو يستشعر معيَّة الله في ذلك .

" قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : إن قيل كيف يستقيم ذلك ؟ وهم ما كانوا يشتمون الاسم بل المسمَّى ، والمسمَّى واحدٌ ، فالجواب : أنَّ المراد كُفي اسمي الذي هو محمَّد أن يشتم بالسبِّ "[3] .

---

١ رواه البخاريُّ - كتاب المناقب - باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ - (ج٤ ، ص١٨٥)

٢ ابن حجر - **فتح الباري** - (ج٦ ، ص٥٥٨) .

٣ السيوطي - جلال الدين - **حاشية السيوطي على سنن النَّسائي** - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ط٢ - ١٤٠٦ هـ - (ج٦ ، ص١٥٩) .

ومن خلال فهم هذه المنطلقات نلمس بوضوحٍ اهتمام السنَّة النبويَّة بإيجاد وعي شعوريٍّ ذاتيٍّ يقود المسلم إلى تتبع جوانب الخير في ذاته وينميها ، وجوانب الشرِّ فيخليها .

المبحث الثاني

تحليل المواقف الشعوريَّة الذاتيَّة المختلفة

(التمييز بين المشاعر الذاتيَّة)

ينبني على الفهم العميق للحالة المزاجيَّة ، القدرة على التمييز بين المشاعر المختلفة ، فالإنسان تعتلجه جملة من المشاعر والانفعالات ، التي قد تشتبه على الإنسان ، فلا يستطيع تمييزها ، مما ينتج عنه تفسيرٌ خاطئٌ لها.

ونقصد بالتمييز بين المشاعر الذاتيَّة : القدرة على فرزها ، وحسن تصنيفها ، من حيث نوعها وشدَّتها ودوافعها ، ذلكم أنَّ المشاعر الإنسانيَّة المختلفة ، لا تلعب دورها الحقيقيَّ بصورة سليمةٍ ، إلاَّ إذا جاءت في الوقت المناسب ، والشدَّة المناسبة ، ولفترة مناسبة ، " فبالرغم من أنَّه لا توجد عاطفةٌ واحدةٌ مطلقةٌ ، موجَّهةٌ للنَّاس والأشياء جميعاً ، إلا أنَّ العواطف تتشابك وتتداخل ، وإن تلونت واختلفت ، ويبرز بعضها ، وتوارى البعض الآخر " [1] .

---

1 الزنتاني – أسس التربية الإسلامية في السنة – ص (٥٨٩) .

ويهدف الإنسان الواعي شعورياً من فرز مشاعره الذاتيّه ، إلى منع ما يطلق عليه عند علماء النفس بـ (التداخل الشعوريّ) ، والذي يولّد انفعالات ومشاعر غير مفهومة ، مما يثمر تخبُّطاً نفسيّاً ووجدانيّاً ، يجعل الإنسان لا يفهم حقيقة مشاعره ، وربما لا يميّز بينها .

وتمتاز السنَّة النبويَّة بالكثير من مهارات فرز المشاعر الذاتيَّة ، فقد حرصت السنَّة على تسمية كلِّ شعور باسمه ، ووصفه بوصفٍ يمايزه عن غيره ، بل تُعتبر السنَّة النبويَّة – بلا أدنى شكٍّ – من أغنى المصادر الوجدانيَّة ذكراً للمشاعر والانفعالات .

ومما يميِّز السنَّة كذلك ، تحليل الشعور الذاتيِّ الواحد ، وبيان متعلقاته كلِّها ، والتمييز بين المشاعر الذاتية الفطريَّة والاختياريَّة :

مثال ذلك : شعور الخوف ، الذي يعدُّ من أهمِّ المشاعر التي تتولد كثيراً في نفس الإنسان ، " وهو شعور يطرأ على الفرد ، فيحدث تغيُّرات في جسم الإنسان ، منها إفراز جسم الإنسان هرمون الأدرينالين في الدم ، ليساعد الجسم على الخروج من الموقف " [1] .

وعند تتبع الهدي النبويِّ في الخوف ، نجد أنَّه يعترف به ، ويميِّزه عن غيره من المشاعر ، ومن ثمَّ فإنَّه يحدده ، ويضبط نسبته ، فيجعل الخوف من الله

---

١ أسعد – يوسف ميخائيل – **سيكولوجية الخوف** – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٩٠م – ص (١٥) .

المنطلق الأوَّل ، ويصرف غيره من الخوف الشركيِّ ، ويقرُّ الخوف الطبعيَّ ، الذي هو فطريٌّ في الإنسان .

ولا يتوقف الأمر عند هذه الدرجة بل يضبط الخوفَ التعبديَّ بضابط دقيقٍ ، فلا يقبل الخوف بدرجاته الدنيا ، والذي لا يردع عن الحرام ، ولا يحمده بدرجاته العليا حيث اليأس والقنوط ، وكلُّ ذلك يولِّد التوازن الفريد في الذات الإنسانيَّة .

يقول الدكتور سعيد الخولي : " والخوف الطبيعيُّ يؤدي إلى الكفاية والاتزان وأخذ المحاذير ، أمَّا الخوف المرضيُّ فيؤدي إلى فقدان الكفاية والاتزان ، والتسامي بالخوف يؤدي إلى يقظةٍ عقليَّة تدرك الصعوبات والأخطار ، وتستعد لملاقاتها في كلِّ موقف ، وهذا نقيض الإهمال واللامبالاة ، فإذا كان الإنسان خائفاً خوفاً طبيعياً لا يعني أنَّه هيَّاب وجزع ، كالجرَّاح الذي يخاف أن يخطئ ، فيحذر أسباب الخطأ ، فعدم الخوف قرين الاستهتار "[1]. (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ ، أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ ، فَعَرَّفَتْهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾[2] الآيَة)[1].

---

١ الخولي – عبد البديع عبد العزيز – **الفكر التربويُّ العربيُّ** الإسلاميُّ – ص (٥١٦) – المنطقة العربية للثقافة والعلوم – تونس – ١٩٨٧م .

٢ سورة الأحقاف – آية (٢٤) .

المبحث الثالث

القدرة على التعبير عن المشاعر الذاتية

(الفصاحة الشعورية)

من أهمِّ التطبيقات التي أصَّلتها السنَّة النبويَّة هي التعبير الشعوريُّ ، أو ما يمكننا تسميته الفصاحة الشعوريَّة ، وهي القدرة على إظهار المشاعر الإنسانيَّة الذاتيَّة بصورتها ودرجتها الحقيقيتين .

مقيدات هذا التعريف :

- (القدرة) : مهارة يسعى الإنسان لتحصيلها من خلال إظهار مشاعره المتنوعة بصورتها الحقيقية ، " وهي التقدُّم في المعرفة العاطفيَّة ، وتطوير القدرة على قراءة عواطف الآخرين ، والتفاعل العاطفيُّ الصحيح معهم "[2] .
- (المشاعر الإنسانيَّة الذاتيَّة) : أي المشاعر الخاصة ، التي تعتلج بصدره ، ويعايشها بنفسه ، دون تبعية لغيره ، أو تأثراً بمن حوله .

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ - بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ – (ج٤ ، ص١٠٩) ، مسلم - كِتَابُ صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ - بَابُ التَّعَوُّذِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، وَالْفَرَحِ بِالْمَطَرِ – (ج٢ ، ص٦١٦) .

٢ مبيض – مأمون – **الذكاء العاطفي والصحَّة العاطفية** – ص (٥٧) .

• (بصورتها) : بحيث يميِّز من يراه حالته الشعوريَّة من آثارها الظاهرة ، فإذا حزن مثلاً ، ظهر على محيَّاه مظهر الحُزنِ بوضوحٍ ، فلا يختلط الشعور بغيره .

• (ودرجتها) : أي درجة الشعور الواحد ارتفاعاً وانخفاضاً ، فيفهم من يراه درجة فرحه مثلاً ، هل هو فرح قليلٌ أو كثيرٌ وهكذا .

ولنا الآن أن نقف مع الهدي النبويِّ الكريم في هذا التطبيق تحليلاً وبياناً ، لنصل إلى جوانب التميُّز الشعوريِّ ، فمن صور الفصاحة الشعوريَّة النبويَّة :

أولاً : توظيفُ لغة الجسد [1] في التصريح الشعوريِّ الذاتيِّ ، بصورةٍ ليس فيها لبس ، وهذا ما نلمحه في شخص النبيِّ ﷺ ؛ فمن ذلك أنَّه (كَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ)[2] ، (جَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرَفُ فِيهِ الحُزْنُ)[3] ، (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ)[4] و (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا

---

١ سياتي تعريفها لاحقا ص (٢٥٢) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الأَدَبِ - بَابُ مَنْ لَمْ يُوَاجِهِ النَّاسَ بِالعِتَابِ – (ج٨،ص٢٦)، مسلم - كتاب الْفَضَائِلِ - بَابُ كَثْرَةِ حَيَائِهِ ﷺ – (ج٤ ، ص ١٨٠٩) .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ مَنْ جَلَسَ عِنْدَ المُصِيبَةِ يُعْرَفُ فِيهِ الحُزْنُ – (ج٢ ، ص٨٢) ، مسلم – كتاب الجنائز - بَابُ التَّشْدِيدِ فِي النِّيَاحَةِ – (ج٢ ، ص ٦٤٤) .

٤ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ المَغَازِي - بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ – (ج٦ ، ص٣) ، مسلم – كتاب التَّوْبَةِ - بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ (ج٤ ، ص ٢١٢٠) .

جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ – وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَتَذْرِفَانِ – ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ)[1] . فكلُّ هذه الأمثلة تدلُّ على قدرة الصحابة الكرام على قراءة مشاعر النبيّ ﷺ المتنوعة ، والتي تظهر على جوارحه ، ويظهر منها كذلك سهولة تشخيص هذه المشاعر وتمييزها ، بعضها عن بعض ، مما يدلُّ على قدرة النبيّ ﷺ على إظهار مشاعره بصورتها ودرجتها التي هي عليه ، وهذه هي حقيقة الفصاحة الشعوريَّة .

يقول جولمان : " والمرضى الفاقدون القدرة على التعبير عن مشاعرهم ، ويشعرون بالارتباك إذا عبَّر الآخرون لهم عن مشاعرهم نحوهم ، وهذا الفشل في تسجيل مشاعر الطرف الآخر هو أكبر نقطة ضعف في الذكاء العاطفيّ ، بل هو فشلٌ مأساويٌّ في معنى إنسانيَّة الإنسان "[2] .

إنَّ القدرة على استخدام لغة الجسد في إيصال الرسالة الشعوريَّة سعياً في تحقيق المشاركة الشعوريَّة ، هي جزء من أهمِّ أجزاء الفصاحة الشعوريَّة . ومن ثمرات إظهار الأثر الشعوريّ على الجوارح قبل إصدار أيِّ ردة فعل ، هو إعطاء مجالٍ للمقابل ، لتفسير الحالة الشعوريَّة وفهمها .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ الرَّجُلِ يَنْعَى إِلَى أَهْلِ المَيِّتِ بِنَفْسِهِ – (ج٢،ص٧٢) .

٢ جولمان – دانيال – **الذكاء الوجدانيُّ** - ص(١٤٤) .

ثانياً : التصريح الشعوريُّ اللفظيُّ : وهو صياغة المشاعر إلى ألفاظٍ تعبّر عن مكنونات النَّفس ، ويشكّل التصريح بالمشاعر اعترافاً ذاتياً لما يجده الإنسان من مشاعر ، وهو مهمٌّ جداً في العلاقات الإنسانيَّة ، والمواقف الاجتماعيَّة .

إنَّ المتتبع للألفاظ الشعوريَّة النبويَّة يجدُ ذلك التنوع الواسع في استخدام هذه العبارات الشعورية ، حتى غدا القاموس النبويُّ الشعوريُّ يشمل أغلب المشاعر الإنسانيَّة ، ممَّا يصور لنا عمق التعابير الشعوريَّة النبويَّة ، وأثر استخدام هذا المنهج على الصحَّة النفسيَّة للإنسان .

وإليك جملة من النصوص التي يظهر فيها التصريحُ الشعوريُّ النبويُّ بأدقِّ العبارات وأوضحها :

عن (عَمْرِو بْنُ تَغْلِبَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ – أَوْ سَبْيٍ – فَقَسَمَهُ ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي ، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ ، فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ)[١] .

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجُمُعَةِ - بَابُ مَنْ قَالَ فِي الخُطْبَةِ بَعْدَ الثَّنَاءِ: أَمَّا بَعْدُ – (ج٢،ص١٠) .

جاء الخطاب النبويُّ هنا تعليقاً على مشاعر الحزن والعتاب الذي أصاب من لم ينل شيئاً من الغنيمة ، فكان التصريح النبويُّ قائماً على معالجة المشاعر بفصاحة شعوريَّة بليغةٍ أعطت الملامح التالية :

- نفى النبيُّ ﷺ أن يكون العطاء قائماً على تفضيلٍ عاطفيٍّ شعوريٍّ ، وبرهن على ذلك بأنَّه يعطي الرجل ، والذي يدع أحبَّ إليه ممن يعطي .
- أنَّ العطاء نوعُ علاجٍ شعوريٍّ لهؤلاء المؤلَّفة ، لأنَّ قلوبهم لم يستقر الإيمان فيها ، بل فيها من الهلع والجزع الشيء الكثير ، أمَّا من منع العطاء فلأنه وجد في قلبه من حلاوة الإيمان ما يغني عن الدنيا وما فيها .
- ترك النبيُّ ﷺ لوم من قال هذا القول ، رغبةً في إصلاح النفسيَّات ، وترغيب القلوب " وهذا موضع كان يحتمل التأنيب للظَّان ، واللَّوم له ، لكنَّه ﷺ رؤوف رحيم كما وصفه الله " [1] فترك لومهم ، وعالج مشاعرهم .
- الفصاحة الشعوريَّة بالتصريح بذكر " عمرو بن تغلب " في الطائفة الممدوحة التي وكلها النبيُّ ﷺ لإيمانها ، وهذا التخصيص له هدفٌ شعوريٌّ بعيد المغزى ، ولهذا ترك أثراً كبيراً في نفسيَّة عمرو ، صرَّح به بقوله : " فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَم " .

---

١ ابن بطال - شرح صحيح البخاري – (ج ١٠ ، ص ٥٣٦) .

وفي الأمثلة القادمة نماذج من الفصاحة الشعوريَّة النبويَّة في مشاعر الحبِّ خاصَّة ، لنرى الإبداع النبويّ في هذا الجانب :

- الفصاحة الشعوريَّة اللفظيَّة ، بالتصريح المباشر بالمشاعر لمن يحب ، فقد صرح النبي مراراً بمحبَّته لأناس بأعيانهم ، فمن ذلك قوله لمعاذ بن جبل ﷺ (يَا مُعَاذُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، فلا تدعنَّ دبر كلِّ صلاة أن تقول : اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)[1] .
- دعوة المنهج النبويِّ إلى المشاركة الشعوريَّة ، وذلك بالإخبار والتصريح بالمحبَّة ، مع الإشارة إلى أهمية المبادلة الشعوريَّة من المتحابِّين: (عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ، وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ)[2] ،(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْلَمْتَهُ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «أَعْلِمْهُ» قَالَ: فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ

---

١ سبق تخريجه ص (١٢٢) .

٢ (**صحيح**) رواه أبو داود في سننه - كتاب الأدب - باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه – (ج٤ ، ص٣٣٢) ، والترمذي في سننه - أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي إِعْلَامِ الْحُبِّ – (ج٤ ، ص ٥٩٩) ، وأحمد في مسنده – (ج٢٨ ، ص ٤٠٨) ، وهذا إسناد صحيح ، من حديث يحيى بن سعيد القطان عن ثور بن يزيد ، عن حبيب بن عبيد ، عن المقدام بن معدي كرب ، وهذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات .

* **نَشْرُ ثقافة المحبَّة الشعوريَّة بين النَّاس ، والتصريح بذلك في المواطن العامَّة :**

فقد عقد البخاريُّ في صحيحه : " بابُ قول النبيِّ ﷺ للأنصار أنتم أحبُّ الناس إليَّ " ، ثمَّ ساق الحديث بسنده (عَنْ أَنَسٍ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، رَأَى صِبْيَانًا وَنِسَاءً مُقْبِلِينَ مِنْ عُرْسٍ ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ مُمْثِلًا ، فَقَالَ : اللهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، اللهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ يَعْنِي الأَنْصَارَ)[1].

و(عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا ، فَكَلَّمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، مَرَّتَيْنِ)[2] .

* التصريح بالتفاوت الشعوريِّ في المحبَّة ، والذي يثمر ترتيباً شعورياً : عن (عَمْرُو بْنُ العَاصِ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : عَائِشَةُ ، فَقُلْتُ : مِنَ الرِّجَالِ ؟ فَقَالَ : أَبُوهَا ، قُلْتُ

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلأَنْصَارِ: أَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ - (ج٥ ، ص٣٢) – مسلم – كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الأَنْصَارِ ﷺ – (ج٤ ، ص ١٩٤٨) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلأَنْصَارِ: أَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ - (ج٥ ، ص٣٢) .

: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَعَدَّ رِجَالاً)[1] .وهذا الحديث يدلُّ دلالةً واضحةً على فصاحة النبيِّ ﷺ الشعوريَّة ، ليس فقط بالتصريح عن مشاعر الحبِّ لهؤلاء الأشخاص ، بل تجاوز هذا الأمر إلى بيان درجات المحبَّة ، مما ترتب عليه وجود تفاوت واضح ، الحظ معي عبارة (ثمَّ) التي جاءت في سياق الحديث ، لتدلَّ على الترتيب والتفاوت بين المذكورين .

ويبلغ التفوُّق النبويُّ في هذا الجانب مبلغه ، ونحن نشهد آخر رسالة شعوريَّة تصدر عن شخص النبيِّ ﷺ في حياته ، وهي ما كان في مرض موته : (عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَا هُمْ فِي الْفَجْرِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ، وَأَبُو بَكْرٍ ﷺ يُصَلِّي بِهِمْ ، فَفَجِئَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ ، فَتَبَسَّمَ يَضْحَكُ ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلاَةِ ، وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاَتِهِمْ ، فَرَحًا بِالنَّبِيِّ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ : أَنْ أَتِمُّوا ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ ، وَأَرْخَى السِّتْرَ)[2] ، لقد كانت هذه الابتسامة النبويَّة آخر رسالة أرسلها النبيُّ ﷺ للصحابة ، هي رسالة

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الْمَنَاقِبِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا - (ج٥،ص٥) ، مسلم - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ- (ج٤،ص١٨٥٦) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه – كتاب العمل في الصلاة - بَابُ مَنْ رَجَعَ القَهْقَرَى فِي صَلاَتِهِ، أَوْ تَقَدَّمَ بِأَمْرٍ يَنْزِلُ بِهِ – (ج٢ ، ص٦٣) .

عاطفيَّة شعوريَّةٌ ، أغنت عن كثير من الكلام والخطاب ، إنَّها ابتسامة الرضا عن وحدتهم ، وصلاتهم خلف إمامهم ، وحرصهم على طاعة ربهم ، وكأنَّه يهمس في آذانهم ، بأنَّه راضٍ عنهم ، ما داموا على ما هم عليه من الاجتماع ، لقدَ تُوُفِّيَ النبيُّ ﷺ ذلك اليوم ، بعد أن تمكَّن من إرسال رسالة شعوريَّة بأسرع طريقة وأسهلها .

ومع نهاية هذا المبحث ، نخلص إلى أنَّ الفصاحة الشعوريَّة من أهمِّ المبادئ التي يتمُّ به إيصال الرسالة الشعوريَّة ، ليثمر ذلك التواصل السليم بين الأطراف ، والتعبير عن المشاعر بصورة سليمة .



المبحث الرابع

إدارة الانفعالات الناتجة عن الحالة الشعورية

تتولَّد في النفس الإنسانيَّة كثيرٌ من الانفعالات التي ترتبط بالحالة الشعوريَّة ، وحتى يحصِّل الإنسان التوازن النفسيَّ الذاتيَّ ، فلا بدَّ أن يسعى إلى ضبط انفعالاته وإدارتها بالصورة المناسبة ، ونعني بإدارة الانفعال : " القدرة على حسن إدارة العواطف الذاتيَّة أو الغيريَّة ، وذلك بالتخفيف من العواطف السلبيَّة ، وتقوية العواطف الإيجابية ، من دون كبت المعلومات التي تنقلها هذه العواطف ، ومن دون المبالغة فيها " [1] .

فتهدف إدارة الانفعال الى تحقيق توازن شعوريٍّ ذاتيٍّ ، ليس هو قمع للمشاعر ، لإنَّ ذلك يولِّد فتوراً وجدانياً ، بينما ترك الانفعالات دون ضبطها يقود إلى توليد انفعالات حادة ، وتقلبات مستمرَّة " ولا شكَّ في أنَّ مفتاح سعادتنا العاطفيَّة ، يكمن في ضبط انفعالاتنا المزعجة بصورة دائمة ، لأنَّ التطرف المتزايد والمكثف في العواطف لفترة طويلة ، يؤدي الى تقويض استقرارنا .... " [2] .

" وقد اكد المزيني في دراسته ، على أنَّ الأمراض النفسيَّة مصدرها انفعالات أصابها أحد عاملين : إما أنَّها انفعالات متطرفة ، أو أنَّه تمَّ كبت هذه الانفعالات

---

١ مبيض - مأمون – **الذكاء العاطفي والصحة العاطفية** – ص (١٥) .

٢جولمان – دانيال – **الذكاء الوجداني** – ص (٨٨) .

الصحيَّة والفطريَّة ، فحوَّلها الكبت إلى همٍّ وغمٍّ وتشاؤم وانطواء ، وأنَّ الغضب كانفعال لا يجوز كبته ، بل يجب تحويل طاقته إلى تنافس الخير أو حبُّ الجهاد " [1]

وتكمن خطورة عدم ضبط الانفعال " أنَّ الشخص غير القادر على ضبط انفعالاته السلبيَّة ، أو الذي لا يعرف ما يشعر به الآخرون ، يكون غير قادر على فهم وتكوين العلاقات الاجتماعيَّة ، وبذلك تكون دائرة علاقاته الاجتماعيَّة مغلقة ، أي يحتفظ بعدد قليل من الأصدقاء " [2] .

ومن أمثلة التفوق النبويِّ في إدارة الانفعالات : تشريعات ضبط الغضب :

إنَّ من أشهر الانفعالات التي لها تأثير بالغ على الإنسان هو انفعال الغضب ، الذي يقود صاحبه إلى الهلاك الدنيويِّ والأخرويِّ ، لذا جاء التحذير البليغ من النبيِّ ﷺ " لا تغضب " [3].

ومع كثرة عناية المدارس النفسيَّة بانفعال الغضب ، إلا أننا نجد سبق وتفوُّق السنَّة الكريمة في وضع الاستراتيجيات المتنوعة في التعامل مع هذا الانفعال الخطير .

---

١ المزيني – أسامة – **القيم الدينية وعلاقتها بالإتزان الإنفعالي** - رسالة ماجستير – الجامعة الإسلامية – غزة – ٢٠٠١م – ص (٤٨) .

٢ السمادوني – إبراهيم السيد - **الذكاء الوجداني أسسه وتطبيقاته** – ص (٢٢) .

٣ رواه البخاري في صحيحه - كِتَابُ الأَدَبِ - بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ – (ج٨ ، ص٢٨) .

استراتيجيات التعامل مع انفعال الغضب في السنَّة النبويَّة [1] :

- استراتيجية التحكُّم : تهدف استراتيجيَّة التحكُّم إلى خفض أثر الغضب على الذات، والعمل على عدم انتقال الغضب من مجرَّد انفعال داخليٍّ ، إلى سلوك ظاهر الآثار على الجوارح ، قال ﷺ : " ليس الشديد بالصُّرعة ، إنَّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " [2].

ومن الأمثلة النبويَّة التي تبين القدرة الكبيرة على ضبط انفعال الغضب والتحكم به والتي كان نبينا ﷺ يتحلى بها : (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ : أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ : سَرِّحِ المَاءَ يَمُرُّ ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ: أَسْقِ يَا زُبَيْرُ ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ ، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ ، فَقَالَ : أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : اسْقِ يَا زُبَيْرُ ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ

---

١ ذكر هذه الاستراتيجيات الدكتور علي عجين في كتابه : (اكتسب الذكاء الوجداني من سنَّة نبيك) نقلتها بتصرُّف - ص (٧٢) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الأَدَبِ - بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ – (ج٨ ، ص٢٨) ، مسلم - كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ – (ج٤ ، ص ٢٠١٤) .

هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[1])[2] .

- استراتيجية مقياس الغضب : بمعنى أنَّ الغضب ينبغي أن يكون بحسب المواقف ، ولا ينبغي أن يغضب الإنسان غضباً موحداً ، فبينما كان النبيُّ ﷺ يتبسَّم تبسم المغضب في بعض المواقف ، فقد كان أحياناً يشتد غضبه ، كما في حديث (أبي مَسْعُودٍ ، أَنَّ رَجُلًا ، قَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ)[3] .
- استراتيجية رصد الهدف : ونقصد بها معرفة هدف الغضب ، أي لا يغضب الانسان غضباً مرتجلاً عامّاً لأيِّ سبب كان ، بل يضبط غضبه ، فلا يغضب

---

١ سورة النساء – آية (٦٥) .

٢ رواه الشيخان – البخاري - كِتَاب المُسَاقَاةِ - بَابُ سَكْرِ الأَنْهَارِ – (ج٣ ، ص١١١) ، مسلم - كتاب الْفَضَائِلِ - بَابُ وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ ﷺ – (ج٤ ، ص ١٨٢٩) .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ – أبواب صلاة الجماعة والإمامة - بَابُ تَخْفِيفِ الإِمَامِ فِي القِيَامِ، وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ – (ج١ ، ص ١٤٢) ، مسلم - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ أَمْرِ الأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ – (ج١ ، ص٣٤٠) .

إلا فيما يقود إلى مخالفة أمر الله ، تقول عائشة : (مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا) [1].

- استراتيجية تفهُّم الآخر : فلا يولِّد الإنسان فكرةً من ذاته يغضب لإجلها ، بل يتفهم دافعيَّة سلوك الآخر ، حتى يحسن تشكيل تصور سليم عن الموقف ، (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) [2].
- استراتيجية الاقتداء : والمقصود هنا إيجاد قدوةٍ دينيَّةٍ يتأسى بها الإنسان ، ويلهي نفسه بها عن الغضب ، ويدرك من خلالها أنَّ ضبط الغضب منهج الأخيار ، ولا يبلغ الإنسان الكمال البشريَّ إلا به ، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ [3] ﷺ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ ، آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُنَاسًا فِي القِسْمَةِ ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ - (ج٤ ، ص ١٨٩) .

٢ رواه الشيخان - البخاريُّ - كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ - بابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ - (ج٤ ، ص٩٤) ، مسلم - كتاب الزكاة - بَابُ إِعْطَاءِ مَنْ سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ - (ج٢ ، ص ٧٣٠) .

٣ هو عبد الله بن مسعود ﷺ .

فِي القِسْمَةِ ، قَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ القِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ)[1].

- استراتيجية دراسة النتائج : وذلك بالنظر الأوَّليّ الى النتائج المحتملة للغضب ، مما يولِّد قناعة بأهميَّة ترك الغضب خشية سوء النتائج : عن (أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : دَعُوهُ ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)[2].

- استراتيجية الالتجاء إلى الله : (عن سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ ﷺ ، قَالَ : اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ ، مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً ، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ ، لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ : أَلاَ تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ ؟

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ -- كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ - بابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ – (ج٤ ، ص٩٥) ، مسلم – كتاب الزكاة - بَابُ إِعْطَاءِ المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ – (ج٢ ، ص ٧٣٩) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الأَدَبِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا - (ج٨،ص٣٠) .

قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ)[1] . ومن جملة هذه التطبيقات الواسعة في علاج الغضب ندرك بكل وضوحٍ شمولية السنَّة النبويَّة لجميع التطبيقات العمليَّة التي يحتاجها الانسان ، لحسن إدارة مشاعره وانفعالاته .

المبحث الخامس

تنمية المشاعر الحسنة

تبيَّن لنا من عموم ما تمَّ طرحه سابقاً ، أنَّ أصول التشريع الإسلاميِّ عموماً تهدف لصنع الانسان القادر على إدارة ذاته ، وضبط مشاعره ، ولذا فإنَّ المنهج النبويَّ الشعوريَّ يؤصِّل بصورة واضحةٍ إلى تنمية المشاعر الحسنة في الذَّات الإنسانيَّة ، من خلال إيجاد آلياتٍ عدَّةٍ لاستجلاب هذه المشاعر وتوليدها ، ومن ثمَّ الحرص على ديمومتها واستمرارها ، وإبعاد المشاعر السيِّئة على الدوام ، من خلال التنفيس الدائم عن النفس .

لقد كان النبيُّ ﷺ نموذجاً حياً لهذا التأصيل ، من خلال شخصه الكريم ، فقد كان الصحابة الكرام يلمسون استقراراً شعورياً متكاملاً في ذاته الشريفة ، ومع كثرة الضغوطات النفسيَّة ، وبواعث تكدير الذات ، التي تحيط به إلاَّ أنَّه أثبت في كلِّ

---

١ رواه الشيخان — البخاري - كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ - بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ — (ج٤،ص١٢٤) ، مسلم - كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ — (ج٤ ، ص ٢٠١٥) .

مواقفه قدرة عجيبةً على استجلاب المشاعر الطيِّبة ، وإبعاد كلِّ بواعث اليأس والقنوط عن ذاته ، ومن حوله .

(عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : كُنَّا فِي مَجْلِسٍ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَلَى رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا : نَرَاكَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ ، فَقَالَ : أَجَلْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ أَفَاضَ الْقَوْمُ فِي ذِكْرِ الْغِنَى ، فَقَالَ : لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنِ اتَّقَى ، وَالصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى ، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ)[1] .

في هذا المثال يلمس الصحابة استقراراً شعورياً في ذات النبيِّ ﷺ ، يعبِّرون عنه بطيب النَّفس ، أي " ظاهر البشر والسرور ، ومنشرح الخاطر ، على ما يتلألأ منك من النور "[2] ، وكلُّ هذه المعاني تشير إلى المشاعر الحسنة الثابتة في نفسه الشريفة ، ومن ثمَّ وجَّه ﷺ الصحابة الكرام إلى قيمة هذا الأمر بقوله : (وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ) لإنَّه به تستقر المشاعر ، وتقدَّر الذات ، ويقود الإنسان نفسه إلى النَّجاح في كلِّ حياته .

---

١ (**صحيح**) رواه ابن ماجه في سننه - كِتَابُ التِّجَارَاتِ - بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمَكَاسِبِ – (ج٢ ، ص٧٢٤) ، وأحمد في مسنده – (ج٣٨ ، ص ٢٢٩) ، والحاكم في مستدركه – كتاب البيوع – (ج٢،ص٣) ، من طريق عبد الله بن سليمان بن أبي سلمة عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه عن عمه ، قال الحاكم : هذا حديث مدنيٌّ صحيح الإسناد ، ولم يخرِّجاه ، والصحابيُّ الذي لم يسمِّه سليمان بن بلال ، هو يسار بن عبد الله الجُهني ، رجاله ثقات .

٢ القاريُّ – علي بن محمد - **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** – (ج٨ - ص ٣٣١١) - دار الفكر – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤٢٢هـ .

ولقد كان النبيُّ ﷺ كثيراً ما يعلِّم الصحابة أموراً تهدف لتنمية مشاعرهم الحسنة ، فـ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ)[1] .

ومن هذا المنطلق وضعت السنَّة النبويَّة الأصول النظريَّة والعمليَّة لاستجلاب المشاعر الحسنة في الذَّات الإنسانيَّة ، من خلال كثيرٍ من المبادئ ، نشير هنا إلى بعضها :

أولاً : الثوابت الشعوريَّة وأثرها في استجلاب المشاعر الحسنة :

يبنى المنهج الشعوريُّ النبويُّ على أصولٍ شعوريَّةٍ ، هي أساس العمليَّة الوجدانيَّة في الذات الإنسانيَّة ، فمحبَّة الله ، وما يندرج تحتها ، من محبَّة النبيِّ ﷺ والأعمال الصالحة ، وما يضاد ذلك من بغض ما يبغضه الله ، وما يترتب عليه من الولاء والبراء .

وهذه المشاعر المنبثقة من اعتقاد المؤمن ، تعدُّ ثوابت شعوريَّة في أصلها ومقدارها ، ويتولد من هذه المحبة المشاعر الحسنة العامَّة ، من محبَّة كلِّ ما يحبه الله ، كما

---

١ رواه الشيخان – البخاري – كتاب التهجد - بَابُ عَقْدِ الشَّيْطَانِ عَلَى قَافِيَةِ الرَّأْسِ إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِاللَّيْلِ – (ج٢ ، ص٥٢) ، مسلم - كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا - بَابُ مَا رُوِيَ فِيمَنْ نَامَ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتَّى أَصْبَحَ – (ج١ ، ص٥٣٨) .

أنَّها تستجلب محبَّة الأشخاص ، كحبِّ المهاجرين والأنصار والصحابة والمؤمنين ، وبغض الكافرين والمنافقين والفاسقين ، وهذا يؤدِّي إلى تنظيم العمليَّة الشعوريَّة عند المسلم .

ولهذا كان النبيُّ ﷺ يتابع هذه الثوابت الشعوريَّة ، ويوضِّحها ، ويناقشها مع الصحابة ﷺ ليدلِّل على أهميتها ، ويؤكد على لزومها (عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لاَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الآنَ ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : الآنَ يَا عُمَرُ)[1] .

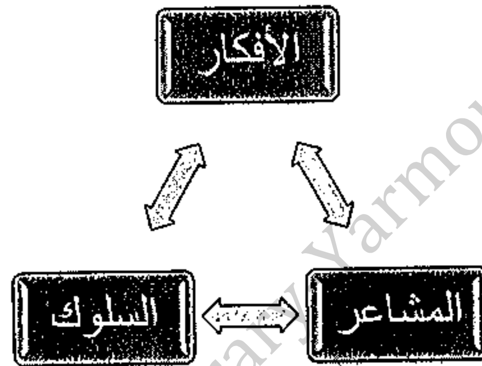
ثانياً : توظيف العقل لتوليد المشاعر الحسنة وتنميتها :

اهتمَّ علماء النَّفس بالمشاعر الإنسانية اهتماما كبيراً ضمن بحثهم عن علاقة المشاعر بالأفكار الذهنيَّة ، والسلوك الإنسانيّ ، ولا شكَّ أنَّ المشاعر والأفكار والسلوك ترتبط مع بعضها ارتباطاً وثيقاً ، يجعل تغيير السلوك لا بدَّ أن يبدأ بتغيير المشاعر ، التي تبنى في كثير من المواقف على أفكار ، تشكِّل قناعات يقبلها الإنسان ، فتولِّد المشاعر الحسنة ، أو يردها فتولِّد المشاعر السيئة .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ – بَابٌ : كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ – (ج٨ ، ص١٢٩) .

كما أنَّ المشاعر الحسنة تقود لتفكير سليمٍ وناضج ، يوضِّح هذا المنحى الدكتور مبيض فيقول : " تقوم العواطف بترتيب الأولويَّات الفكريَّة ، وتوجِّه انتباها أكثر للمعلومات الأكثر أهميَّة ، فالنضج العاطفيُّ هو الذي يوجِّه صاحبه للتفكير بما هو أهم "[1] ، لذا يمكننا أن نصوِّر العلاقة بين الأفكار والمشاعر والسلوك بهذا الرسم :



ومن هذا المنطلق فقد وظَّف المنهج النبويُّ عملية التفكير العقليَّة لتوليد المشاعر الحسنة ، نلحظ هذا في النصوص التالية :

١. (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ)[2].

هذا الحديث يؤصِّل لتوليد المشاعر الحسنة بطريقةٍ عقليةٍ مبنيَّةٍ على المقارنة ، فإنَّ الإنسان قد يتولد في قلبه مشاعر الحزن والحسد ، إذا لحظ من يعلو عليه بمالٍ أو

١مبيض - **الذكاء العاطفي والصحَّة العاطفية** – ص (١٤) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الرِّقَاقِ – بَابٌ لِيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ ، وَلاَ يَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ – (ج٨ ، ص١٠٢) ، مسلم - كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ – (ج٤ ، ص ٢٢٧٥) .

جاهٍ أو جمال ، فإذا داوم النظر إلى من يدنوه بذلك ، تولَّد في نفسه الرضا بعطيَّة الله له ، وكلُّ هذا يقود للمشاعر الحسنة ويدفع المشاعر السيئة .

ويشبه هذا المنحى ما يطلق عليه عند بعض علماء النفس (تغيير الإطار المعرفيّ) ، وهو من أشهر العلاجات الناجعة للمشاعر السيئة كالاكتئاب مثلاً ، والمقصود به النظر الى الأمور من زاوية أخرى ، بمقارنة ما أصاب الشخص مع من هم أسوأ منه .

يقول جولمان : (نجد مرضى السرطان في حالة نفسيَّة أفضل ، مهما كانت خطورة حالتهم ، إذا تذكروا غيرهم من المرضى الذين هم في حالة أسوأ من حالتهم ، كأن يقولوا لأنفسهم : لست في حالةٍ سيئةٍ تماماً ، على الأقل أنا أستطيع السير على قدمي ، أمَّا من يقارنون أنفسهم بالأصحاء ، فهم أكثر الناس اكتئاباً ، وهذه المقارنات بمن هو أسوأ حالاً ، تخفِّف عن النَّفس كثيراً ، فما يثير الكآبة في النَّفس يبدو كأنَّه ليس بهذا القدر من السوء)[1] .

٢. (قَالَ رَجُلٌ : لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ ، عَلَى زَانِيَةٍ ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ،

١ جولمان – دانيال – **الذكاء الوجدانيُّ** - ص (١١٣) .

فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ ، فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ ، عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ : أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا ، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ)[1].

في هذا الحديث معالجةٌ ذهنيَّةٌ لسلوكٍ خاطئ ، ولَّد مشاعر سيئة عند الشخص المتصدِّق ، فجاءت الأفكار الحسنة بأنَّ هذه الصدقة وإن أخطأت طريقها ، إلاَّ أنها قد تكون دافعاً لأولئك في تركهم لغيهم وتوبتهم ، ولا شكَّ أنَّ هذه الفكرة تعين على التعديل الشعوريِّ من الحزن والضيق إلى الفرح والقبول .

ثالثاً : شحنُ المشاعر الحسنة باتجاه تحقيق الأهداف :

من التطبيقات الهامَّة التي نلمسها في المنهج النبويِّ ، حشد المشاعر الحسنة تجاه تحقيق الأهداف ، لتتحول المشاعر من معيقات في كثير من الأحيان إلى محفِّزاتٍ ودوافع ، تسير بالمؤمن نحو الخير والصلاح .

ونقصد بتحفيز الذات شعوريَّاً : " توجيه العواطف في خدمة هدفٍ ما ، وهو أمر مهمٌّ لانتباه النفس ، ودفعها للتفوُّق والإبداع ، والأشخاص المتمتعون بهذه

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الزَّكَاةِ - بَابُ إِذَا تَصَدَّقَ عَلَى غَنِيٍّ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ – (ج٢،ص١١٠) ، مسلم - كِتَابُ الزَّكَاةِ - بَابُ ثُبُوتِ أَجْرِ الْمُتَصَدِّقِ ، وَإِنْ وَقَعَتِ الصَّدَقَةُ فِي يَدِ غَيْرِ أَهْلِهَا – (ج٢ ، ص٧٠٩) .

المهارة الانفعالية ، يملكون الحماس والمثابرة نحو تحقيق أهدافهم " [1] . ومن الأمثلة العملية في هذا الشأن ما كان من حال النبيِّ ﷺ في قصة ذهابه إلى الطائف في بداية دعوته : (عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)[2].

لقد تكالبت على النبيِّ ﷺ همومُ رفض دعوته من أهل الطائف ، حتى وصف تلك اللحظات : " فانطلقت وأنا مهموم على وجهي " إنها صورة من أغرقته مشاعر الحزن والهمّ ، حتى غدا لا يعلم إلى أين يذهب ، ومن الطبيعي هنا أن تولّد هذه المشاعر سلوكاً معادياً لمن رفض رسالة الله ، إلاّ أنّ النبيَّ ﷺ ينجح هنا في دفع المشاعر السيِّئة ، واستجلاب المشاعر الحسنة ، باستشرافٍ بعيد الأمد ، إنّها

١ الخوالدة – محمود – **الذكاء العاطفي الذكاء الانفعالي** – دار الشروق – عمان – ط١- ٢٠٠٤م – ص (٢٩) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ - بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ : آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ ، آمِينَ ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ – (ج٤،ص١١٥) ، مسلم - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ – (ج٣،ص١٤٢٠) .

نظرةً مستقبليَّة لأبناء هؤلاء المعاندين ، وهم يعبدون الله ويوحِّدونه ، لتكون هذه الأفكار سبباً في حلول مشاعر الرحمة والشفقة في نفسه الشريفة .

ويشبه هذا حديث (خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ ، قَالَ : شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ ، قُلْنَا لَهُ : أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا ، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا ؟ قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ ، فَيُجْعَلُ فِيهِ ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)[1] .

نجح النبيُّ ﷺ هنا بسحب المشاعر السيِّئة التي أصابت الصحابة جرَّاء أذيَّة قريش ، فذكَّرهم أولاً بما أصاب الأمم الماضية من الموحِّدين ، ليرفع من مشاعرهم السيئة ، ومن ثمَّ غذَّى ما في قلوبهم من محبَّة نصرة الدين ببشارات المستقبل ، ثمَّ جاءت التوصية العمليَّة بالأمر بالصبر وعدم الاستعجال .

رابعاً : منهج التفاؤل النبويُّ :

يرسم المنهج الشعوريُّ النبويُّ نظرةً تفاؤليَّة عامَّة تسهم في جلب المشاعر الحسنة على الدوام ، وتكمن أهمية التفاؤل كمنهج نفسيٍّ ، بأنَّه يسهم " بتوقع الخير

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ - (ج٤،ص٢٠١) .

الذي يؤدّي إلى الرضا والفرح والسرور ثمَّ السعادة ، وما ينعكس عنه من أثرٍ إيجابيٍّ على كسب الإنسان ، وعلى عمله ، وتوجُّهه نحو فعل الخير ، وتحسين أساليب ذلك الفعل ، وتطويره نحو الأفضل ، وتكوُّن الحافز عنده ، بحيث يدفعه – أيضاً – إلى البحث عن وسائل عمل الخير ، والرغبة في فعله ، والاستزادة منه ... هذا الشعور بهذا المعنى هو الذي يمكن أن نطلق عليه اسم التفاؤل أو اليُمن "[1] .

ويمتاز الطرح النبويُّ بشمولية تطبيقاته ، فقد وسَّع النبيُّ ﷺ مفهوم التفاؤل ، حتى أنَّه كان يتفائل بالكلمة الطيِّبة يسمعها (عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : لاَ طِيَرَةَ ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ ، قَالُوا : وَمَا الفَأْلُ ؟ قَالَ : الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ)[2] .

ومن ذلك أنه كان يستبشر بالمنامات الحسنة ، ويأوِّلها بالتأويلات الطيِّبة التي تستجلب المشاعر الحسنة ، (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ، كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ ، فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا ، وَالْعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ

---

١ القضاة – أمين – **التفاؤل والتشاؤم في الحديث النبوي** – مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية – جامعة الكويت – (العدد ٥٢ / المجلد ١٨ / ٣ / ٢٠٠٣م) ص(٩٨) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الطِّبِّ - بَابُ الطِّيَرَةِ – (ج٧ ، ص١٣٥) ، مسلم – كتاب السلام - بَابُ الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الشُّؤْمِ – (ج٤ ، ص ١٧٤٥) .

طَابَ)[1] ، ولذا نهى عن قصّ الرؤى السيّئة ، أو تأويلها والالتفات إليها ، لما لذلك من أثرٍ شعوريٍّ سيّء (عن أَبي قَتَادَة ﷺ قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ ، وَالحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ ، فَلْيَنْفِثْ حِينَ يَسْتَيْقِظُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، وَيَتَعَوَّذْ مِنْ شَرِّهَا ، فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ ، وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ : وَإِنْ كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنَ الجَبَلِ ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ فَمَا أُبَالِيهَا)[2] .

المبحث السادس

التغلب على المشاعر السيئة

تعدُّ المشاعر السيئة المتولدة في ذات الإنسان ، عاملاً من عوامل الهدم النفسيِّ ، لما تحمله من آثار سيئة في جميع الجوانب الذاتيَّة ، ومن هنا سعى المنهج النبويُّ لوضع ضوابط متعددة لتحييد هذه المشاعر ابتداءً ، ومن ثمَّ التغلب عليها في جميع الأوقات ، ومن أهمِّ هذه الضوابط التي تدلُّ على التفوق النبويِّ في تفريغ المشاعر السيِّئة في النَّفس الإنسانيَّة :

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الرُّؤْيَا - بَابُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ- (ج٤ ، ص ١٧٧٩) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الطِّبِّ - بَابُ النَّفْثِ فِي الرُّقْيَةِ – (ج٧ ، ص١٣٣) ، مسلم - كتاب الرُّؤْيَا – (ج٤ ، ص ١٧٧١) .

<u>أولاً : تغيير المفاهيم التي تجتر المشاعر السيئة :</u>

الثبات الشعوريُّ الذي يصل إليه المؤمن بتطبيق المنهج النبويِّ هو إيجاد قناعات نفسيَّة حسنة بصورةٍ مستمرَّةٍ ، للمحافظة على الحالة الشعوريَّة ، وهذا الذي أصَّلته السنَّة النبويَّة من خلال التوافق العقليِّ الشعوريِّ ، وهو مساهمة العقل في إمداد المشاعر بقناعات تعين على تحييد المشاعر السيِّئة ، أو التخفيف من أثرها .

" يستطيع الدماغ أن ينتج كلَّ أنواع المشاعر بتنوعها ، لكن ضابط الإيقاع هو الشخص نفسه ، المتمثل في قوة الإدراك الفوقيِّ ، والقادر على ضبط وبناء وربط المشاعر والتوجيهات العاطفية ، وتحديد حجمها ، وقوَّتها ، وارتباطها ، لذا نقول : يجب على الشخص أن يمرِّن دماغه على مهارات تحييد المشاعر واستحضارها " [1]

فكلَّما كان الإنسان أقدر على تحليل الموقف عقلياً ، وإيجاد قناعات تساير الجانب الوجدانيَّ ، كلَّما كان أضبط لمشاعره في المواقف المختلفة ، ومن الأمثلة التي توضِّح هذا ما تقصه علينا الروايات الصحيحة من مواقف الصحابة المتباينة لحظة وفاة النبيِّ ﷺ .

(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ ، فَقَالَ : اجْلِسْ يَا عُمَرُ ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَتَرَكُوا عُمَرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَمَّا بَعْدُ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

---

[1] عابد – فايز عبد الهادي – **سيكولوجيا المزاج بين الإيحاء والإقناع القسري** – ص (٢٨) .

مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾[1] إِلَى قَوْلِهِ ﴿ الشَّاكِرِينَ ﴾ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ ، حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا ، فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ ، أَنَّ عُمَرَ قَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاَهَا فَعَقِرْتُ ، حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلاَيَ ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاَهَا ، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ)[2] .

لقد كان الموقف الانفعاليُّ لأبي بكر ﷺ أنضج بكثير من موقف عمر ﷺ ، الذي توعَّد كلَّ من زعم موت النبيِّ ﷺ بالعقوبة ، بل لقد ولَّد عمرُ ﷺ قناعةً تخفِّف عنه الموقف الشعوريَّ الهائل ، بأنَّ النبيَّ ﷺ لم يمت وإنما رفع ، وسيعود بعد ذلك. أما النضج الشعوريُّ الذي أبداه صاحب رسول الله أبي بكر ﷺ ، فقد كان ثمرة الضبط الشعوريِّ الذاتيِّ ، المبنيِّ على قناعةٍ إيمانيَّةٍ راسخةٍ في هذه اللحظة ، بأنَّ الموت حقيقةٌ لا بدَّ منها ، ولذا لمَّا سمع عمرُ ﷺ الآيات الحكيمات في ذكر موت النبيِّ ﷺ [3] ، كان التحوُّل الشعوريُّ ، بعد أن أدرك ذلك المفهوم الذي هو بدهي في أصله ، وهو موت النبيِّ ﷺ .

---

١ سورة آل عمران – آية (١٤٤) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الْمَغَازِي - بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ – (ج٦،ص١٣).

٣ وهي قوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) - سورة آل عمران – آية (١٤٤) .

ثانيا : تشريعات تفريغ المشاعر السيِّئة :

تنمِّي التشريعات النبويَّة القدرة على التغلب على مشاعره السيئة ، من خلال جملة التشريعات التي تقصد تفريغ الإنسان من مشاعره السيِّئة .

وقد ظهر لنا عند حديثنا عن منطلقات هذا المنهج ، أنَّ تفريغ المشاعر السيِّئة أصلٌ مقرَّر في هذا المنهج ، فقد كان النبيُّ ﷺ دائم التعوذ من كل شعور سيِّء ، يضرُّ بالعبد ، ويبعده عن الخير ، (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ .... فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ)[1] .

وإذا أردنا ضرب مثالٍ عمليٍّ لمفرغات المشاعر السيئة من الذات الإنسانيَّة ، برز مفهوم التوبة من الذنوب ، ذلكم أنَّ المعصية تولِّد في النَّفس كلَّ شعورٍ سيءٌ ، من القنوط والاكتئاب ، والخوف من العقوبة ، ومن ثمَّ يتعدى إلى السلوكيات السيِّئة ، نتيجة اليأس من رحمة الله ، كما في قصَّة الذي قتل تسعة وتسعين نفساً فـ (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا ، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ : هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : لاَ ، فَقَتَلَهُ)[2] .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ مَنْ غَزَا بِصَبِيٍّ لِلْخِدْمَةِ ـ (ج٤،ص٣٦).

٢ رواه الشيخان – البخاري - كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ - بَابُ حَدِيثِ الغَارِ – (ج٤ ، ص١٦٤)

إنَّ قفل باب التوبة من قبل الراهب ولَّد مشاعر سيِّئة في نفس الرجل ، مما دفعه إلى سلوك إجراميٍّ ، بخلاف نصيحة العالم المبنيَّة على معرفةٍ برحمة الله وواسع مغفرته ، وهي التي قادت هذا الرجل إلى التوبة الصادقة .

ولذا فإنَّ فتح باب التوبة من صور المعالجة الشعوريَّة التي تفرِّغ كل عنصر هدام في الذات الإنسانيَّة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[1] .

ثالثاً : محاربة دوافع توليد المشاعر السيئة :

من مميزات المنهج النبويِّ أنَّه يحارب كلَّ دافع قد يولِّد مشاعر سيئة عند المسلم ، حرصاً منه على دوام المشاعر الحسنة .

فمن ذلك أنه نهى عن تسمية الشيء ، أو وصفه بالقبيح ، لما في ذلك من أثر نفسيٍّ سيء ، عن (عَبْدُ الحَمِيدِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ شَيْبَةَ ، قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ ، فَحَدَّثَنِي : أَنَّ جَدَّهُ حَزْنًا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : مَا اسْمُكَ ، قَالَ : اسْمِي حَزْنٌ ، قَالَ : بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ ، قَالَ : مَا أَنَا بِمُغَيِّرٍ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي . قَالَ ابْنُ المُسَيِّبِ : فَمَا زَالَتْ فِينَا الحُزُونَةُ بَعْدُ)[2].

---

١ سورة الزمر – آية (٥٣) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الأَدَبِ - بَابُ اسْمِ الحَزْنِ – (ج٨ ، ص٤٣) ، مسلم - كتاب التَّوْبَةِ - بَابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ – (ج٤ ، ص ٢١١٩) .

يمثل هذا النص مثالاً للمنهجيَّة النبويَّة في تغيير الأسماء التي تحمل دلالات شعوريَّة سيئة ، تقود المسلم إلى تكوين قناعاتٍ داخليةٍ تبعث رسائل سيِّئة في النفس الإنسانية ، فتكون الثمرة تجسيد هذه المشاعر ، حتى تصبح واقعاً يرضى به العبد ويستسلم له .

ومن ذلك نهيُ النبيِّ ﷺ عن وصف المسلم نفسه بالخُبث ، فعنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ[1] نَفْسِي)[2].

قال الخطابيُّ : " قوله لقست نفسي وخبثت : معناهما واحد ، وإنَّما كره من ذلك لفظ الخُبث ، وبشاعة الاسم منه ، وعلَّمهم الأدب في المنطق ، وأرشدهم إلى استعمال الحسن ، وهجران القبيح منه " [3] .

١ (يُقَال : لقست نَفسه : إذا غثَّت ، وَإِنَّمَا كره خبثت ، لقبح لَفظه ، وألاَّ ينْسب الْمُسلم الْخبث إِلَى نَفسه) – الزمخشري – محمود بن عمرو – الفائق في غريب الحديث والأثر – (ج٣،ص٣٢٥) – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – لبنان – ط٢ .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الأَدَبِ - بَابُ لاَ يَقُلْ خَبُثَتْ نَفْسِي – (ج٨ ، ص٤١) ، مسلم - كتاب الأَلْفَاظِ مِنَ الأَدَبِ وَغَيْرِهَا - بَابُ كَرَاهَةِ قَوْلِ الإِنْسَانِ خَبُثَتْ نَفْسِي – (ج٤،ص١٧٦٥) .

٣ الخطَّابيُّ – حمد بن محمد – **معالم السنن** – (ج٤ ، ص١٣١) .

ولا شكَّ أنَّ وصف الذات بالخُبث ، يولِّد مشاعر سيِّئة ، تتجسد في النَّفس ، من خلال قناعات يزرعها الإنسان في ذاته ، وهذا من باب تبديل الأسماء الذي له أثرٌ سيء على الذات .

رابعا : تفريغ مكونات المشاعر السيِّئة في النفس الإنسانيَّة :

من التطبيقات النبويَّة في هذا الجانب تفريغ المشاعر السيئة التي قد تتكالب على الإنسان ، من خلال جملة من التوجيهات ، ذلكم أنَّ السنَّة النبويَّة توفِّر مرونةً شعوريَّةً في النَّفس الإنسانيَّة ، نقصد بها القدرة على سرعة التبدُّل الشعوريِّ ، حتى لا يبقى الإنسان أسيراً لمشاعره السيئة .

" هذه المرونة النفسيَّة هي القدرة على التعامل مع المواقف الصعبة ، وأحداث الحياة بنجاح ، وبقدرةٍ عاليةٍ ، وهي تتكون من مزيجِ عددٍ من المهارات الأساسيَّة ، والصفات الشخصيَّة الهامَّة ، والتي توجد في الفرد المعنيِّ ، وفي الدعم الاجتماعيِّ المتوفر له ، وفي البيئة التي يحيا بها " [1] .

ومن أهمِّ هذه المهارات الذاتيَّة (مفهوم الصبر) فهو من أنجح الطرق لتثبيط المشاعر السيِّئة كالخوف والحزن والقلق ، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [2] ، ولأهميَّة الصبر

---

١ مبيض - مأمون – **الذكاء العاطفي والصحة العاطفية** – ص (١٥١) .

٢ سورة البقرة – آية (١٥٥) .

جاء اهتمام السنَّة النبويَّة به ، من خلال وضع عدَّة وسائل لتحقيقه في حياة المؤمن، فـ (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ : اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي ، قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي ، وَلَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى)[١] .

وفي حديث أُمِّ سَلَمَةَ ، أَنَّهَا قَالَتْ : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[٢] ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي ، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا ، قَالَتْ : فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ ، قُلْتُ : أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا ، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ)[٣]

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ زِيَارَةِ القُبُورِ – (ج٢ ، ص٧٩) .

٢ سورة البقرة – آية (١٥٦) .

٣ رواه مسلم في صحيحه – كتاب الجنائز - بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ – (ج٣ ، ص٦٣١) .

الفصل الخامس

تطبيقات المنهج النبويّ في فهم مشاعر الآخرين والتعامل معها

المبحث الأول : التحليل الصحيح للموقف الشعوري (الوعي الموقفي) :

أولاً : السؤال المباشر وغير المباشر .

ثانيا : استقراء لغة الجسم .

ثالثا : التقمُص الشعوريُ .

المبحث الثاني: المشاركة الشعورية (تفهم مشاعر الآخرين وإشعارهم بذلك) .

المبحث الثالث: المعالجة الشعوريّة .

أولاً : المعالجة الشعورية اللفظيّة .

ثانياً : المعالجة الشعوريّة العمليّة .

ثالثا : المعالجة الشعورية اللفظيّة العمليّة .

المبحث الرابع : نقد الموقف الشعوريّ .

المبحث الخامس : اعتبار جانب التفاوت الشعوري .

المبحث السادس : بيان وسائل التعبير عن المشاعر .

المبحث السابع :العدل الشعوريُ .

اشتملت السنَّة النبويَّة على جملةٍ من التطبيقات العمليَّة في التعامل مع مشاعر الآخرين ، والتي تشكّل بمجموعها الهدي النبويَّ المتكامل ، الذي يضمن اتقان الموقف الشعوري من جهةٍ ، وعدم الأذيَّة النفسيَّة من جهة أخرى ، وفي هذا الفصل سنقف مع بعض هذه التطبيقات ، والتي تعدُّ في نظري من أهم ثمرات هذه الدراسة عمومًا .

إنَّ هذه التطبيقات بمجملها مستنبطة من النصِّ النبويِّ في التعامل المباشر مع المواقف المختلفة ، ولذا سنسير مع هذه المواقف النبويَّة تحليلاً ودراسةً وتتبعاً لمواطن النَّقد الشعوريِّ النبويِّ ، لنصل معًا لصورة تقريبيَّة ، للتعامل السليم مع المشاعر الإنسانيَّة في المواقف المختلفة .

ولا بدَّ هنا أن ألفت النظر إلى أنَّ التطبيق السليم والمتكامل للتعامل مع مشاعر الآخرين ، هو ثمرةٌ حتميةٌ للتعامل الشعوريِّ الذاتيِّ ، فالاستقرار الشعوريُّ النفسيُّ هو الذي يولِّد التنبه لحفظ المشاعر ومراعاتها وحسن إدارتها .

وتظهر الحاجة في استنباط هذه التطبيقات ، عند النظر في طبقات النَّاس : " فتجد من النَّاس من هو جافٌّ ، لا تكاد تحظى منه بكلمة شكرٍ ، أو ابتسامةِ محبٌ ، أو دعوةِ مخلصٍ ، ومنهم من هو متملِّقٌ محتالٌ ، يزجي المديح بلا كيلٍ ، لمن يستحقُ ، ولمن لا يستحق ، إمَّا رغبةً او رهبةً ، أو لأجلهما جميعاً ، .... أمَّا من يقابل النَّاس بالبشر ويصافحهم براحةٍ كريمةٍ ، ويثني عليهم إذا هم أجادوا ، ويردهم

إلى الصواب برفقٍ إذا هم أخطأوا ، ويُسدي إليهم المعروف ، إذا هم احتاجوا ، دون أن يكون خائفًا منهم ، أو راجيًا لهم ، فذلك قليلٌ في النَّاس غريبٌ بينهم "[1] .

إنَّ اتباع التطبيقات الشعوريَّة التي مارسها النبيُّ ﷺ أو دعا إليها ، هو الميزان الدقيق الذي يوصل العبد للتعامل السليم مع مشاعر الناس جميعًا ، وهذا الذي نسعى إليه في هذا المبحث على وجه الخصوص .

المبحث الأول

التحليل الصحيح للموقف الشعوريِّ (الوعي الموقفيُّ)

يشكِّل الفهمُ السَّليم للمواقف المختلفة ، الخطوة الأولى لحسن التعامل مع المواقف الشعوريِّة ، وتكمن أهميَّة هذا الأمر في كون المشاعر الإنسانيَّة خفيَّة ومتعددةً ومضطربةً ، مما يجعل فهمها من الصعوبة بمكان .

إنَّ الوعي الموقفيَّ الذي نشير إليه هنا ، يهدف إلى تتبُّع المشاعر المختلفة للأشخاص ابتداءً ، وملاحظة التحوُّل الشعوريِّ للأفراد ، ووضع الاسترتيجية الصحيحة للتعامل معها ، ومعالجة الأذيَّة الشعوريَّة التي قد تتولد في بعض المواقف.

---

١ الحَمَد – فقر المشاعر – ص (٤) .

وللوصول الى فهمٍ سليمٍ للمواقف الشعوريَّة ، أرشدت السنَّة النبويَّة إلى جملةٍ من الوسائل التي تعين في هذا الجانب ، من أهمها :

أولاً : السؤال المباشر وغير المباشر :

- **السؤال المباشر :**

يعدُّ السؤال المباشر عن الحالة الشعوريَّة ، الطريق الأقربَ والأوضح لمعرفة حال الإنسان ، والسبب الذي أدَّى لنشوء مثل هذا الشعور ، ذلكم أنَّ الإنسان هو الأقدر على وصف شعوره ، والوقوف على كينونة نفسه ، وقد كان النبيُّ ﷺ كثيرًا ما يلجأ إلى هذا الأسلوب ، خاصة في من تيسر له سؤاله ، أو لم يقم مانع لذلك .

مثال ذلك حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال : (... فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ ، فَجَلَسْتُ ، فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ ، وَمِثْلِهَا قَرَظًا [1] فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ ، وَإِذَا أَفِيقٌ [2] مُعَلَّقٌ ، قَالَ : فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ ، قَالَ : مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى

١ (**القَرَظ**) : (بفتح القاف والراء وبالظاء المعجمة : هو ورق شجر يدبغ به) العيني – **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** – (ج١٩ ، ص٢٥١) .

٢ (**أَفِيقٌ**) : (بفتح الهمزة وكسر الفاء ، وهو الجلد الذي لم يتمّ دباغه ، وجمعه أُفق ، كاديم وأدم) النووي - **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** – (ج١٠ ، ص٨٣) .

وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَصَفْوَتُهُ ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا ؟)[1] .

في هذا المثال سؤال مباشر من النبيِّ ﷺ لعمرَ رضي الله عنه عن سبب بكاءه ، حتى يقيِّم الموقف ، ويدرك سبب حُزنه في هذه اللحظة ، ومن ثمَّ يشرع في العلاج الشعوريِّ ، فلمَّا علم النبيُّ ﷺ أنَّ البكاء كان بسبب حزن عمر من قلة عيش النبيِّ ﷺ ، أراد ﷺ أن يضمِّد هذه المشاعر ، بتذكيره بأنَّ هذا الضيق يتبعه سعةٌ أخرويَّةٌ ، وأنَّ العقبى للمؤمن بما يجده عند الله من النَّعيم ، ولا شكَّ أنَّ المؤمن وهو يدرك هذه الحقيقة ، ويعلم بأن النبيَّ ﷺ له عند الله أعلى المنازل ، تتبدل مشاعره من الحزن إلى الرضا ، والقبول بالجزاء الأخرويِّ .

ومن الأمثلة على هذا التطبيق ما ثبت كذلك في بعض روايات حديث جمل جابر المشهور أنَّه قال : (فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى جَمَلِي فِي عُقْبَتِي ، قَالَ : وَكَانَ جَمَلًا فِيهِ قِطَافٌ [2] ، قَالَ : قُلْتُ : يَا لَهْفَ أُمِّي أَنْ يَكُونَ لِي إِلَّا جَمَلٌ قَطُوفٌ ، قَالَ : وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدِي يَسِيرُ ، قَالَ : فَسَمِعَ مَا قُلْتُ ، قَالَ : فَلَحِقَ بِي ، فَقَالَ :

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - بَابُ (تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ)- (ج٦،ص١٥٦) ، مسلم - كِتَابُ الطَّلَاقِ - بَابٌ فِي الْإِيلَاءِ ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ ، وَتَخْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) - (ج٢ ، ص١١٠٥) .

٢ (القطاف فِي الْفرس : البطء ، يُقَال : فرس قطوف : أي بطيء) الجوزي - **كشف المشكل من حديث الصحيحين** – (ج٣ ، ص٢٩٧) . قال ابن حجر : (قطاف : هو المتقارب الخطو بسرعة وهو من عيوب الدواب) **فتح الباري** – (ج١ ، ص١٧٥) .

" مَا قُلْتَ يَا جَابِرُ قَبْلُ ؟ " قَالَ : فَنَسِيتُ مَا قُلْتُ ، قَالَ : قُلْتُ : مَا قُلْتُ شَيْئًا يَا نَبِيَّ اللهِ ، قَالَ : فَذَكَرْتُ مَا قُلْتُ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، يَا لَهْفَاهُ أَنْ يَكُونَ لِي إِلَّا جَمَلٌ قَطُوفٌ ، قَالَ : فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَجُزَ الْجَمَلِ بِسَوْطٍ - أَوْ بِسَوْطِي - قَالَ : فَانْطَلَقَ أَوْضَعَ - أَوْ أَسْرَعَ - جَمَلٍ رَكِبْتُهُ قَطُّ ، وَهُوَ يُنَازِعُنِي خِطَامَهُ)[1] .

لقد لحظ النبيُّ ﷺ تأخُّر جابر عن الرَّكب ، مع ما سمعه من كلامه الذي يحمل مشاعر الحسرة والحزن لبطء جمله ، فكان من حال النبيِّ ﷺ أن سأله سؤال المستفهم عمَّا قاله ، وذلك ليتبين حقيقة الأمر ، فلمَّا وضحَ سببُ هذه المشاعر السيِّئة التي أصابت جابر رضي الله عنه سعى النبيُّ ﷺ لعلاج سبب هذا الشعور ، بما كان من معجزته ﷺ في هذه الحادثة ، حتى غدا الجمل أوفرها حظاً .

ومن الأمثلة كذلك ما روي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَذْكُرُ إِلَّا الحَجَّ ، فَلَمَّا جِئْنَا سَرِفَ[2] طَمِثْتُ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي ، فَقَالَ : مَا

---

١ (**صحيح**) رواه أحمد في مسنده (ج٢٣ ، ص١٥١) – من حديث عَبِيدَةُ بن حميد الحذاء عن الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ نُبَيْحٍ الْعَنَزِيِّ – وهم ثقات من رجال الشيخين ، غير نبيح العنزيِّ ، روى له أصحاب السنن الأربعة ، وهو ثقة ، وحديث جمل جابر مرويٌّ في الصحيحين والسنن بطرق متعددة .

٢ (**سَرِف**) : منطقة تبعد ستة أميال من مكة المكرمة ، تزوج بها رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث ، ودفنت هناك كما أوصت هي رضي الله عنها – يقوم عندها الآن مسجد يعرف بمسجد ميمونة – ١٢ كم شمال مكة المكرمة – (أبو خليل – شوقي – أطلس الحديث النبوي – دار الفكر – دمشق – ط١ – ٢٠٠٣م – ص ٢١٨) .

يُبْكِيكِ ؟ ، قُلْتُ : لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي لَمْ أَحُجَّ العَامَ ، قَالَ : لَعَلَّكِ نُفِسْتِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ : فَإِنَّ ذَلِكِ شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ ، فَافْعَلِي مَا يَفْعَلُ الحَاجُّ ، غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي)[1] .

في هذا المثال علاجٌ لمشاعر الحزن والأسى التي أصابت أمَّ المؤمنين رضي الله عنها ، لأنَّها حاضت قبل النُّسك ، ظنّاً منها ضياع الحجِّ ، وفوات النُّسك ، فكان السؤال من النبيِّ ﷺ عن سبب بكائها ، ومن ثمَّ تحويل مشاعر الحزن ، وتعديل مشاعر النَّدم ، ببيان أنَّ هذا الأمر من قضاء الله الذي يوجب الرضا ، وطمأنينة النَّفس لحكمة الله ، ثمَّ جاء العلاج العمليُّ ببيان الحكم الفقهيِّ للمسألة ، والشاهد هنا أنَّ النبيَّ ﷺ سأل عن مشاعر عائشة ، وتتبعها وعالجها بعد معرفة السَّبب .

السؤال غير المباشر :

ونعني به إدراك حقيقة مشاعر الشخص بطريق غير مباشر ، وذلك بسؤال غيره ممن عرف ما في نفسه ، ويلجأ لهذه الطريقة عند عدم التمكن من السؤال المباشر أو وجود مصلحةٍ في عدم مواجهة الشخص بمشاعره ، ولا شكَّ أنَّ هذه الطريقة هي دون الطريقة الأولى في قوة التثبت ، لكنَّها في بعض الأحوال أمكن في الوصول إلى

---

١ رواه الشيخان - البخاريُّ - كِتَابُ الحَيْض - بَابٌ: تَقْضِي الحَائِضُ المَنَاسِكَ كُلَّهَا إِلَّا الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ – (ج١ ، ص٦٨) ، مسلم - كِتَابُ الْحَجِّ - بَابُ بَيَانِ وُجُوهِ الْإِحْرَامِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ إِفْرَادُ الْحَجِّ وَالتَّمَتُّعِ وَالْقِرَانِ ، وَجَوَازِ إِدْخَالِ الْحَجِّ عَلَى الْعُمْرَةِ ، وَمَتَى يَحِلُّ الْقَارِنُ مِنْ نُسُكِهِ (ج٨،ص٨٧٣) .

المراد ، إذا خشي إيذاء الشخص بسؤاله سؤالاً مباشرًا ، ولذا نلمح هذا التطبيق في السنَّة النبويَّة في بعض المواقف كما سيظهر لنا الآن .

(عن عَمْرِو بْنُ تَغْلِبَ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ – أَوْ سَبْيٍ – فَقَسَمَهُ ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي ، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ ، فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ)[1] ، في هذا المثال اطَّلع النبيُّ ﷺ على حقيقة مشاعر هؤلاء الذين عتبوا ، بطريقة غير مباشرة من غيرهم ، ومن ثَمَّ عالج هذا الموضوع بحكمة وروِيَّة ، وفيه فائدة تتبع مشاعر من حوله ، والتفطن لها ، والسؤال عنها حتى لا تُغفل أو تهمل .

ثانياً : استقراء لغة الجسم :

من الوسائل الهامَّة لفهم الموقف الشعوريِّ الدفين ، ما تُظهره الجوارح المختلفة ، من إشارات أو تغيُّرات فسيولوجية ، ناتجة عن التغير الشعوريِّ لدى الإنسان ، والتي تدخل في ما يسمى بـ (لغة الجسد) .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجُمُعَةِ - بَابُ مَنْ قَالَ فِي الخُطْبَةِ بَعْدَ الثَّنَاءِ : أَمَّا بَعْدُ – (ج٢ ، ص١٠) .

ويقصد بها : " إشارات وإيماءات جسديَّة تُرسِل رسالاتٍ محدَّدة ، في مواقف وظروف مختلفة ، تُظْهر لك المشاعر الدفينة ، وتخرجها للسطح ، فتصل من خلالها معلومات أو أفكار عن الشخص الآخر" [1] .

عند إمعان النظر بالتعريف السابق ، يمكننا أن نلحظ أهمَّ سمات لغة الجسد وهي أنها ايماءات جسديَّة عامَّة ، لا تختص بجارحة معيَّنة ، وهي إشارات متنوعة بعضها خفيّ وبعضها ظاهرٌ ، تحتاج إلى قراءة وفهم لمعانيها ، وهي أبلغ في التعبير عن المشاعر ، لأنَّها في أغلب الأحيان جبريَّة لا يمكن أخفاءها أو تصنعها.

يقول دانيال جولمان " ولا شكَّ أنَّ عواطف البشر من النَّادر أن تتجسد في كلمات ، لأنَّها تترجم في معظم الأحيان من خلال إيماءات وتلميحات . نحن نستطيع أن نعرف مشاعر الآخرين بالحدس ، من خلال إمكان قراءة المشاعر غير المقروءة ، مثل رنَّة الصوت ، أو الإيماءة أو التعبير بالوجه وما شابه ذلك " [2] .

ولأهمية هذه اللغة فقد باتت وسيلة من أهم وسائل الاتصال الإنساني : " ولغة الجسد من الوسائل التي تحقق الكثير من التجاوب بين النَّاس ، وهي أقوى بخمس مرات من ذلك التأثير الذي تتركه الكلمات ، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أنَّ ما يقارب من ٥٥% من الأهداف التي يطمح المرسل إلى تحقيقها ، يصل إليها عن

---

١ بني يونس – محمد محمود - **سيكولوجيا الدافعية والإنفعالات** – ص (٣٤٠) .

٢جولمان – **الذكاء الوجداني** – (ص ١٤٤) .

طريق الإيماءات والحركات ، بينما تحقق باقي العناصر النسبَّة المتبقيَّة أي بنسبة ٤٥% " [١] .

ومن هنا فإن السنَّة النبويَّة وجَّهت الاهتمام إلى هذا الجانب ، باعتباره طريقًا لتفسيرٍ شعوريٍّ سليم ، يبنى عليه التعامل الحكيم ، ويظهر هذا الاهتمام في الصور التالية :

أولاً : دعت السنَّة النبويَّة إلى توظيف لغة الجسد كوسيلةٍ من وسائل الفصاحة الشعوريَّة ، ولذا كان النبيُّ ﷺ يتقن اعتماد الحركة والإيماء في إيصال الرسالة الشعوريَّة ، والتعبير عمَّا في النَّفس ، والأمثلة هنا كثيرةٌ نذكر منها : (عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قالت : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ ، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرَّ بِهِ ، وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي ، وَيَقُولُ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ: رَحْمَةٌ)[٢] و(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ) [٣] .

١بني يونس – محمد محمود – **سيكولوجيا الدافعية والإنفعالات** – ص (٣٥٠) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ – بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ : وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، مسلم - كِتَابُ صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ - بَابُ التَّعَوُّذِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ ، وَالْفَرَحِ بِالْمَطَرِ – (ج٢ ، ص٦١٦) .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ – (ج٤،ص١٩٠) ، مسلم - كتاب الْفَضَائِلِ - بَابُ كَثْرَةِ حَيَائِهِ ﷺ – (ج٤ ، ص ١٨٠٩) .

و(عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : لَمَّا جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ قَتْلُ ابْنِ حَارِثَةَ وَجَعْفَرٍ وَابْنِ رَوَاحَةَ ، جَلَسَ يُعْرَفُ فِيهِ الحُزْنُ ، وَأَنَا أَنْظُرُ مِنْ صَائِرِ البَابِ ....) [1] ، و(عَنْ عَبْدِ اللهِ [2] ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللهِ ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ ، قَالَ فَقُلْتُ : وَاللهِ ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ ، قَالَ : فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ [3] ، ثُمَّ قَالَ : فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ) [4].

ولذا كان الصحابة الكرام يتقنون فهم هذه الإشارات النبويَّة ، مما يسهِّل معرفتهم لمشاعره على الدوام ، وقد ولَّد هذا الأمر قدرة عالية عند الصحابة في تتبُّع المشاعر الإنسانيَّة ، وحسن التعامل معها .

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ مَنْ جَلَسَ عِنْدَ المُصِيبَةِ يُعْرَفُ فِيهِ الحُزْنُ – (ج٢ ، ص٨٢) ، مسلم - كِتَابُ الْكُسُوفِ - بَابُ التَّشْدِيدِ فِي النِّيَاحَةِ – (ج٢،ص٦٤٤) .

٢ هو ابن مسعود رضي الله عنه .

٣ (بكسر الصَّاد المهملة : هو صبغ أحمر ، يصبغ به الجلود) النوويُّ – المنهاج شرح صحيح مسلم – (ج٧ ، ص ١٥٨) .

٤ رواه مسلم في صحيحه – كتاب الزكاة – بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ – (ج٢ ، ص ٨٦٧) .

ومن الملاحظ أنَّ بعض التعبيرات الجسديَّة ، التي تحمل دلائل خفيَّة ، لم يكن النبي ﷺ يتركها مبهمة ، بل يسارع إلى التعليق عليها ، وبيان السبب الشعوريِّ المرتبط بها ، مما يرفع اللَّبس لدى الصحابيِّ ، ويجعله أكثر قدرةً على تشخيص الحالة ، ومعرفة علاجها : فمن ذلك ما جاء عن أمِّ حبيبة ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ ، أَنَّهَا قَالَتْ : اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ ، وَعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أَوْ مِائَةً ، قِيلَ : أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ)[1] ، فلم يكن من سبيل لمعرفة إشارة الوجه هنا ، إلا بعد البيان النبويِّ لحقيقة مشاعره ، وهي مشاعر الخوف من اقتراب الفتن .

ومن ذلك ما روي عَنْ عُقْبَةَ قَالَ : (صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ العَصْرَ ، فَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا ، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ ، فَقَالَ : ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا ، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي ، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ)[2] .

---

١ رواه الشيخان - البخاريُّ - كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ - بَابُ قِصَّةِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ – (ج٤ ، ص١٣٨) ، مسلم - كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ - بَابُ اقْتِرَابِ الْفِتَنِ وَفَتْحِ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ – (ج٤ ، ص ٢٢٠٨) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الأَذَانِ - بَابُ مَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ ، فَذَكَرَ حَاجَةً فَتَخَطَّاهُمْ – (ج١ ، ص١٧٠) .

إنَّ إسراع النبيِّ ﷺ على غير عادته بعد الصَّلاة إلى بيته ، ولَّد مشاعر الفزع عند الصحابة ، خوفًا عليه من أيِّ مكروه ، وهذا الخوف ترك أثراً على وجوههم ، لمحه النبيُّ ﷺ بعد عودته ، فكان لا بدَّ من بيان سبب الإسراع ، حتى تزول هذه المشاعر السيِّئة ، التي نتجت عن حركةٍ غير اعتياديَّةٍ منه ﷺ .

ثانيًا : تدعو السنَّة النبويَّة إلى استقراء لغة الجسد ، لمعرفة المشاعر المختلفة ، فمن ذلك : (عن الصَّعْبَ بْنَ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِمَارَ وَحْشٍ ، وَهُوَ بِالأَبْوَاءِ – أَوْ بِوَدَّانَ – وَهُوَ مُحْرِمٌ ، فَرَدَّهُ ، قَالَ صَعْبٌ : فَلَمَّا عَرَفَ فِي وَجْهِي رَدَّهُ هَدِيَّتِي ، قَالَ : لَيْسَ بِنَا رَدٌّ عَلَيْكَ وَلَكِنَّا حُرُمٌ)[1] ،

إنَّ التنبه للغة الجسد أولاً ، ثمَّ التفسير السليم لها ، هو الذي ولَّد حسن التعامل مع الموقف ، ورفع المشاعر السيئة التي أصابت الصحابيَّ الذي حرص على إكرام النبيِّ ﷺ بهذا الصيد .

ومن النصوص التي تؤيد هذا المنحى (.... قَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، فَوَافَتْ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ انْصَرَفَ ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ ، وَقَالَ : أَظُنُّكُمْ

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا - بَابُ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الهَدِيَّةَ لِعِلَّةٍ – (ج٥ ، ص١٥٩) ، مسلم – كِتَابُ الْحَجِّ - بَابُ تَحْرِيمِ الصَّيْدِ لِلْمُحْرِمِ – (ج٢،ص٨٥١).

قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ ؟ ، قَالُوا : أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ، فَوَاللَّهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ....)[1].

فهم النبيُّ ﷺ مشاعر تشوُّق الصحابة للعطاء ، وهم يدركون كرم النبيِّ ﷺ في توزيع الغنائم ، فتعرضوا له ﷺ ، ولم يصرِّحوا بحاجتهم أو طلبهم ، إلاَّ أنَّ النبيَّ ﷺ أدرك ذلك ، بما آتاه الله من ذكاء شعوريٍّ فريد ، أغنى عن السؤال ، وإبداء الحاجة ، فبشَّرهم أولاً ، ليرفع عنهم مشاعر القلق والترقُّب ، ثم جاء التفوق في اغتنام الموقف ، للتحذير من الركون إلى الدنيا ، والتنافس على ملذاتها الزائلةِ .

ثالثا : حذَّرت السنَّة النبويَّة من ممارسة أيِّ حركة جسديَّة تؤذي الآخرين ، وتجرح مشاعرهم ، إمَّا بسبب سوء فهمها ، أوعدم وضوحها ، أو بسبب أنها ترسل رسائل سيئة ، تجرح المشاعر ، وتؤذي النفسيات ، ومن ذلك حركات السخرية والاستهزاء ، وتعمُّد الإشارة إلى الغير بقصد الإيذاء .

لقد تتبَّع كتاب الله الكريم ، كثيرًا من هذه الممارسات السيئة ، وذمَّ أصحابها ، وبيَّن خطورة مسلكها ، فقال تعالى ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾[2] وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾[3] وقال :

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ – كِتَابُ الجِزْيَةِ – بَابُ الجِزْيَةِ وَالمُوَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ – (ج٤،ص٩٦) ، مسلم – كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ – (ج٤ ، ص ٢٢٧٣) .

٢ سورة الهمزة – آية (١) .

٣ سورة المطففين – آية (٢٩ – ٣٠) .

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]. وفي الهدي النبويّ ما يدلُّ على هذه المعاني كلها ، فقد أخرج أحمد في مسنده : (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟ قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ)[2] .

خشي النبيُّ ﷺ في هذا الموقف أن يترك ضحك الصحابة من نحالة ساقي ابن مسعودٍ ، شيئاً من الأسى في نفسه ﷺ ، فأطلق النبيُّ ﷺ هذا التعليق تنبيها للصحابة على ما صدر منهم ، خشية أذيته ، ولفت أنظارهم إلى المعنى الذي ينبغي أن يلتفت إليه المؤمن ، وهو قيمة الإنسان المعنويَّة لا الحسيَّة .

وفي نهاية هذا المبحث نقف مع هذه الحادثة ، التي تدلُّ على أهميَّة فهم لغة الجسد ، وأثرها في المعالجة الشعوريَّة ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال : أَصَابَنِي جَهْدٌ شَدِيدٌ ،

---

١ سورة التوبة – آية (٧٩) .

٢ (**حسن**) رواه أحمد في مسنده – (ج٧ ، ص٩٩) من حديث عبد الصمد ، وحسن بن موسى عن حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، وهذا سند جيد رواته ثقات ، من أجل عاصم بن أبي النجود ، قال الذهبيُّ : (كان عاصم ثبتا في القراءة ، صدوقا في الحديث ، وقد وثقه أبو زرعة ، وجماعة ، وقال أبو حاتم : محله الصدق) الذهبيُّ – محمد بن أحمد – تحقيق شعيب الأرناؤوط – (ج٥ ، ص٢٦٠) – مؤسسة الرسالة – ط٣ – ١٩٨٥م .

فَلَقِيتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ، فَاسْتَقْرَأْتُهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، فَدَخَلَ دَارَهُ وَفَتَحَهَا عَلَيَّ ، فَمَشَيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ فَخَرَرْتُ لِوَجْهِي مِنَ الجَهْدِ وَالجُوعِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي ، فَقَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَقَامَنِي وَعَرَفَ الَّذِي بِي ، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَحْلِهِ ، فَأَمَرَ لِي بِعُسٍّ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : عُدْ يَا أَبَا هِرٍّ ، فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ ، ثُمَّ قَالَ : عُدْ ، فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ ، حَتَّى اسْتَوَى بَطْنِي فَصَارَ كَالقِدْحِ ، قَالَ : فَلَقِيتُ عُمَرَ ، وَذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِي ، وَقُلْتُ لَهُ : فَوَلَّى اللَّهُ ذَلِكَ مَنْ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ يَا عُمَرُ ، وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَقْرَأْتُكَ الآيَةَ ، وَلَأَنَا أَقْرَأُ لَهَا مِنْكَ ، قَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ لَأَنْ أَكُونَ أَدْخَلْتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي مِثْلُ حُمْرِ النَّعَمِ)[1] .

في هذا الحديث بيان تفاوت النَّاس في فهم لغة الجسد ، والتعامل معها ، فهذا عمرُ ﷺ لم يتنبه لما أصاب أبا هريرة ﷺ من الجَهد ، واعتمد على مجرَّد السُّؤال ، مع أنَّ حاجته تتعدى ذلك ، بينما نجح النبيُّ ﷺ في معرفة هذه الحاجة ، وحسن التعامل معها ، ممَّا ترك أثراً شعورياً بالغاً في نفس هذا الصحابيِّ الكريم .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه – كِتَابُ الأَطْعِمَةِ – قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) (البقرة : ٥٧) – (ج٧ ، ص٦٨) .

ثالثا : التقمُّص الشعوريُّ :

نعني بالتقمُّص الشعوريِّ " القدرة على رؤية وإحساس ما يراه ويشعر به الطرف الآخر ، والوعي بمشاعره وحاجاته واهتمامه " [1] ، وذلك بتقمُّص حالته وشخصيته ، لمعرفة حقيقة مشاعره التي يعيشها في هذه اللحظة ، وهو بهذا المعنى مهارة من مهارات الإتصال الإجتماعيِّ الهامَّة .

وهذا التعاطف الذي ينشأ من هذه العمليَّة ، هو في حقيقته تفسيرٌ وجدانيٌّ للمواقف المختلفة ، وهو السبيل الأمثل للوصول إلى تفسيرٍ أكثر واقعيَّة من التفسير العقليِّ الذي يلجأ إليه الإنسان عادة وهو يشاهد موقفا شعوريًا .

وتكمن أهمية هذا التقمُّص في اللحظات التي لا تُفهم فيها المشاعر بصورةٍ واضحةٍ جليةٍ ، وهو يعدُّ من أنجح الوسائل التي تكشف الحالة الشعوريَّة ، وتنقل المتقمِّص من عنصر المتابِع إلى المشارِك ، ومن ثَمَّ تؤهله للمشاركة الشعوريَّة الفعالة .

وعند النظر في السنَّة النبويَّة النظريَّة والعمليَّة ، نجدُ اهتمامًا بالغًا بهذه الوسيلةِ ودعوةً لاتخاذها منهجاً لفهم النفسيات ، وسبر أغوار النفوس ، فمن ذلك :

---

١ عثمان خضر – **الذكاء الوجداني** – الابداع الفكري للنشر والتوزيع – الكويت – ٢٠٠٨م - الطبعة الثانية – ص (٤٤) .

أولاً : (عَنْ أَنَسٍ ﷺ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ ، وَيَقُولُ : غَارَتْ أُمُّكُمْ ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ ، حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا ، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ)[1] .

في هذا المثال علَّل النبيُّ ﷺ فعل عائشة رضي الله عنها كسرها للصحفة ، بكونها غارت من صنيع أمِّ سلمة بإحضارها الطعام في بيت الأولى ، ولا شكَّ أنَّ مشاعر الغيرة هي التي ولَّدت هذه الحدَّة في التعامل ، قال ابن حجر : " وقوله : غارت أمُّكم ، اعتذاراً منه ﷺ لئلا يحمل صنيعها على ما يُذمُّ ، بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة ، فإنَّها مركَّبةٌ في النَّفس ، بحيث لا يقدر على دفعها "[2].

ثانياً : عن (أَبِي قَتَادَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ)[3] .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ النِّكَاحِ - بَابُ الغَيْرَةِ – (ج٧ ، ص٣٦) .

٢ ابن حجر – فتح الباري – (ج٥ ، ص١٢٦) .

٣ رواه الشيخان - البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الأَذَانِ - بَابُ مَنْ أَخَفَّ الصَّلَاةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ – (ج١ ، ص١٤٣) ، مسلم - بَابُ أَمْرِ الْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ - باب تخفيف الصلاة لبكاء الصبي – (ج١ ، ص ٣٤٣) .

يشتمل هذا الحديث على تطبيق مفهوم التقمُّص الشعوريِّ ، فقد تجوَّز النبيُّ ﷺ في صلاته تنبها للموقف ، وهو سماع بكاء الطفل ، فتقمَّص النبي ﷺ الحالة الشعوريَّة للأمِّ حزنًا وقلقًا على ما أصاب ابنها ، فانقلب الخشوع في الصلاة إلى ترقُّب وانتباه للصغير ، ناسب هذا الأمر التجوز في الصَّلاة وتخفيفها ، وما كان هذا الأمر أن يتمَّ ، لو لم يحصل شيءٌ من التعاطف الشعوريِّ من النبيِّ ﷺ .

ثالثاً : (عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا ، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي ، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ)[1].

جاء أبو ذر ﷺ يطلب الولاية من النبيِّ ﷺ ، فكان من تمام نصحه له ، أن أخبره بأنَّه رجلٌ ضعيفٌ ، لا طاقة له بالتأمر على النَّاس ، وأمره أن لا يتولى على اثنين ، وكان من التفوق النبويِّ هنا قول المصطفى ﷺ : (وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي) ، وهذه العبارةُ أضافت للنصيحة بُعدًا شعوريًا مهمًا ،" فالنبيُّ ﷺ طبَّق آلية التعاطف ، وهي أن تضع نفسك مكان المتعاطف معه ، باستحضار مشاعره إلى داخلك ، وأن تحاكي تقمُّصًا ينبض بالحياة والتفاعل "[2] .

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الْإِمَارَةِ - بَابُ كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ – (ج٣،ص١٤٥٧) .

٢ آل عجين – علي بن ابراهيم - **اكتسب مهارات الذكاء الوجدانيِّ من سنَّة نبيك** – ص(١٠٩)

ولأهمية هذا التقمص في إنشاء العلاقات وزيادة مناحي الأخوّة بين المؤمنين ، جاء الأمر العامُّ بهذه القاعدة ، لتكون منهجاً يراعي المشاعر ، ويضمن الألفة .

رابعاً : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَنَزَلَ بِئْرًا ، فَشَرِبَ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي ، فَمَلأَ خُفَّهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ، ثُمَّ رَقِيَ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ " [1].

يُظهر هذا المثال حسن صنيع هذا الرجل ، بنزوله في البئر ، وسقيه للكلب بعد أن رآه يأكل الثرى من العطش ، وموطن الشاهد هنا هو قول الرجل : " لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي " وهذا يدل على تقمُّص هذا الرجل للحالة التي أصابت الكلب وهي الحالة التي عايشها في أوّل الأمر .

إنَّ التقمُّص السليم في هذه اللحظة ، وتمثيل الحالة بالحالة ، هي التي ولَّدت هذا الفهم ، وأثمرت التعاطف القلبيَّ الذي ساق الرجل لمثل هذا الفعل ، وهكذا توسّع السنَّة مفهوم التعاطف ، ليتجاوز حدود الإنسانية إلى العجماوات ، كما مرَّ معنا سابقاً [2] .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَاب المُسَاقَاةِ - بَابُ فَضْلِ سَقْيِ المَاءِ – (ج٣ ، ص١١١) .

٢ انظر مبحث مراعاة مشاعر العجماوات – ص (١٨٠) .

وفي نهاية هذا المبحث المهم يمكننا أن نخرج بما نسمّيه " نظرية الرصد الشعوريّ في السنَّة النبويَّة " والتي ظهرت جليًا من خلال جملة الوسائل المتبعة لتحليل الموقف الشعوريّ ، وأقصد بها : رصد المواقف الشعوريّةِ ، والتنبه للتغيُّرات النفسيَّة المختلفة ، للوصول إلى حسن المتابعة الشعوريَّة .

ومن الأمثلة التي توضِّح مفهوم الرصد الشعوريّ النبويّ ، وتوضِّح كيف كان النبيُّ ﷺ يرصد الموقف الشعوريّ ما جاء في قصة بريرة ومغيث ، (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلعبَّاسِ : يَا عَبَّاسُ ، أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَوْ رَاجَعْتِهِ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ ، قَالَتْ : لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ)[1] .

رصد النبيُّ ﷺ بفكره وقلبه هذا الموقف الشعوريَّ المليء بالعاطفة والحبِّ من جهة واحدة ، ومن ثمَّ قيَّم هذا الموقف ، وسعى بشفاعته لرأب الصدع ، وموافقة الشريكين إلاَّ أنَّه حفظ حقَّ بريرة في ترك مغيث العبد بعد عتاقها .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الطَّلاَقِ - بَابُ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي زَوْجِ بَرِيرَةَ – (ج٧،ص٤٨) .

المبحث الثاني

المشاركة الشعوريَّة

تفهُم مشاعر الآخرين وإشعارهم بذلك

المشاركة الشعوريَّة هي التفاعل مع مشاعر النَّاس ، أو بمعنى آخر " القدرة على الاندماج (الاستغراق) عاطفياً ، والمشاركة وجدانياً في الخبرات أو المشاعر الوجدانية للآخرين " [1] ، وهي أن تشاطر الآخر همومه وأفراحه ، وتشعره باهتمامك لأمره ، ومن ثمَّ فإنَّ هذا يولِّد دعماً نفسياً ، يساعد على خروج الإنسان مما هو فيه .

وهذه المرحلة تسبق المعالجة الشعوريَّة ، التي هي ثمرة المنهج الشعوريِّ النبويِّ بصورته الكليَّة ، يقول جولمان : " كان من بين الفوائد التي تعود على الإنسان القادر على قراءة المشاعر ، من التعبيرات غير المنطوقة ، أنَّه يكون في حالةٍ أفضل من حيث التكيُّف العاطفيِّ ، ومحبوباً أكثر من غيره ، ولا يُستغرب أيضاً أن يكون أكثر حساسيةً " [2] .

وفي الهدي النبويِّ الشعوريِّ تطبيقاتٌ كثيرة تبيِّن صور المشاركة الشعوريَّة ، وأثرها البالغ على الفرد والمجتمع ، فقد دعا النبيُّ ﷺ إلى كثير من التشريعات التي تهدف

---

١ السمادوني – إبراهيم - **الذكاء الوجداني أسسه تطبيقاته** – دار الفكر – عمان – ط١ – ١٤٢٨هـ - ص (٥٠) .

٢ جولمان – **الذكاء الوجداني** – ص (١٤٥) .

إلى تنمية المشاركة الشعوريَّة في المجتمع المسلم ، كالأمر بإجابة الدعوى ، وصلة الرَّحم ، وعيادة المريض ، فكلُّ هذه التشريعات تُسهم في المشاركة الشعوريَّة التي تؤدِّي إلى استقرار نفسيٍّ وجدانيٍّ في المجتمعات المسلمة .

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)[1]

وهذا المبدأ القيِّم ينشر المحبَّة بين النَّاس ، ويؤصِّل المشاركة الشعوريَّة حتى يتأثر الإنسان شعوريًا بما يصيب أخاه ، وهذا هو حقيقة التعاطف بين الإخوة .

ومن الأمثلة التي تبيِّن الأثر العظيم الذي تتركه المشاركة الشعوريَّة من ثمار ، ما كان في قصة توبة الله على كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ ، (قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : دَخَلْتُ المَسْجِدَ ، فَإِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي ، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ)[2]

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابٌ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ – (ج٤،ص ١٩٨٨) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ المَغَازِي - بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، وَقَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ (التوبة : ١١٨) – (ج٦ ، ص٣) .

إنَّ تفاعل طلحة مع مشاعر الفرح التي عايشها كعب ، تركت أثراً واضحاً في نفس كعب ، وليس أدلَّ على ذلك من قوله : (ولا أنساها لطلحة) .

وفي كتاب الله كثيرٌ من الملامح التي تشير إلى هذه المشاركة كقوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾[1] ، فقد وجه هذا النص الكريم إلى مراعاة مشاعر أولئك الذين شهدوا تقسيم المال ، ودعا إلى مشاركتهم شيئاً من هذا المال ، ليثمر مشاركةً شعوريَّةً تُدخل الفرح والسّرور عليهم .

ومن الأمثلة على هذا الأمر قولُ النبيِّ ﷺ : (إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ ، فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ ، أَوْ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ ، فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَعِلاَجَهُ)[2] ، قال النوويُّ رحمه الله : " وفي هذا الحديث الحثُّ على مكارم الأخلاق ، والمواساة في الطعام ، لا سيما في حقٍّ من صنعه أو حمله ، لأنَّه ولي حرَّه ودخانه ، وتعلَّقت به نفسه ، وشمَّ رائحته "[3] .

---

١ سورة النساء – آية (٨) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الأَطْعِمَةِ - بَابُ الأَكْلِ مَعَ الخَادِمِ – (ج٧ ، ص٨٢) ، مسلم - كِتَابُ الْأَيْمَانِ - بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مَا يَغْلِبُهُ – (ج٣ ، ص ١٢٨٢) .

٣ النووي - **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** – (ج١١ ، ص١٣٥) .

إنَّ مشاركة الخادم الطعام ، لها هدفٌ شعوريٌّ كبيرٌ ، يرفع حاجة الخادم إلى الطعام ، ويسدُّ حاجةً نفسيَّةً شعوريَّة عميقة ، أشار إليها النوويُّ رحمه الله بلفظ " المواساة "

وقد أظهر النبيُّ ﷺ تفوقا كبيراً في تطبيقِ المشاركة الشعوريَّة في تعامله مع من حوله : " فقد كان يُكرم كريم كلِّ قومٍ ، ويعرف للناس أقدارهم ، وينزلهم منازلهم ، ويهتمُّ اهتماماً تاماً بكلِّ شؤون أصحابه ، فيفرح لفرحهم ، ويحزن لحزنهم ، ويصلِّي على من مات منهم ، ويقول لهم : (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ) [1] " [2].

ومن ذلك حديث أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : (أَرْسَلَت ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتِنَا ، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلاَمَ ، وَيَقُولُ : إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أَعْطَى ، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى ، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا ، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ – قَالَ : حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ – فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذِهِ رَحْمَةٌ

١ (**صحيح**) رواه النسائي في السنن - كِتَابُ الطَّهَارَةِ - النَّهْيُ عَنِ الِاسْتِطَابَةِ بِالرَّوْثِ – (ج١،ص٣٨) ، وابن ماجه في السنن - كتاب الطهارة وسننها - باب الاستنجاء بالحجارة ، والنهي عن الروث والرمة – (ج١ ، ص١١٤) ، من حديث ابن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح (ذكوان السمَّان) ، والحديث رواته ثقات .

٢ الطنطاوي - **حديث القران عن المشاعر الإنسانية – ص** (١٤٣) .

جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ)[1] ، يظهر في هذا المثال صورةٌ حيَّة من صور المشاركة الشعوريَّة النبويَّة ، لقد اكتفى النبيُّ ﷺ في الأولى بالمشاركة اللفظيَّة بلفظ تعزية وتسلية ، ولكن ابنته لم تقنع بذلك ، بل أحبَّت شهود النبيِّ ﷺ ، فحضر ، ورفع الصبيَّ إليه ، ثم بكى رحمة بهذا الطفل ، وهذا يصوِّر قمَّة المشاركة الشعوريَّة النبويَّة ، بالتعاطف الحقيقيِّ المبنيِّ على الفصاحة الشعوريَّة اللفظيَّة والحسيَّة .

لهذا حرص الإسلام على زيادة الروابط بين المسلمين ، لما في ذلك من أثر شعوري بالغ على الفرد والمجتمع ، وحسبك قول النبي ﷺ (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[2] ، وهذا الحديث يشير إلى تفوقٍ في اعتبار مشاعر المقابل ، وهو ما يطلق عليه في علم النفس بالإنعكاس الشعوريِّ ، فيعكس الإنسان من خلاله مشاعر من يقابله ، فيعايشها ، ويتحدث بلغة نفسه عنها .

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: يُعَذَّبُ المَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ – (ج٢،ص٧٩) ، مسلم - كِتَابُ الْكُسُوفِ - بَابُ الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ – (ج٢،ص٦٣٥) .

٢رواه الشيخان - البخاريُّ - كِتَابُ الإِيمَانِ – بَابٌ : مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ – (ج١،ص١٢) ، مسلم – وزاد على رواية البخاريِّ قوله : (لجاره) - كِتَابُ الْإِيمَانَ - بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ – (ج١،ص٦٧) .

" إنَّ هذا الإنعكاس الشعوريّ الذي يمارسه الموحي ، يوفِّر راحةً نفسيَّةً وانفتاحاً مزاجياً للشخص الضحيَّة ، حتى يبدأ يشعر بأنَّ هناك من يشاركه بمشاعره السلبيَّة والإيجابيَّة ، وأنَّ اتجاه شعوره هو اتجاهٌ صحيح ، بدليل أنَّ هناك من يؤيده ، ويتوافق معه فيه " [1] ، وقد كان النبيُّ ﷺ يتقن هذا الفن جيداً ، مما ولَّد محبَّة الصحابة له .

المبحث الثالث

المعالجة الشعوريَّة

تعدُّ المعالجة الشعوريَّة من أهمّ ثمار المنهج النبويِّ الشعوريِّ ، وأقصد بها مهارة تفريغ المشاعر السيِّئة الكامنة في الأشخاص ، وتصويب حالتهم الشعوريَّة إلى مسارها الصحيح الذي ينبغي أن تكون عليه ، فهو بمثابة تعويض المشاعر المجروحة ، وحسن إدارتها نحو الاستقرار والثبات .

والمعالجة الشعوريَّة أصلٌ دعت إليه السنَّة النبويَّة في كثيرٍ من المواقف :(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ ، وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ ، فَقَالَ : ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا) [2] ، فأمر النبيُّ

---

١ عابد – فايز عبد الهادي – **سيكولوجية المزاج بين الإيحاء والإقناع القسري** – ص (٨٣)

٢ (**حسن**) رواه أبو داود في سننه - كِتَاب الْجِهَادِ - بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو، وَأَبَوَاهُ كَارِهَانِ – (ج٣،ص١٧) ، والنسائي في سننه - كِتَابُ الْبَيْعَةِ - باب الْبَيْعَةُ عَلَى الْهِجْرَةِ – (ج٧،ص١٤٣) ، وابن ماجه في سننه - كتاب الجهاد - باب الرجل يغزو وله أبوان – (ج٢،ص٩٣٠) . جميعهم من رواية ابن عيينة ، عن عَطَاء بْن السَّائِبِ ، عَنْ أَبِيهِ السائب بن مالك ، والحديث رواته ثقات ، وسماع ابن عيينة من عطاء قديم قبل اختلاطه .

ﷺ بمعالجة مشاعر الوالدين ، ودفع الحزن الذي أصابهما ، وإدخال السرور عليهما.

وقد اشتملت السنَّة النبويَّة على جملةٍ وافرةٍ من صور المعالجة الشعوريَّة التي تهدف لتحقيق الاستقرار الذاتيّ النفسيّ ، والتي يمكننا أن نطلق عليها : (**استراتيجيات المعالجة الشعوريَّة في السنَّة النبويَّة**) نذكر من أهمها :

أولاً : المعالجة الشعوريَّة اللفظيَّة :

إنَّ المتتبع للمناحي اللفظيَّة الموجهة للجانب الشعوريِّ الإنسانيِّ في السنَّة النبويَّة ، يدرك سعة هذا التطبيق في كثير من الجوانب ، والمقصود هنا التغذيةُ اللفظيَّة بهدف إزالة آثار المشاعر السيئة ، وتنمية المشاعر الحسنة .

فمن ذلك **توجيه المدح الذاتيّ كعلاج شعوريٍّ** في موقف الأذيَّة النفسيَّة والمقصود به الإشارة إلى الجوانب الحسنة في شخص الإنسان على سبيل المدح (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ)[1] .

---

[1] رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ المَغَازِي - بَابُ بَعْثِ النَّبِيِّ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ – (ج٦ ، ص١٦) .

في هذا المثال معالجةٌ شعوريةٌ دقيقةٌ ، بعد طعن بعض الناس بإمارة أسامة بن زيد ، مع أن النبيَّ ﷺ هو الذي أمَّره ، مما ترتب على هذا الطعن تولُّدٌ للمشاعر السيِّئة في نفس أسامة وغيره من الصحابة ، فجاء الأسلوب النبويُّ بالمعالجة الشعوريَّة المبنيَّة على المدح لأسامة بن زيد ، والتأكيد على أحقيَّته بالإمارة ، وإتمام هذه المعالجة ببيان محبة النبيِّ ﷺ له ، ولا شكَّ أنَّ هذا التصريح النبويَّ يشكِّل تكاملاً واضحاً في المعالجة الشعوريَّة .

ومن الأمثلة على هذا المنحى كذلك ما جاء في قصة كفالة ابنة حمزة ﷺ (.... فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَتَبِعَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ : يَا عَمِّ يَا عَمِّ ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا ، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ رضي الله عنها : دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ ، حَمَلَتْهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ ، وَزَيْدٌ ، وَجَعْفَرٌ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي ، وَقَالَ جَعْفَرٌ : ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي ، وَقَالَ زَيْدٌ : ابْنَةُ أَخِي ، فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا ، وَقَالَ : الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ ، وَقَالَ لِعَلِيٍّ : أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ ، وَقَالَ لِجَعْفَرٍ : أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي ، وَقَالَ لِزَيْدٍ : أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا)[1] .

في هذا المثال نلحظ الإبداع النبويَّ في معالجة مشاعر الجميع ، باستخدام أسلوب المدح والثناء ، الموصل إلى المشاعر الحسنة ، فبعد أن حكم النبيُّ ﷺ بالبنت للخالة ، كان لا بدَّ من معالجة مشاعر البقيَّة ، الذين تمنوا لو فازوا بأجر

---

[1] رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ المَغَازِي - بَابُ عُمْرَةِ القَضَاءِ – (ج٥ ، ص١٤١) .

رعايتها وإكرامها ، فجاءت المعالجة النبويَّة أولاً بيان سبب تقديم الخالة ، وأنَّها بمنزلة الأم ، ثمَّ وجَّه النبيُّ ﷺ الثناء للثلاثة ، يجبر خواطرهم ، ويعالج مشاعرهم ، وهذا الهدي النبويُّ يشكِّل قاعدةً هامَّة في مراعاة مشاعر الخصماء في حال المنازعة ، وهو منطقٌ عزيزٌ لا تجده في غير المنهج النبويِّ الكريم .

ومن ذلك حديث (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ... ﴾[1] ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ ، وَقَالَ : أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَمْرٍو ، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ ؟ اشْتَكَى ؟ قَالَ سَعْدٌ : إِنَّهُ لَجَارِي ، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى ، قَالَ : فَأَتَاهُ سَعْدٌ ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ ثَابِتٌ : أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)[2]. إنَّ مشاعر الحزن والقلق التي تكالبت في نفس ثابت ؓ بعد نزول هذه الآيات ، تلاشت جميعها لما جاءت البشارة العظمى من النبيِّ ﷺ بالتصريح بأنَّه من أهل الجنَّة ، وهذا يدلُّ على أثر الثناء على المجروح في تنمية المشاعر الطيِّبة .

١ سورة الحجرات – آية (٢) .

٢ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الْإِيمَانِ - بَابُ مَخَافَةِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ – (ج١،ص١١٠) .

" لقد اهتمَّت السنَّة النبويَّة اهتماماً كبيراً بإشباع الحاجة إلى التقدير والاحترام ، وذلك بالمديح والثناء ، في غير إسراف ، وبعدم التحقير والامتهان بالقول أو بالفعل ، حرصاً منها على بناء الشخصيَّة الإنسانيَّة بناءً متزناً سويّاً ، يصونها من الهزَّات النفسيَّة والاضطرابات العصبيَّة " [1] .

ومن صور المعالجة اللفظية للمشاعر : ردُّ كرامة من شعر بالإهانة ، بتصويب المفهوم الذي أدَّى لجرح المشاعر ، والأمثلة على هذا التطبيق كثيرة ، فمن ذلك ما رواه البخاريُّ من حديث (سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحِجَابَ ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي ، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ ، قَالَ عُمَرُ : فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ ، أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ قُلْنَ : نَعَمْ ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ)[2] .

---

١ الزنتاني – عبد الحميد – **أسس التربية الاسلامية في السنة** – ص (٦١٥) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ - بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ – (ج٤،ص١٢٦).

عالج النبيُّ ﷺ أذيَّة شعوريَّة وقعت على عمر ﷺ من النساء اللاتي كنَّ عند النبيِّ ﷺ بقولهن : " أنت أغلظ وأفظ من رسول الله " ، بالثناء عليه بما ذُمَّ به ، لقوَّته في الحق ، لقد اهتم النبيُّ ﷺ هنا بذكر الجانب المشرق من شخصيته ، حفظاً لمشاعره، ورفعاً لمنزلته .

ويشبه هذا حديث أَنَسٍ ﷺ قَالَ : (بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ : بنت يَهُودِيٍّ ، فَبَكَتْ فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكِ ؟ فَقَالَتْ : قَالَتْ لِي حَفْصَةُ إِنِّي ابْنَةُ يَهُودِيٍّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّكِ ابْنَةُ نَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ ، فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ يَا حَفْصَةُ)[1] .

فجاءت المعالجة الشعوريَّة برد كرامة صفيَّة رضي الله عنها ، وتصويب المفهوم الذي أدى لجرح مشاعرها بالثناء عليها ، وذكر مناقبها ، وبيان خطأ ما أُلقي من نقدٍ ، أثمر تأثيراً شعوريّاً انتهى بالبكاء والحزن .

ومن ذلك (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا ﷺ ، فَقَالَ : أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ ؟ قَالَ : أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ

---

١ (**صحيح**) رواه الترمذيُّ في سننه - أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ – (ج٥ ، ص ٧٠٩) ، وأحمد في مسنده (ج١٩ ، ص ٣٨٤) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس ، والحديث رواته ثقات .

مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي)[1] فصوَّب النبيُّ ﷺ المفهوم الذي ولَّد المشاعر السيئة عند عليٍّ رضي الله عنه بتخلفه في المدينة ، بضرب مثالٍ عمليٍّ بحال نبيِّ الله هارون عليه السلام ، وتخلفه عن موسى عليه السلام لمصلحةٍ غالبة ، وهذا المثال كفيلٌ بمعالجة الحزن والهمِّ الذي تولَّد في هذه اللحظة .

ومن صور المعالجة الشعوريَّة اللفظيَّة : تسلية المصاب ومواساته ، وتذكيره بجزيل الأجر عند الله تعالى ، فمن ذلك حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : (لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ ، قَالَ فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَنْهَوْنِي ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْهَانِي ، قَالَ : فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو تَبْكِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ ، مَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ)[2] ، إنَّ ذكر هذا الفضل الذي أصاب عبد الله والد جابر رضي الله عنهما ، يشكِّل معالجةً شعوريَّة تثمر التخفيف من مشاعر الحزن . ومن ذلك حديث (أَنَس بْن مَالِكٍ : أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَلَا

---

١ رواه الشيخان ، البخاريُّ - كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رضي الله عنه – (ج٥ ، ص١٩) ، مسلم - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم- بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه – (ج٤ ، ص ١٨٧٠) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ الدُّخُولِ عَلَى المَيِّتِ بَعْدَ المَوْتِ إِذَا أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ – (ج٢،ص٧٢) ، مسلم - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَالِدُ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – (ج٤ ، ص ١٩١٧) .

تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ ، قَالَ : يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى)[1] .

فهذه معالجةٌ شعوريَّةٌ تهدف إلى التسلية ، بذكر المنزلة عند الله عز وجل ، وفي هذا المثال دليلُ أثرِ معرفة الجزاء الأخرويِّ في ضبط مشاعر المؤمن ، فقول أم حارثة : (إِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ) ، يبيِّن أنَّ رفعة المنزلة عند الله تبدِّل المشاعر ، وتصْلح القلوب .

ومن هنا ندرك أثر نصوص التسلية التي تدعم ضبط المشاعر عند المصيبة وتدفع العبد لاحتساب الأجر عند الله بما فقده ، كأحاديث الصبر على المصائب ومنها على سبيل المثال حديث : (أَبِي سَعِيدٍ ﷺ : أَنَّ النِّسَاءَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : اجْعَلْ لَنَا يَوْمًا فَوَعَظَهُنَّ ، وَقَالَ : أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ ، قَالَتِ امْرَأَةٌ : وَاثْنَانِ ؟ قَالَ : وَاثْنَانِ)[2] . وحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ :

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ مَنْ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَقَتَلَهُ - (ج٤،ص٢٠) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ فَضْلِ مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ فَاحْتَسَبَ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ - (ج٢ ، ص٧٣) .

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ ، يُرِيدُ : عَيْنَيْهِ)[1]

ثانياً : المعالجة الشعوريّة العمليّة :

هي جملة السلوكيات التي تحمل طابع الإحسان العمليّ ، وتهدف إلى تثبيط المشاعر السيّئة ، وتنمية المشاعر الحسنة ، ومن أهم صورها :

ممازحة المجروح بهدف تثبيط المشاعر السيّئة فـ (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ ، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي البَيْتِ ، فَقَالَ : أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ ؟ قَالَتْ : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ ، فَغَاضَبَنِي ، فَخَرَجَ ، فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ : انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟ ، فَجَاءَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ فِي المَسْجِدِ رَاقِدٌ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ ، وَيَقُولُ : قُمْ أَبَا تُرَابٍ ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ)[2] .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ المَرْضَى - بَابُ فَضْلِ مَنْ ذَهَبَ بَصَرُهُ – (ج٧،ص١١٦).

٢ رواه الشيخان - البخاريُّ - كِتَابُ الصَّلاَةِ - بَابُ نَوْمِ الرِّجَالِ فِي المَسْجِدِ – (ج١ ، ص٩٦) – مسلم - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ – (ج٤،ص١٨٧٤).

يشكّلُ فعلُ النبيِّ ﷺ في هذا المثال معالجةً شعوريَّةً تهدف لتسلية عليٍّ ﷺ بعد ما حدث بينه وبين زوجه من خلاف ، أثمر غضبه وخروجه للمسجد ، فسلك النبيُّ ﷺ معه مسلك الممازحة تخفيفاً عنه ، ومراعاةً لمشاعره ، " وفى حديث سهل من الفقه : الممازحة للغاضب بالتكنية بغير كنيته ، إذا كان ذلك لا يغضبه ولا يكرهه ؛ بل يؤنسه من حرجه ، وفيه : مداراة الصهر وتسلية أمره بدلاً من عتابه " [1] .

ومن صور المعالجة الشعوريَّة العمليَّة سدُّ حاجة المجروح : بهدف تنمية مشاعره ، مثال ذلك ما جاء في حديث جمل جابر المشهور : (قَالَ : فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى جَمَلِي فِي عُقْبَتِي ، قَالَ : وَكَانَ جَمَلًا فِيهِ قِطَافٌ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا لَهْفَ أُمِّي أَنْ يَكُونَ لِي إِلَّا جَمَلٌ قَطُوفٌ ، قَالَ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدِي يَسِيرُ ، قَالَ : فَسَمِعَ مَا قُلْتُ ، قَالَ : فَلَحِقَ بِي ، فَقَالَ : مَا قُلْتَ يَا جَابِرُ قَبْلُ ؟ قَالَ : فَنَسِيتُ مَا قُلْتُ ، قَالَ : قُلْتُ : مَا قُلْتُ شَيْئًا يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، قَالَ : فَذَكَرْتُ مَا قُلْتُ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، يَا لَهْفَاهُ أَنْ يَكُونَ لِي إِلَّا جَمَلٌ قَطُوفٌ ، قَالَ فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَجُزَ الْجَمَلِ بِسَوْطٍ أَوْ بِسَوْطِي ، قَالَ : فَانْطَلَقَ أَوْضَعَ أَوْ أَسْرَعَ جَمَلٍ)[2] .

---

١ إبن بطال ـ **شرح صحيح البخاريِّ** ـ (ج٢ ، ص٩٣) .

٢ (**صحيح**) رواه أحمد في مسنده (ج٢٣ ، ص١٥١) ـ من حديث عَبِيدَةُ بن حميد الحذَّاء عن الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسٍ ، عَنْ نُبَيْحٍ الْعَنَزِيِّ ـ وهم ثقات من رجال الشيخين ، غير نبيح العنزيِّ ، روى له أصحاب السنن الأربعة ، وهو ثقة ، وحديث جمل جابر مرويٌّ في الصحيحين ، والسنن بطرق كثيرة .

لقد تنبه النبيُّ ﷺ في هذا الحديث إلى مشاعر جابر من خلال تأسفه على حال جمله ، فسعى ﷺ إلى معالجة ما أصابه من مشاعر سيئة بطريق مباشر قائم على تصويبٍ عمليٍّ للحال الذي عليه جمل جابر رضي الله عنه .

ويشبه هذا ما فعل النبيُّ ﷺ مع عائشة في قصة عُمرتها المشهورة ، (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا نَذْكُرُ إِلَّا الْحَجَّ ، حَتَّى جِئْنَا سَرِفَ فَطَمِثْتُ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ ؟ فَقُلْتُ : وَاللهِ ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ خَرَجْتُ الْعَامَ ، قَالَ : مَا لَكِ ؟ لَعَلَّكِ نَفِسْتِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ : هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ ، افْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي ، .... فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْحَصْبَةِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، يَرْجِعُ النَّاسُ بِحَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ وَأَرْجِعُ بِحَجَّةٍ ؟ قَالَتْ : فَأَمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَرْدَفَنِي عَلَى جَمَلِهِ ، قَالَتْ : فَإِنِّي لَأَذْكُرُ ، وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ ، أَنْعَسُ فَيُصِيبُ وَجْهِي مُؤْخِرَةَ الرَّحْلِ ، حَتَّى جِئْنَا إِلَى التَّنْعِيمِ [1] ، فَأَهْلَلْتُ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ ، جَزَاءً بِعُمْرَةِ النَّاسِ الَّتِي اعْتَمَرُوا التَّنْعِيمِ)[2].

---

١ (**التنعيم**) : موقع بمكة المكرمة ، في الحلّ ، على بعد (٧,٥ كم) من المسجد الحرام ، فيه مسجد عائشة رضي الله عنها . (أبو خليل – أطلس الحديث النبويّ – ص ٩٤) .

٢ رواه مسلم في صحيحه – كِتَابُ الْحَجِّ – بَابُ بَيَانِ وُجُوهِ الْإِحْرَامِ ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ إِفْرَادُ الْحَجِّ وَالتَّمَتُّعِ وَالْقِرَانِ ، وَجَوَازِ إِدْخَالِ الْحَجِّ عَلَى الْعُمْرَةِ ، وَمَتَى يَحِلُّ الْقَارِنُ مِنْ نُسُكِهِ – (ج٢،ص٨٧٣) .

إنَّ السعي لمعالجة ما أدى إلى جرح المشاعر ، مع التمكن من ذلك ، هو السبيل الأقرب والأسلم للسير نحو معالجة المشاعر ، وهذا ما نلحظه هنا من أمر النبيِّ ﷺ لعبد الرحمن بالسير بأخته للإتيان بعمرة من التنعيم ، كعلاجٍ مباشرٍ لمشاعر الحزن على فوات الطّاعة .

ومن ذلك ما روي عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ ، قَالَ : (أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ الحُمْلاَنَ لَهُمْ ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ العُسْرَةِ ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ ، فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنَّ أَصْحَابِي أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لاَ أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَوَافَقْتُهُ وَهُوَ غَضْبَانُ وَلاَ أَشْعُرُ ، وَرَجَعْتُ حَزِينًا مِنْ مَنْعِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً ، إِذْ سَمِعْتُ بِلاَلًا يُنَادِي : أَيْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ ، فَأَجَبْتُهُ ، فَقَالَ : أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكَ ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قَالَ : خُذْ هَذَيْنِ القَرِينَيْنِ[1] ، وَهَذَيْنِ القَرِينَيْنِ)[2] ، فعالج النبيُّ ﷺ جملة المشاعر السيئة المتولدة عند أبي موسى ﷺ وهي الحزن والخوف معالجةً عمليّة مباشرةً ، بأن أعطاهم النبيُّ ﷺ سؤلهم ، وهذا

---

١ (أي الجملين المشدودين أحدهما إلى الآخر ، وقيل النظيرين المتساويين) ، ابن حجر – فتح الباري – (ج٨ ، ص١١٢) .

٢ رواه الشيخان – البخاري - كِتَابُ المَغَازِي - بَابُ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهِيَ غَزْوَةُ العُسْرَةِ – (ج٦،ص٢) ، مسلم - كِتَابُ الْأَيْمَانِ - بَابُ نَدْبِ مَنْ حَلَفَ يَمِينًا فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، أَنْ يَأْتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَيُكَفِّرُ عَنْ يَمِينِهِ – (ج٣ ، ص ١٢٦٩) .

العطاء فيه معالجةٌ لمشاعر الحزن بالعطية ، وفيه معالجة لمشاعر الخوف من غضب النبيّ ﷺ لأنَّ العطاء يدلُّ على رضاه .

ومن ذلك فعل النبيُ ﷺ مع أبي جهم في قصة الأنبجانيَّة [1] ، فـ (عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلاَمٌ ، فَنَظَرَ إِلَى أَعْلاَمِهَا نَظْرَةً ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ : اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ ، وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلاَتِي)[2] ، قال صاحب الإستذكار : " وأمَّا قوله " وأتوني بأنبجانيَّة له " أو " بأنبجانيَّة " على الرواية في ذلك ، ففيه دليل على أنَّ من رُدَّت عليه هديته يشق ذلك عليه ، فلذلك آنسه رسول الله ﷺ بأن أخذ منه كساءً آخر لا عَلَمَ فيه ، ليعلم أنَّه لم يَرُدَّ عليه هديته استخفافاً به ، ولا كراهيةً لكسبه " [3]. فكان استبدال الكساء بدل ردِّه تنبها لمشاعر أبي جهم ، وخوفًا من أذيته شعوريًا ، مع

---

١ (**الأنبجانية**) : كسَاء غليظ من الصُّوف لَهُ خمل وَلَيْسَ لَهُ علم (الجوزيُّ - كشف المشكل من حديث الصحيحين – (ج٤ ، ص٢٨١) ، قال ثعلب : هو كل ما كثف ، قال غيره : هو كساء غليظ لا علم له ، فإذا كان للكساء علم فهو خميصة ، فإن لم يكن فهو أنبجانية (النوويُّ – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – ج٥ – ص٤٣) .

٢ رواه الشيخان - البخاريُّ - كِتَابُ الصَّلاَةِ - بَابُ إِذَا صَلَّى فِي ثَوْبٍ لَهُ أَعْلاَمٌ وَنَظَرَ إِلَى عَلَمِهَا – (ج١ ، ص٨٤) ، مسلم - كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ - بَابُ كَرَاهَةِ الصَّلَاةِ فِي ثَوْبٍ لَهُ أَعْلَامٌ – (ج١ ، ص ٣٩١) .

٣ ابن عبد البر – يوسف بن عبد الله – **الاستذكار** – تحقيق سالم محمد عطا ، محمد علي معوض - دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢١هـ - (ج١ ، ص ٥٣٢) .

تعليل السبب وهو أنَّه ألهاه في صلاته ، وهو من تمام المعالجة الشعوريَّة النبويَّة بصورتها الدقيقة .

المعالجة الشعورية اللفظيَّة العمليَّة :

في هذا التطبيق تلتقي صورة المعالجة اللفظيَّة والعمليَّة بصورتها المتكاملة ، لتحقّق درجةً كبيرةً من التوافق النفسيِّ الوجدانيِّ في ذات الشخص ، لذا فإننا سنلمح في الأمثلة القادمة عمق الأسى الذي أصاب من وجِّهت إليه هذه الصورة من صور التعامل ، مما يدلُّ على أنَّ المعالجة الشعوريَّة النبويَّة راعت درجة الأذيَّة الشعوريَّة عند توجيه العلاج .

من الأمثلة المباشرة التي تقدمها السنَّة في هذا التطبيق ما كان من فعل النبيِّ ﷺ مع أبناء جعفر ﷺ بعد استشهاده ، (... ثُمَّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ – ثَلاثًا – أَنْ يَأْتِيَهُمْ ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ : لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ ، ادْعُوا إِلَيَّ ابْنَيْ أَخِي ، قَالَ : فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ ، فَقَالَ : ادْعُوا إِلَيَّ الْحَلاقَ ، فَجِيءَ بِالْحَلاقِ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا ، فَقَالَ : اللهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ قَالَهَا ثَلاثَ مِرَارٍ ، قَالَ : فَجَاءَتِ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا ، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ ، فَقَالَ :

الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟!)[1] . لقد جمع هذا الموقف جملة من صور المعالجة العمليَّة واللفظيَّة التي وجِّهت لزوجة وأبناء جعفر ﷺ ، فمن المعالجات العملية قدوم النبيِّ ﷺ لبيتهم ، وتفقد أحوالهم ، وحلاقة رؤوسهم ، والأخذ بالأيدي ، وأما المعالجة اللفظيَّة فقد شملت الثناء عليهم بأسمائهم ، والدعاء لهم ، ومواساة زوجة جعفر بعد شكواها وخوفها العيلة .

لقد اجتمعت هذه المعالجات الشعوريَّة المتعددة في هذا المثال ، نظراً لحال اليتم التي أصابت هؤلاء الصغار ، وشدة حاجتهم في هذه اللحظات إلى تضميد الجروح ، وتسلية القلوب ، فكان هذا التفوّق النبويُّ الذي دلَّ على أهميَّة مراعاة المشاعر الإنسانيَّة في جميع الأوقات .

ومن الأمثلة على هذا المنحى كذلك حديث أبي سعيد ﷺ قال : (خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، قَالَ : فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ قَالَ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ خَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُخَيَّرَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ

---

١ (**صحيح**) رواه أحمد في مسنده (ج٢ ، ص٢٧٩) من حديث وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي يعقوب ، عن الحسن بن سعد ، وهذا إسناد صحيح رواته رواة الشيخين غير الحسن بن سعد فمن رجال مسلم .

النَّاسِ خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ أَوْ مَوَدَّتُهُ ، لَا يَبْقَى بَابٌ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ)[1].

يُظهر هذا النص صورة من صور المعالجة الشعوريَّة العمليَّة واللفظيَّة ، فبعد أن لمح النبيُّ ﷺ تأثر أبي بكر ﷺ وبكائه حُزنًا على قرب وفاة النبيِّ ﷺ ، مدح النبيُّ ﷺ أبا بكر ، ذاكراً شيئاً من مناقبه المتوافرة ، ثمَّ بيَّن محبته الخاصة التي فاقت محبَّة جميع الصحابة ، حتى كادت أن تبلغ الخُلَّة ، وهي أعلى درجات المحبَّة ، ثمَّ توَّج النبيُّ ﷺ معالجته مشاعر أبي بكر بأمر عمليٍّ له أثرٌ مستمرٌّ ، وهو أمره بسدِّ جميع الأبواب إلى المسجد عدا باب أبي بكر ﷺ . إنَّ هذا الأسلوب الفريد في تنمية المشاعر الإنسانيَّة ، يدلُّ على عمق الفهم الشعوريِّ لنفسيَّة أبي بكر ، والقدرة المباشرة على إدراك المشاعر السيِّئة في لحظاتها الأولى ومن ثمَّ السعي في علاجها

[1] رواه الشيخان – البخاري – كِتَابُ الصَّلَاةِ – بَابُ الخَوْخَةِ وَالمَمَرِّ فِي المَسْجِدِ – (ج١،ص١٠٠) ، مسلم - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ- بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ – (ج٤ ، ص ١٨٥٤) .

المبحث الرابع

نقد الموقف الشعوريّ

من التطبيقات الهامّة التي نلمحها في الهدي النبويّ الشعوريّ ، النقد المباشر للمواقف الشعوريّة المختلفة ، فقد كان النبيُّ ﷺ يرصد التعامل مع المشاعر ممن حوله ، وينقد هذه المواقف نقداً مباشراً ، فيمدح التعامل السليم مع المشاعر ، ويصوّب التعدي على الشعور الإنسانيّ بأيّ أذيّة .

وفي هذا المبحث نقف مع بعض صور النقد النبويّ للتعامل الشعوريّ ، والذي يهدف لرسم منهجٍ عام ، يقوم على مراعاة المشاعر الإنسانيّة بصورتها المتكاملة .

الموقف الأول : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ ، فَأَغْلَظَ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : دَعُوهُ ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا ، ثُمَّ قَالَ : أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ ، فَقَالَ : أَعْطُوهُ ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً)[1] . نهى النبيُّ ﷺ في هذا المثال عن التعرض لهذا الرجل ، مع إغلاظه القول لرسول الله ﷺ ، " قوله : فهمَّ به أصحابه ، أي : قصدوه ليؤذوه باللسان أو باليد أو غير ذلك "[2] وعلّل النبي ﷺ ذلك بأنَّ الرجل

---

١ رواه الشيخان - البخاريُّ في صحيحه - كِتَاب الوَكَالَةِ - بَابُ الوَكَالَةِ فِي قَضَاءِ الدُّيُونِ – (ج٣ ، ص٩٩) – مسلم - كِتَابُ الطَّلَاقِ - بَابُ مَنِ اسْتَسْلَفَ شَيْئًا فَقَضَى خَيْرًا مِنْهُ ، وَخَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً – (ج٣ ، ص ١٢٢٥) .

٢ العيني - عمدة القاري شرح صحيح البخاري – (ج١٢ ، ص١٣٦) .

صاحبُ حاجةٍ ، وهذه الحاجة تقود إلى المراعاة في التعامل خشية الأذيَّة الشعوريَّة ، (دَعوهُ : أي أتركوه ولا تتعرضوا له ، وهذا من غاية حِلمه ، وحسن خلقه ﷺ)[١].

يمثِّل هذا الموقف نقداً مباشراً من النبيِّ ﷺ لصورة التعامل مع هذا الرجل بما يؤذي مشاعره ، ثم أشار إليهم معلِّلا سلوك الرجل بحاجته ، ومن ثمَّ أمرهم بالإحسان له تنميةً لمشاعره ، ورفعا لما أصابه من سوء تعاملٍ من هؤلاء .

الموقف الثاني : (عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ : مَهْ مَهْ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ ، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ : فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ)[٢].

تعامل الصحابة الكرام في هذا الموقف مع الأعرابي بشدَّة ، كما يظهر من مجموع النصوص التي تدل على أنَّ الأعرابيَّ تعرض لأذيَّة شعوريَّة لفظيَّة وعمليَّة ، متمثلة بزجره والإغلاظ عليه ، فجاء النقد النبويُّ لجملة هذه الأعمال بالنهي عن

١ المرجع السابق – (ج١٢ ، ص١٣٦) .

٢ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابِ الطَّهَارَةِ - بَابُ وُجُوبِ غُسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا – (ج١،ص٢٣٦).

زجره وقطع بوله ، ثمَّ بيَّن النبيُّ ﷺ للصحابة عملياً الطريق الصحيح في معالجة الخطأ بالنصح والموعظة الحسنة ، واعتبار حال الأعرابي وبيئته ، التي أدَّت إلى مثل هذا السلوك .

الموقف الثالث : (عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ ، تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثٍ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي ، وَقَالَ : مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : دَعْهُمَا)[1].

في هذ المثال توجيهٌ نبويٌّ رشيد لأبي بكر ﷺ في تعامله مع الجواري اللاتي يلعبن في الدُفِّ في بيت رسول الله ﷺ ، فقد وجَّه أبو بكرٍ لومه الشديد لعائشة ﷺ ممَّا شكَّل أذيَّة شعوريَّة ، خاصَّة أنه يوم عيد ، يسنُّ فيه التوسعة على الأهل ، وإدخال السرور عليهم بكلِّ ما هو مباح ، فجاء النقد النبويُّ المباشر بقوله : " دعهما فإنَّ اليوم عيد " .

الموقف الرابع : (عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ ، قَالَ : رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا ، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدًا ، فَقُلْتُ : لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً ، وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ ، فَقَالَ : كَانَ بَيْنِي

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ مَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ المَدِينَةَ – (ج٥،ص٦٧) ، مسلم - كِتَابُ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ - بَابُ الرُّخْصَةِ فِي اللَّعِبِ الَّذِي لَا مَعْصِيَةَ فِيهِ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ – (ج٢ ، ص ٦٠٩) .

وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلاَمٌ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً ، فَنِلْتُ مِنْهَا ، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لِي: أَسَابَبْتَ فُلاَنًا ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ)[1].

نلحظ في هذا الموقف النقد الشديد من النبيِّ ﷺ للتعامل السيِّء مع المشاعر ، وذلك لأن صورة الأذيَّة الشعوريَّة هنا قد بلغت درجة كبيرة ، من خلال توجيه السب والشتم للأم ، ولذا قال النبيُّ ﷺ : " إنك امرؤ فيك جاهلية " وفي الحديث فائدة ضرورة التثبت قبل إطلاق الحكم .

الموقف الخامس : (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟ قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ)[2] .

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الأَدَبِ - بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ – (ج٨،ص١٦) ، مسلم - كِتَابُ الْأَيْمَانِ - بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ، وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مَا يَغْلِبُهُ – (ج٣ ، ص ١٢٨٣) .

٢ (**حسن**) رواه أحمد في مسنده – (ج٧ ، ص٩٩) من حديث عبد الصمد ، وحسن بن موسى عن حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، وهذا سند جيد رواته ثقات ، من أجل عاصم بن أبي النجود ، قال الذهبيُّ : (كان عاصم ثبتا في القراءة ، صدوقا في الحديث ، وقد وثقه أبو زرعة ، وجماعة ، وقال أبو حاتم : محله الصدق) الذهبيُّ – محمد بن أحمد – سير أعلام النبلاء – تحقيق شعيب الأرناؤوط – (ج٥ ، ص٢٦٠) – مؤسسة الرسالة – ط٣ – ١٩٨٥م .

إنَّ ضحك الصحابة الكرام من جسد ابن مسعود ﷺ قد يقود إلى أذيَّة شعوريَّة محتَّمة ، لذا سارع النبيُّ ﷺ لنقد هذا الموقف بأسلوب حكيم مبنيٍّ على ركنين :

الأوَّل : تنبيه الصحابة إلى خطأهم الموقفيِّ ، فقال : " أتعجبون من دقَّة ساقيه ؟ " وفي رواية " ممَّ تضحكون ؟ "

والثاني : معالجة مشاعر ابن مسعود ﷺ معالجةً مباشرةً ، بذكر قيمة معنويَّة أخرويَّه ، وهي ثقل المؤمن بأعماله عند الله عز وجل .

ومن صور النقد النبويِّ الشعوريِّ : نقد السلوكيات الناتجة عن المشاعر الحسنة : مثال ذلك ما جاء في قصة توبة كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ : (.... فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ . قُلْتُ : فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا ، مَا بَقِيتُ)[1] .

لقد تنامت مشاعر الفرح في نفس كعبٍ ﷺ بعد توبة الله عليه ، فتصدَّق بكلِّ ماله لله تعالى ، فما كان من النبيِّ ﷺ إلاَّ أن أنكر عليه ذلك ، وأمره بإمساك بعض

---

١ رواه الشيخان - البخاري - كِتَابُ المَغَازِي - بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، وَقَوْلُ اللَّهِ ﷻ : (وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) - (ج٦ ، ص٣) ، مسلم - كتاب التَّوْبَةِ - بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ - (ج٤،ص٢١٢٠) .

ماله عليه ، وهذا المنحى يدلُّ على أنَّ المشاعر المتعاظمة للشَّخص ، ينبغي أن لا تولِّد سلوكاً متسرعاً يقود إلى تغليب الجانب الشعوريِّ على العقليِّ ، فهي دعوةٌ نبويةٌ لتناغم الفكر مع الشعور في قيادة السلوك الإنسانيِّ نحو التوازن .

المبحث الخامس

اعتبار جانب التفاوت الشعوريِّ

يشكِّل كلُّ إنسانٍ على وجه هذه البسيطة وحدة متكاملة من المشاعر ، يتميز بها عن غيره ، ويختلف من خلالها عن أبناء جنسه ، والمشاعر نفسها في ذات الشخص تختلف في نوعها وحدَّتها ، مما يوجب نوع تعامل خاصٍّ مع كلِّ إنسانٍ بحسبه .

وقد أشارت السنَّة النبويَّة للتفاوت الشعوريِّ في أصل خلقة الإنسان ، والذي يدل على التنوع الكبير في المشاعر الإنسانيَّة من حيث النوع والدرجة ، قال رسول الله ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ : جَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ ، وَالْأَبْيَضُ ، وَالْأَسْوَدُ ، وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَالسَّهْلُ ، وَالْحَزْنُ ، وَالْخَبِيثُ ، وَالطَّيِّبُ)[1]

---

١ (**صحيح**) رواه أبو داود في سننه - كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي الْقَدَرِ – (ج٤ ، ص ٢٢٢) ، والترمذي في سننه – أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَابٌ : وَمِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ (ج٢،ص٢٠٤) ، وأحمد في مسنده – (ج٣٢ ، ص٣٥٣) كلهم من رواية يحيى بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة عن قسامة بن زهير – وهذا إسناد رواته ثقات .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ : الْحِلْمُ، وَالأَنَاةُ)[1] .

إنَّ السنَّة النبويَّة تُظهر تفوقًا واضحًا في هذا الجانب ، من خلال التنبُّه له نظرياً والدعوة لمراعاته عمليًا ، ومن هذا المنطلق وضعت السنَّة النبويَّة كثيرًا من القواعد التي تضبط هذا التفاوت الشعوريَّ بين الناس ، كما سنرى في تحليل المواقف التالية:

أولاً : دعت السنَّة النبويَّة إلى اعتبار التفاوت الشعوريِّ بين النَّاس ، والتعامل معهم وفق حاجاتهم الشعوريَّة المختلفة فعن (عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ ، لَابِسٌ مِرْطَ[2] عَائِشَةَ ، فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ كَذَلِكَ ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، قَالَ عُثْمَانُ : ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَجَلَسَ ، وَقَالَ لِعَائِشَةَ : اجْمَعِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ ، فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللهِ مَالِي لَمْ أَرَكَ فَزِعْتَ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

١ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الْإِيمَانَ - بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ – (ج١ ، ص٤٨) .

٢ هو اللباس يكون من صوف أو خزٍّ أو غيره (ابن الأثير - **النهاية في غريب الحديث والأثر** – (ج٤،ص٣١٩) .

، كَمَا فَزِعْتَ لِعُثْمَانَ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ)[1] .

والشاهد هنا هو ما كان من تعامل النبيِّ ﷺ مع عثمان ﷺ بخصوصيَّة تخالف غيره من الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولما استشكلت عائشة رضي الله عنها هذا السلوك ، كان التعبير النبويُّ : (إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ) ." أي إن أذنت له في تلك الحالة أخاف أن يرجع حياءً منِّي عندما يراني على تلك الهيئة ، ولا يعرض علي حاجته لغلبة أدبه وكثرة حيائه "[2] ، بمعنى أن هناك تفاوتًا في شعور الحياء بين الثلاثة ، ناسبه زيادة تحفُّظ مع الأخير ، بهدف إيجاد جو يتناسب مع هذا الشخص ليحقق الاستقرار الشعوريِّ الذي يقود إلى السلوك الطبيعيِّ ، بأن يبلغ في حاجته أي يطلب ما يريد من غير حياء .

ثانياً : (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُهْدِيَتْ لَهُ أَقْبِيَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ ، مُزَرَّرَةٌ بِالذَّهَبِ ، فَقَسَمَهَا فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَعَزَلَ مِنْهَا وَاحِدًا لِمَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ - (ج٤ ، ص١٨٦٦) .

٢ القاري – علي بن سلطان – **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** – دار الفكر – بيروت – ط١ – ص ١٤٢٢هـ - (ج٩ ، ص ٣٩١٨) .

، فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنُهُ المِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ ، فَقَامَ عَلَى البَابِ ، فَقَالَ : ادْعُهُ لِي ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَهُ ، فَأَخَذَ قَبَاءً ، فَتَلَقَّاهُ بِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ بِأَزْرَارِهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا المِسْوَرِ ، خَبَأْتُ هَذَا لَكَ ، يَا أَبَا المِسْوَرِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ ، وَكَانَ فِي خُلُقِهِ شِدَّةٌ) [1].

قال ابن بطَّال : " وفيه ما كان عليه النبيُّ ﷺ من كريم الخُلق ، ولين الكلمة ، والتواضع ، ألا ترى أنَّه استقبل مخرمة بأزرار القباء ، وكنَّاه مرتين ، وألطف له فى القول ، وأراه إيثاره باعتناءه به فى مغيبه ؛ لقوله : (خبَّأت لك هذا) لِما علم من شدَّة خُلُقه ، فترضَّاه بذلك ، فينبغى الاقتداء به فى فعله ﷺ " [2] .

نعم ، ينبغي الاقتداء به في هذا التعامل المخصوص المبنيّ على دراسةٍ شعوريَّةٍ معمَّقة لنفسيَّة مخرمة الصَّعبة ، والتي تحتاج إلى عنايةٍ شعوريَّة خاصة ، برزت بالسلوكيات النبويَّة التي أشار إليها ابن بطال في كلامه السابق ، ويلفت هذا الحديث الأنظار إلى أهميَّة فهم هذا التفاوت في تكوين منهج التعامل مع المقابل ، من خلال فهم درجة مشاعره المعيَّنة وطبيعتها ، مما يعين على التصوُّر السليم في كلِّ موقف. ويبلغ قمَّة التفوّق النبويِّ في إبراز قيمة اعتبار التفاوت الشعوريِّ مبلغه ، في ما كان من تلك الرؤية التي قصها النبيُّ ﷺ على عمر ﷺ : (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ - بَابُ قِسْمَةِ الإِمَامِ مَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ ، وَيَخْبَأُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ أَوْ غَابَ عَنْهُ – (ج٤ ، ص٨٦) ، مسلم – كتاب الزكاة - بَابُ إِعْطَاءِ مَنْ سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ – (ج٢ ، ٧٣١) .

٢ ابن بطال – علي بن خلف - **شرح صحيح البخاري** - ص (ج٥ ، ص٢٨٦) .

فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا ، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ : أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟) [1] .

نعم إنَّه التميُّز النبويُّ الشعوريُّ ، مراعاة للمشاعر ، وتنبُّها للنفسيات ، وحفظاً للحقوق الشعوريَّة ، لتكون الثمرة عَبَراتٌ غاليات من الفاروق ﷺ : (أوعليك أغار يا رسول الله) ، فأين تجد هذا التميز في مراعاة المشاعر ، وفهمها ، وبناء العلاقات المختلفة على أساسها المتين هذا ، إلاَّ في هدي المصطفى ﷺ .

المبحث السادس

بيان وسائل التعبير عن المشاعر

لا شكَّ أنَّ التعبير الشعوريَّ له كثيرٌ من الوسائل التي يستطيع الإنسان من خلالها إيصال رسالته الشعورية بوضوح ويسر ، وفي المنهج النبويِّ الشعوريِّ بيان وسائل التعبير عن المشاعر ، أو ما يمكن تسميته بـ (وسائل التعامل الشعوريِّ) ، وهي كثيرةٌ مبثوثة في جملة تعامله ﷺ مع المشاعر .

ومن الملاحظ في جملة التعاملات النبويَّة مع المشاعر أنَّها أصَّلت لكثيرٍ من الوسائل الموصلة للتعبير عن المشاعر الحسنة ، والتي تهدف لتنمية المشاعر الطيِّبة

---

١ رواه الشيخان ، البخاريُّ - كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ - بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ ـ (ج٤،ص ١١٧) ، مسلم - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ ﷺ ـ (ج٤،ص١٨٦٣) .

بين الناس ، كما حذَّر هذا المنهج من أيِّ وسيلة توصل رسالةً شعوريَّة سيِّئة . ومن ثمَّ جعل لهذه الوسائل الشعوريَّة قيمةً شرعيَّةً ، ورفعها إلى درجة التعبد ، بتحصيل الأجر الأخرويِّ ، مما كان له أعظم الأثر في الاستقرار الشعوريِّ العام في المجتمعات ، وبنائها على التعاطف الموصل إلى الأمن المجتمعي بصورته المتكاملة.

وقد كان النبيُّ ﷺ يحاور صحابته حول كثير من المفاهيم الشعوريَّة المشتهرة ، ويصحِّح لهم هذه المفاهيم ، ويلفت أذهانهم إلى المعنى الأصح ، فعن ابن مسعود ﷺ قال : (قال رسول الله ﷺ : فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ ؟ قُلْنَا : الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ ، قَالَ : لَيْسَ بِذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)[1] ، فهذا المعنى المعاكس في تصوُّر كثيرٍ من النَّاس ، هو الذي يعني ضبط النَّفس ، والتحكُّم بالمشاعر المتفلتة ، التي قد تقود إلى سلوكيات سيِّئة في نهاية المطاف .

ومن وسائل التعبير عن المشاعر الحسنة التي نلمسها في التطبيق النبويِّ الشعوريِّ ، والتي تهدف لتنمية المشاعر الحسنة في المجتمع المسلم :

أولاً : إلقاء السَّلام : فقد حض النبيُّ ﷺ على إفشاء السلام بين المسلمين ، وبيَّن أثر ذلك في تنمية المشاعر الحسنة بين النَّاس : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ :

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ - (ج٤ ، ص٢٠١٤) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)[1] ، فإفشاء السَّلام وسيلةٌ من وسائل تحصيل المحبَّة ، وهي كذلك من طرق التعبير عن المشاعر الحسنة الكامنة في النَّفس الإنسانيَّة .

ثانياً : الابتسامة : وهي من أهمِّ وسائل استمالة القلوب ، كما أنَّها من أسهل الوسائل الشعوريَّة وأسرعها في إرسال رسائل حسنة ، ولذا جاء الاهتمام بها بصورة واسعة في المنهج النبويِّ ، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)[2] . و(عَنْ جَرِيرٍ ﷺ قَالَ : مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي)[3] ، ولذا رفع المنهج النبويُّ من قيمة هذه

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كِتَابُ الْإِيمَانَ - بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ ، وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبًا لِحُصُولِهَا – (ج١ ، ص٧٤) .

٢ (**حسن**) رواه الترمذيُّ في صحيحه - أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - بَابٌ فِي بَشَاشَةِ النَّبِيِّ ﷺ (ج٥ ، ص٦٠١) – وأحمد في مسنده – (ج٢٩ ، ص ٢٤٥) بسند صحيح رجاله ثقات إلا ابن لهيعة ، روى عنه هذا الحديث عبد الله بن المقرئ وابن المبارك ، وروايتهما عنه صحيحه ، قال الفلاَّس : (من كتب عنه – يعني ابن لهيعة – قبل احتراق كتبه مثل ابن المبارك ، والمقرئ ، فسماعه أصحُّ) الذهبيُّ – محمد بن أحمد – ميزان الاعتدال في نقد الرجال – (ج٢ ، ص٤٧٧) – تحقيق علي محمد البجاوي – دار الطباعة للنشر- بيروت – ط١ – ١٩٦٣م .

٣ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ – بَابُ مَنْ لاَ يَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ – (ج٤،ص٦٥) ، مسلم - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ- بَابُ مِنْ فَضَائِلِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ – (ج٤،ص ١٩٢٥) .

الابتسامة ، حتى عدَّها من باب العبادات التي يؤجر عليها المسلم ، لما لها من أثر كبير في بث دفء المشاعر بين المسلمين .

ثالثاً : الهديَّة : وهي أيُّ نفع ماديٍّ يوصله الإنسان لأخيه على وجه الهبة ، بقصد إظهار المودَّة والمحبَّة ، فهي تزيد من المشاعر الحسنة بين المتهاديين ، ولها أثرٌ عجيب على المشاعر ، تزيد المحبَّة ، وترفع الوحشة ، وترقق القلوب ، وتصفِّي النفوس ، ولذا كان النبيُّ ﷺ يحضُّ على الهديَّة ولم يكن قطُّ يردُّ الهديَّة ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (لَوْ أُهْدِيَتْ لِي ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ)[1] ، (وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا)[2] .

رابعاً: التزاور : وهي من وسائل تحصيل المحبَّة ، وتنمية المشاعر الحسنة بين المسلمين ، ولذا رتَّب النبيُّ ﷺ عليها الأجر الكبير ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ ، قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، قَالَ : هَلْ

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا - بَابُ القَلِيلِ مِنَ الهِبَةِ – (ج٣ ، ص١٥٣) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا - بَابُ المُكَافَأَةِ فِي الهِبَةِ – (ج٣ ، ص١٥٧) .

لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)[1] .

ولما كان المنهج النبويُّ جزءً من المنهج الإسلاميِّ العام ، القائم على تحقيق عبوديَّة الله ، فقد بيَّن هذا المنهج ما يباح وما يحرم من وسائل التعبير عن المشاعر ، فكما أقرَّ الوسائل الشعوريَّة السابقة ، فإنَّه حرَّم بعض الوسائل التي يعبِّر الإنسان فيها عن مشاعره ، فمن ذلك – على سبيل المثال – نهي النبيِّ ﷺ عن بعض وسائل التعبير عن المشاعر السيِّئة عند المصيبة :

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال النبي ﷺ : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ)[2] .

و (عن أَبِي بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى ﷺ ، قَالَ : وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا شَدِيدًا ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ ،

---

١ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَابٌ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ – (ج٤،ص ١٩٨٨) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجَنَائِزِ – بَابٌ لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الجُيُوبَ – (ج٢،ص٨١).

قَالَ : أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ [1] وَالحَالِقَةِ [2] وَالشَّاقَّةِ [3]) [4] .

فهذا تنبيه حكيم على وسائل التعبير الشعوريَّة التي فيها إسرافٌ وتعدِّي ، كلطم الخدود ، وشقِّ الجيوب ، وحلق الشعر عند المصيبة ، لأنَّها تدلُّ على التسخُّط على أقدار الله من جهة ، وتثمر جملةً من السلوكيات السيِّئة من جهة أخرى .

وقد كان ﷺ يفرِّق بين الجائز والمحرم في الوسيلة الشعوريَّة الواحدة ، فـ (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ ، فَقَالَ : قَدْ قَضَى . قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا ، فَقَالَ : أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ

---

١ (الصلق : الصَّوت الشديد ، يريد رفعه في المصائب ، وعند الفجيعة بالموت ، ويدخل فيه النوح) ابن الأثير – النهاية في غريب الأثر والرواية – (ج٣ ، ص٤٨) .

٢ (الحالقة : التي تحلق شعرها عند المصيبة) الزمخشري – محمود بن عمرو – تحقيق علي محمد البجاوي / محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – لبنان – ط٢ – (ج١ ، ص ٣٠٦).

٣ (أي التي تشقُّ جيبها عند المصيبة ، ومنه شقُّ الجيب) ابن حجر – فتح الباري – (ج١،ص١٤٠) .

٤ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ الحَلْقِ عِنْدَ المُصِيبَةِ – (ج٢،ص٨١) .

بِهَذَا – وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ – أَوْ يَرْحَمُ)[1] ، فقد بيَّن هنا أنَّ البكاء كوسيلة للتعبير عن المشاعر مباحة ، ما لم يتعدَّ ذلك إلى القول أو الفعل الذي يدلُّ على التسخط .

وكان النبيُّ ﷺ يميل إلى اللين والرفق كوسيلة من وسائل التعبير الشعوريِّ ، وينقد كلَّ وسيلة فيها من العنف ما يصيِّرها سبيلاً إلى السلوك العدواني المتشدد ، (عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكَ ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ : عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَقَدْ قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ)[2].

وكان النبيُّ ﷺ يؤيِّد وينمِّي كلَّ وسيلةٍ حسنةٍ من وسائل التعبير عن المشاعر ، ويثني على كلِّ شخصٍ ينجحُ في ضبط مشاعره وحسن إدارتها ، مثال ذلك ما كان في قصَّة أمِّ سُليم رضي الله عنها عند وفاة ابنها فعن (أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ ، يَقُولُ: اشْتَكَى ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ ، قَالَ : فَمَاتَ ، وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ ، فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا ، وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ البَيْتِ ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ : كَيْفَ الغُلاَمُ ، قَالَتْ : قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ ،

---

١ رواه الشيخان - البخاريُّ - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ البُكَاءِ عِنْدَ المَرِيضِ – (ج٢ ، ص٨٤) ، مسلم - كِتَابُ الجنائز - بَابُ البُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ – (ج٢ ، ص٦٣٦) .

٢ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الدَّعَوَاتِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : يُسْتَجَابُ لَنَا فِي اليَهُودِ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا – (ج٨ ، ص٨٥) .

قَالَ : فَبَاتَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا ، قَالَ سُفْيَانُ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ : فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلَادٍ ، كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ)[1] .

في هذا المثال تفوّق أمّ سليم رضي الله عنها في ضبط مشاعرها الذاتيّة ، وحسن تعاملها مع مشاعر زوجها ، لإنّه كان يحبُّ ابنه حباً شديداً ، لقد تجسد تعامل أم سليم الشعوريّ في استخدام الوسائل التالية :

أولاً : التمهيد الشعوريّ الذاتيّ عن طريق الإشباع الجسديّ والعاطفيّ ، والتدرج في إخباره ، مما قاد إلى تقبل هذا الأمر بصورة طيّبة .

ثانياً : حسن الإقناع العقليّ المبنيّ على اغتنام عقيدة الإيمان بالقدر ، والذي يقود إلى التقبل النفسيّ للأمر .

لقد أيّد النبيُّ ﷺ هذا الأسلوب ، وأثنى عليه ، ودعا لهما بالبركة ، وكلٌّ هذا يدلُّ على إقرار السنَّة النبويّة لكل تعاملٍ سليمٍ مع المشاعر الإنسانيَّة ، ينميها ويقودها نحو الخير والصلاح .

---

١ رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ مَنْ لَمْ يُظْهِرْ حُزْنَهُ عِنْدَ المُصِيبَةِ - (ج٢،ص٨٢) .

المبحث السابع

العدل الشعوريُّ

العدل الذي جاء به الإسلام عدلٌ عامٌ وشاملٌ لكل مناحي الحياة وجوانبه ، وكلّما كان العبد أرفع إيمانًا ، وأصدق اتباعًا ، حقَّق العدل في جميع جوانب حياته .

ومن الجوانب الهامَّة التي دعا إليها المنهج النبويُّ الشعوريُّ ، والذي يغفل عنه الكثير مع أهميته ، وسعة تطبيقاته ، هو ما يمكننا تسميته بـ (العدل الشعوريّ) ، وأقصد به :

أولاً : العدل في صرف المشاعر عند وجود المتماثلين كالزوجات والأبناء وغيرهما .

ثانياً : عدم اختصاص المتساويين بشيء يميزه عن الثاني ، خشية أذيَّة مشاعره .

فمن صور العدل الشعوريِّ الذي يؤصله المنهج النبويُّ ، العدل في التصريح بالمشاعر الحسنة ، وعدم توجيهها للبعض دون الآخرين : (عَنْ البَرَاءِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَبْصَرَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا)[1] .

ومنه العدل العمليُّ الذي يظهر من خلال المساواة الشعوريَّة ، بعدم تفضيل البعض بنوع تعاملٍ أو عطاءٍ : (عن أَبِي بُرَيْدَةَ ﷺ قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

[1] رواه البخاريُّ في صحيحه - كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ مَنَاقِبِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - (ج٥ ، ص٢٦) .

يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ المِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : " صَدَقَ اللَّهُ ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[1] نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا)[2] .

(عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ، قَالَ : وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي ، قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ[3])[4] .

---

١ سورة التغابن ـــ آية (١٥) .

٢ (**حسن**) رواه الترمذيُّ في سننه - أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ـــ (ج٥،ص٦٥٨) ، والنسائي في سننه - كِتَابُ الْجُمُعَةِ - نُزُولُ الْإِمَامِ عَنِ الْمِنْبَرِ قَبْلَ فَرَاغِهِ مِنَ الْخُطْبَةِ ـــ (ج٣ ، ص١٩٢) ، وابن ماجه في سننه - كتاب اللباس - باب لبس الأحمر للرجال ـــ (ج٢ ، ص ١١٩٠) ، وأحمد في مسنده (ج٣٨ ، ص١٠٠) ، بسند صحيح رواته ثقات رواة الصحيح ، غير علي بن الحسين بن واقد ، صدوق حسن الحديث .

٣ (بِضَم الْجِيم وهمزة بعْدهَا ، وَيجوز ترك الْهَمْز ، السَّفط الَّذِي فِيهِ مَتَاع الْعَطَّار) السيوطي - **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج** - (ج٥ ، ص٣٢٥) ، أي ما يضع فيه العطّار طيبه ، وهذا كناية عن طيب الرائحة .

٤ رواه مسلم في صحيحه - كتاب الْفَضَائِلِ - بَابُ طِيبِ رَائِحَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِينِ مَسِّهِ وَالتَّبَرُّكِ بِمَسْحِهِ ـــ (ج٤ ، ص١٨١٤) .

في هذين المثالين نلحظ بوضوح التساوي في المعاملة بين القرينين سواءً بالحمل أو مسح الخدِّ أو المزاح ، وهذا العدلُ هو الذي يؤدِّي إلى الموافقة الشعوريَّة بين المتماثلين ، وعدم جرح المشاعر من جرَّاء الشعور بالنقص ، أو تفضيل الغير .

لقد أثبتت الدراسات الحديثة أنَّ الظلم الشعوريَّ له أثرٌ تربويٌّ سيٌّء على الأبناء " فعدم العدل بين الأبناء في الحبِّ ، ينتج عنه الحقد والحسد والانتقام والكراهية ، وهذا السلوك ينتج من الأبناء الذين ينالون الجانب الأقلَّ من الحبِّ الأبويِّ ، أمَّا الذي ينال الجانب الأكبر من الحبِّ الأبويِّ ، فإنَّه يتولد لديه الأنانية والكبر والغرور ، هذا بالإضافة إلى ما قد تسببه التفرقة في المعاملة العاطفيَّة السلبيَّة ، المتمثلة في التفضيل بين الأبناء من عُقد نفسيَّة وأمراض وجدانيَّة قد تعرِّضهم للانحراف " [1] .

ومن صور العدل الشعوريِّ الذي يظهر في التطبيقات النبويَّة ، العدل بين الزوجات في ظاهر التعامل والعطاء ، وعدم تخصيص بعضهنَّ بشيء دون الأخريات ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ ، يَمِيلُ لِإِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجُرُّ أَحَدَ شِقَّيْهِ سَاقِطًا أَوْ مَائِلًا)[2] .

---

١ أبو مصطفى – علاء الدين – **معالم التربية الوجدانية في الكتاب والسنة** – ص (٥٨) .

٢ (**صحيح**) رواه أبو داود في سننه - كِتَاب النِّكَاحِ - بَابٌ فِي الْقَسْمِ بَيْنَ النِّسَاءِ- (ج٢،ص٢٤٢) ، والنَّسائي في سننه - كِتَابُ عِشْرَةِ النِّسَاءِ - مَيْلُ الرَّجُلِ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ دُونَ بَعْضٍ – (ج٧ ، ص٦٣) ، وابن ماجه في سننه - كتاب النكاح - باب القسمة بين النساء – (ج١،ص٦٣٣) ، بسند صحيح رجاله ثقات .

ولذا كان النبيُّ ﷺ أعدل النَّاس بين زوجاته ، مع سبق حبه لعائشة رضي الله عنها ، فيقرع بينهن ، ويأتي كلَّ واحدة في يومها ، ولا يقبل أن يحيف على واحدةٍ منهنَّ ، حتى في مرض موته ، لم يمرَّض في بيت عائشة ، إلاَّ بعد إذن زوجاته له ، ورضاهنَّ بذلك :

(عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ : إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ : أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ ، أَيْنَ أَنَا غدًا ، اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي ، قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدُفِنَ فِي بَيْتِي)[1] . وهذا المنحى يدلُّ على واقعيَّة المنهج النبويِّ الشعوريِّ ، فإنَّ الميل القلبيَّ الشعوريَّ لأحدهم دون الآخر لا يملكه الإنسان ، فلا يؤاخذ عليه ، وإنما يطلب منه العدل في ما هو مقدور عليه من العدل الظاهريِّ الذي لا يضيعُ حقاً ، ولا يجرح شعوراً .

قال الخطابيُّ : " في هذا دلالة على توكيد وجوب القسم بين الضرائر الحرائر ، وإنَّما المكروه من الميل هو ميل العِشرة الذي يكون معه بَخس الحقِّ ، دون ميل القلوب فإن القلوب لا تُملك "[2] .

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الجَنَائِزِ - بَابُ مَا جَاءَ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – (ج٢ ، ص١٠٢) – مسلم - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا – (ج٤ ، ص ١٨٩٣) .

٢ الخطابيُّ – **معالم السنن** – (ج٣ ، ص٢١٨) .

ومن صور العدل العمليّ الذي يثمر تنميةً شعوريَّة عامَّة ، العدل في إعطاء الحقوق المقرَّرة ، وعدم تجاوز صاحب الحقِّ إلى غيره ، خشية أذية مشاعره ، مثال ذلك حديث أَنَس بن مَالِكٍ ﷺ : (أَنَّهَا حُلِبَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ دَاجِنٌ ، وَهِيَ فِي دَارِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَشِيبَ لَبَنُهَا بِمَاءٍ مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي فِي دَارِ أَنَسٍ ، فَأَعْطَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْقَدَحَ فَشَرِبَ مِنْهُ حَتَّى إِذَا نَزَعَ الْقَدَحَ مِنْ فِيهِ ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ عُمَرُ : وَخَافَ أَنْ يُعْطِيَهُ الأَعْرَابِيَّ ، أَعْطِ أَبَا بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَكَ ، فَأَعْطَاهُ الأَعْرَابِيَّ الَّذِي عَلَى يَمِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ : الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ)[1] . فهذا من تمام العدل النبويِّ في تقديم الأيمن ، وهو صاحب الحقِّ ، صرفًا للنظر عن مكانته أو سنِّه ، وهذا يدعم مشاعر صاحب الحق ، ويدفع عنه أذيَّة شعوريَّة قد تتولد عند تفضيل غيره عليه.

ومثال ذلك : العدل بين الأبناء في العطاء ، فعن جابر ﷺ قَالَ : (قَالَتِ امْرَأَةُ بَشِيرٍ : انْحَلْ ابْنِي غُلَامَكَ ، وَأَشْهِدْ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ ابْنَةَ فُلَانٍ سَأَلَتْنِي أَنْ أَنْحَلَ ابْنَهَا غُلَامِي ، وَقَالَتْ : أَشْهِدْ لِي رَسُولَ

---

١ رواه الشيخان - البخاريُّ - كِتَاب المُسَاقَاةِ - بَابٌ فِي الشُّرْبِ، وَمَنْ رَأَى صَدَقَةَ المَاءِ وَهِبَتَهُ وَوَصِيَّتَهُ جَائِزَةً، مَقْسُومًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مَقْسُومٍ – (ج٣ ، ص١١٠) ، مسلم - كتاب الأَشْرِبَةِ - بَابُ اسْتِحْبَابِ إِدَارَةِ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَنَحْوِهِمَا عَنْ يَمِينِ الْمُبْتَدِئِ – (ج٣ ، ص ١٦٠٣) .

اللَّهِ ﷺ ، فقَالَ : أَلَهُ إِخْوَةٌ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : فَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَهُ ، قَالَ : لَا . قَالَ : فَلَيْسَ يَصْلُحُ هَذَا ، وَإِنِّي لَا أَشْهَدُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ)[1] .

وكان ﷺ يثني على كلِّ صورةٍ من صور العدل بين الأبناء : (عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا ، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ ، فَقَالَ : مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ)[2].

ويقرب من هذا المعنى التفوُّق النبويُّ في مراعاة المشاعر المتعددة في الموقف الواحد بتوازنٍ فريدٍ ، وهو ما يمكننا أن نطلق عليه " مراعاة مشاعر الجميع " ، ويمكننا أن نمثِّل لهذا التطبيق بحديث أبي هريرة : (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : إِنَّ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ ، ثُمَّ عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، ثُمَّ دَارُ بَنِي الْحَارِثِ ، ثُمَّ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ ، فَلَحِقَنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ : أَبَا أُسَيْدٍ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيَّرَ الْأَنْصَارَ فَجَعَلَنَا أَخِيرًا ؟ فَأَدْرَكَ سَعْدٌ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا

---

١ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا - بَابُ الهِبَةِ لِلْوَلَدِ ، وَإِذَا أَعْطَى بَعْضَ وَلَدِهِ شَيْئًا لَمْ يَجُزْ ، حَتَّى يَعْدِلَ بَيْنَهُمْ وَيُعْطِيَ الآخَرِينَ مِثْلَهُ ، وَلاَ يُشْهَدُ عَلَيْهِ – (ج٣ ، ص١٥٢) ، مسلم - كِتَابُ الْهِبَاتِ - بَابُ كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الْأَوْلَادِ فِي الْهِبَةِ – (ج٣،ص ١٢٤١) .

٢ رواه الشيخان – البخاريُّ - كِتَابُ الزَّكَاةِ – بَابٌ : اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ – (ج٢ ، ص١١٠) ، مسلم - كتاب البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ - بَابُ فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ – (ج٤ ، ص ٢٠٢٧) .

رَسُولَ اللَّهِ خُيِّرَ دُورُ الأَنْصَارِ فَجُعِلْنَا آخِرًا ، فَقَالَ : أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الخِيَارِ)[1] .

لقد سلك النبيُّ ﷺ في مدحه للأنصار مسلكاً متعدداً بيّن فيه فضلهم ، وعدَّد في ذكر خيرهم ، ثمَّ ختم بيانه بعموم مدح دور الأنصار جميعاً ، ولك أن تدرك معي الأثر الشعوريَّ المتولد من هذا المدح العام الذي لم يغادر أحداً منهم ﷺ .

١ رواه الشيخان – البخاري - كِتَابُ المَنَاقِبِ - بَابُ فَضْلِ دُورِ الأَنْصَارِ – (ج٥ ، ص٣٣) ، مسلم - كتاب الْفَضَائِلِ - بَابٌ فِي مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ – (ج٤ ، ص ١٧٨٥) .

الخاتمة والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسَّلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

بفضل الله تمَّت فصول هذه الرسالة ، والتي أسأله تعالى أن يبارك فيها ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم .

ومن أهم النتائج التي خلصت إليها في هذه الرسالة :

١. أكدت هذه الرسالة عناية الشريعة الإسلاميَّة بجميع الجوانب الإنسانية الظاهرة والباطنة .

٢. وضَّحت مفهوم الشعور الإنسانيِّ ، ومايزت بينه وبين ما يلتبس به أو يشابهه من مثل الانفعالات والأحاسيس والوجدان .

٣. بيَّنت شمولية الهدي النبويِّ لجميع الجوانب الشعوريَّة التي يحتاجها الإنسان ، بحيث تحقق السنَّة استقلالاً وتكاملاً يغذِّي جميع الجوانب .

٤. أشارت إلى ارتكاز المنهج الشعوريِّ النبويِّ على أصول هذا الدين ، من الاعتقاد السليم ، الذي يولِّد في ذات المسلم المشاعر الحسنة ، وينفي عنه المشاعر السيئة .

٥. تحقق السنَّة النبويَّة من خلال تشريعاتها توازناً شعورياً نفسياً ، يولِّد ثباتاً في قلب المسلم .

٦. أظهر المنهجُ النبويُّ دقةً فائقةً في التعامل مع المشاعر المختلفةِ ، واعتبار التنوع الكبير بينها ، والممايزة بين الناس في هذا الجانب .

٧. امتاز المنهج النبويُّ الشعوريُّ بواقعيته في التعامل الشعوريِّ مع الإنسان ، بعيداً عن القوالب النظرية المدعاة .

٨. رصدت السنَّة النبويَّة صور التعاملات الشعوريَّة الحسنة ، وأشادت بها ، ودعت إليها ، كما حذرت السنَّة النبويَّة من جميع صور الأذية الشعوريَّة اللفظيَّة والعمليَّة.

٩. فاقت السنَّة النبويَّة في طرحها وتكاملها جميع المناهج الأرضيَّة في التأصيلات الشعورية النظرية والعملية .

١٠. أدخلت السنَّة النبويَّة مراعاة المشاعر الإنسانية في باب الاحتساب الذي يؤجر المسلم عليه ، ويتعبد به خالقه .

١١. رسمت السنَّة النبويَّة نظاماً أخلاقياً متكاملا يهدف لحفظ مشاعر الغير ودوام مراعاتها وحفظها .

١٢. أصَّلت السنَّة النبويَّة من للتشريعات التي تهدف للمعالجة الشعوريَّة في جميع المواقف والأحيان .

١٣. أثبتت السنَّة النبويَّة فساد المنهج الغربيِّ الشعوريِّ ، المبني على التجريب البحت ، والذي لا يستند للأديان ، من خلال إشارتها إلى المرتكز العقديِّ في الجانب الشعوريِّ .

١٤. وضَّحت السنَّة النبويَّة البعد الشعوريَّ في التشريعات المختلفة ، من خلال الإشارة إلى مقصد حفظ المشاعر في كثير منها .

١٥. رسم الهدي النبويُّ الشعوريُّ طريقاً واضحاً لضبط المشاعر الذاتية من خلال الوعي الشعوريِّ الذاتيِّ ، والقدرة على ضبط الانفعالات الذاتية ، وتحييد المشاعر السيئة .

١٦. دعت السنَّة النبويَّة إلى تحليل المواقف الشعوريَّة المختلفة بدقةٍ وعنايةٍ للوصول إلى تفسير صحيح لها ، بهدف معالجتها وحسن إدراتها .

١٧. أصَّلت السنَّة النبويَّة لجميع صور التعاطف البينيِّ مع النَّاس ، ودعت للمشاركة الشعوريَّة التي تسهم في نشر المحبَّة والخير بين الناس .

وفي النهاية فإنني أوصي بمزيد تتبع لهذا المنحى الشعوريِّ في الدراسات الشرعيَّة على اختلاف توجهاتها ، لنرى تفسيراً شعورياً يتتبع الجوانب الشعوريَّة في الكتاب العزيز ، ودراسات فقهية تعتبر المشاعر في استخراج الحكم الفقهيِّ ، كما أوصي بتوريد هذا المنهج الشعوريِّ للغرب ، ليشهد رقيَّ التعامل النبويِّ مع المشاعر الإنسانية ، مما يشهد له بصدق مبعثه ، وسلامة مسلكه .

المراجع

ابن الأثير – مجد الدين – **النهاية في غريب الأثر** – المكتبة العلمية – بيروت – ١٩٧٩م .

أسعد – يوسف ميخائيل – **سيكولوجية الخوف** – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٩٠م .

اسماعيل سعيد محمد رضوان – **الإعلام النبويُّ ودوره في خدمة الدعوة الإسلامية** – بحث مقدَّم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر – الجامعة الإسلامية – غزة – ١٣٢٦هـ .

اسماعيل محمد حنفي - **أساليب التعامل مع المراهق** – مجلة دراسات دعوية – العدد السابع .

الأنصاري – زكريا بن محمد - **أسنى المطالب شرح روض الطالب** - دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠١م .

باديسيكي – كريستين – **العقل فوق العاطفة** – ترجمة مأمون مبيض – المكتب الإسلامي – ط١ – ٢٠٠١م .

ابن بطال – علي بن خلف – **شرح صحيح البخاري** – تحقيق ياسر بن إبراهيم – مكتبة الرشد – الرياض – ط٢ – ١٤٢٣هـ .

البخاريُّ - محمد بن اسماعيل – **الجامع المسند الصحيح المختصر** – تحقيق محمد زهير بن ناصر ، مكتبة دار طوق النجاة – ط١ – ١٤٢٢هـ .

ابن تيمية – أحمد بن عبد الحليم – **العبودية** – تحقيق زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٧ – ص ٢٠٠٥م

ابن تيمية – أحمد بن عبد الحليم – **مجموع الفتاوى** – تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف – المدينة النبوية – ١٤١٦هـ .

الجاحظ - عمرو بن بحر - **تهذيب الأخلاق** – دار الصحابة للتراث – ط ١ – ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

الجرجاني – علي بن محمد – **كتاب التعريفات** – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٣ هـ .

الجوزي - عبد الرحمن بن علي - **كشف المشكل من حديث الصحيحين** – تحقيق علي حسين البواب – دار الوطن – الرياض .

ابن حجر – أحمد بن علي – **فتح الباري شرح صحيح البخاري** – دار المعرفة – بيروت .

الحدري – خليل عبد الله – **التربية الوقائية في الإسلام** – معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي – مكة المكرمة – ١٩٩٦م .

الحساني – عواض حمد – **معاملة الخدم في ضوء السنة النبوية ، وتطبيقاتها التربوية في الواقع المعاصر** – رسالة ماجستير – جامعة أم القرى – ١٤٣١هـ .

حسين أبو رياش وآخرون - **الدافعية والذكاء العاطفي** – ط١ – دار الفكر – عمان – ٢٠٠٦م .

حمادة – فاروق – **العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي** – دار القلم – دمشق .

الحمد – محمد بن إبراهيم – **فقر المشاعر** – دار ابن خزيمة – ط١– ١٤٢٦هـ .

حمدي حسن أبو العينين – **الاتصال وبحوث التأثير** – دراسات الإتصال الجماهيريّ – كويك للطباعة – القاهرة – ١٩٩٣م .

حمودة – محمود – **النفس أسرارها وأمراضها** – ط٢ – المطبعة الفنية – ١٩٩١م

الحميدن – إبراهيم صالح – الإقناع والتأثير ، دراسةٌ دعويَّةٌ – مجلة جامعة الامام محمد بن سعود – العدد (٤٩) – محرم ١٤٢٦هـ .

خليل – محمد يوسف - **الصلاة وأسرارها النفسية بالمفاهيم السلوكية المعاصرة** – سلسة ثقافتك الإسلامية – الكتاب الحادي عشر – ٢٠٠٢م – منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية – الكويت .

الخطابي – حمد بن محمد - **معالم السنن** – المطبعة العلمية – حلب – ط١ – ١٣٥١ هـ .

الخوالدة – محمود – **الذكاء العاطفي الذكاء الانفعالي** – دار الشروق – عمان – ط١- ٢٠٠٤م

الخولي – عبد البديع عبد العزيز – **الفكر التربويُّ العربيُّ الإسلاميُّ** - المنطقة العربية للثقافة والعلوم – تونس – ١٩٨٧م .

دانييل جولمان – **الذكاء الوجداني**– ترجمة ليلى الجبالي – سلسلة عالم المعرفة – رقم (٢٦٢) – ٢٠٠٠م .

راجح – أحمد عزت – **أصول علم النفس** – ط١٠ – الاسكندرية – المكتب المصري الحديث للنشر والتوزيع – ١٩٨٢م .

الرازي – محمد بن أبي بكر – **مختار الصحاح** – تحقيق يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية – بيروت – ط٥ – ١٩٩٩م .

الزبيدي – محمد بن محمد – **تاج العروس** – تحقيق إبراهيم الترزي وآخرون - دار الهداية .

زغل – محمد حسين – **شخصية نوح عليه السلام في القرآن الكريم** – رسالة ماجستير – جامعة النجاح – ٢٠٠٨ م

الزنتاني – عبد الحميد – **أسس التربية الاسلامية في السنة** – الدار العربية للكتاب – ليبيا – ط٢ .

الزير – محمد بن حسن – **القصص في الحديث النبوي** – ط٣ – دار المدني للنشر – جدة – ١٩٨٥م .

السمادوني – إبراهيم السيد - **الذكاء الوجداني أسسه وتطبيقاته** – دار الفكر – عمان – ط١– ٢٠٠٧م

السندي – محمد عبد الهادي – **كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه** - دار الجيل – بيروت .

سيد قطب – **في ظلال القرآن** – دار الشروق – بيروت – ط ١٧.

السيوطي – جلال الدين – **حاشية السيوطي على سنن النَّسائي** – مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ط٢ – ١٤٠٦ هـ .

الشافعي – محمد بن إدريس– **كتاب الأم** – دار المعرفة – بيروت – ١٤١٠هـ .

الشريف – محمد موسى – **العاطفة الايمانية واهميتها في الأعمال الإسلامية** – دار الأندلس الخضراء – جدة – ط١ – ١٤٢٢هـ .

شهبة – هناء يحيى - **السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية** – بحث مقدم لمؤتمر السنة النبوية والدراسات المعاصرة – كلية الشريعة – جامعة اليرموك –٢٠٠٧م .

الشهري – محمد علي – **التربية الوجدانية للطفل وتطبيقاتها التربوية** – رسالة ماجستير – جامعة أم القرى – ١٤٣٠هـ .

الطبري – محمد بن جرير – **جامع البيان في تأويل القرآن** – تحقيق أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – ٢٠٠٠م .

طه – فرج عبد القادر – **أصول علم النفس الحديث** – القاهرة – دار قباء للطباعة – ٢٠٠٠م.

ابن عبد البر – يوسف بن عبد الله – **الاستذكار** – تحقيق سالم محمد عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢١هـ .

عابد بن محمد السفياني – **الثبات والشمول في الشريعة الاسلامية** – رسالة دكتوراه – جامعة أم القرى – ١٤٠٧ هـ .

عبد الخالق – أحمد محمد – **أسس علم النفس** – ط١ – دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية – ط١ – ١٩٩١م.

عبد الرؤوف – طارق – **الذكاءات المتعددة** – دار اليازوري العالمية – عمان – الطبعة العربية .

عثمان – حباب عبد الحي – **الذكاء الوجداني مفاهيم وتطبيقات** – ديبونو للطباعة والنشر – ط١ – ٢٠٠٩م .

عثمان خضر – **الذكاء الوجداني** – الابداع الفكري للنشر والتوزيع – الكويت – الطبعة الثانية - ٢٠٠٨م .

عجين – علي - **اكتسب مهارات الذكاء الوجداني من سنّة نبيك** – ص (٢١) - سلسلة تنمية المهارات الدعوية (١) - مطبوعات جمعية الكتاب والسنة – ط١ – ١٤٣١هـ .

ابن أبي العز – محمد بن علاء – **شرح العقيدة الطحاوية** – ط١ – دار السلام للطباعة والنشر – ٢٠٠٥م .

علوان – عبد الله - **تربية الاولاد في الاسلام** – دار السلام للطباعة والنشر – القاهرة – ط٢١ – ١٤١٢هـ .

العلوي – محمد بن صالح – **خطاب النبي للطفل المسلم وتطبيقاته التربوية** – رسالة ماجستير – جامعة أم القرى – ١٤٣١هـ .

عواد – فايدة – **الهدي النبوي في نقد الذات والآخر** – رسالة ماجستير – الجامعة الأردنية – ٢٠٠٧م .

العيسوي – عبد الرحمن – **سيكولوجية الجسم والنفس** – بيروت – دار الراتب الجامعية – ١٩٩٧م .

عويضة – كامل محمد – **علم نفس الشخصية** – ط١ – بيروت – دار الكتب العلمية – ١٩٩٦م .

العيني – محمود بن أحمد – **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

ابن فارس – أحمد – **مجمل اللغة** – تحقيق زهير عبد المحسن سلطان – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط ٢ – ١٩٨٦م .

ابن فارس – أحمد – **معجم مقاييس اللغة** – تحقيق عبد السلام هارون – دار الفكر – ١٩٧٩م .

فايز عبد الهادي عابد – **سيكولوجيا المزاج بين الإيحاء والإقناع القسري** – دار صفاء – عمان – ط١ – ٢٠١١م .

القاريُّ – علي بن محمد - **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** – دار الفكر – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤٢٢هـ .

القرضاوي – يوسف – **فقه الزّكاة** – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ – ١٣٩٣هـ

القرطبي – محمد بن أحمد – **الجامع لأحكام القرآن** – تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة – ط٢ - ١٣٨٤هـ .

القضاة – أمين – **التفاؤل والتشاؤم في الحديث النبوي** – مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية – جامعة الكويت – (العدد ٥٢ / المجلد ١٨ / ٢٠٠٣م) .

ابن القيم – محمد بن أبي بكر – **مدارج السالكين** – تحقيق محمد المعتصم بالله – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٣ –١٩٩٦م .

ابن قيِّم الجوزيَّة - محمد بن أبي بكر - **أحكام اهل الذمة** – تحقيق يوسف بن أحمد البكري – رمادي للنشر – الدمام – ط١ – ١٤١٨هـ .

ابن قيم الجوزية - محمد بن أبي بكر – **زاد المعاد في هدي خير العباد** – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢٧ – ١٤١٥هـ .

ابن قيِّم الجوزية – محمد بن أبي بكر - **بدائع الفوائد** - دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان .

كامل محمد عويضه - **علم النفس بين الشخصية والفكر**– دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٦م .

ابن كثير – اسماعيل بن عمر – **تفسير القرآن العظيم** – تحقيق سامي محمد سلامة – ط٢ – دار طيبة للنشر – ١٩٩٩م .

كرزون – أنس أحمد - **منهج الاسلام في تزكية النفس** – دار ابن حزم – بيروت – ط٢ – ١٤١٨هـ

الكفوي – أيوب بن موسى - **الكليات** - تحقيق عدنان درويش - مؤسسة الرسالة – بيروت .

كولتشيتسكايا – **تربية مشاعر الأطفال في الأسرة** – ترجمة عبد المطلب أبو سيف – دار علاء الدين – دمشق – ط١ – ١٩٩٧م .

ابن منظور – محمد بن مكرم – **لسان العرب** – دار صادر – بيروت – ط٣ – ١٤١٤هـ .

أبو مصطفى – علاء الدين - معالم **التربية الوجدانية في الكتاب والسنة** – رسالة ماجستير – كلية التربية – الجامعة الإسلامية – غزة – ٢٠٠٩م .

المبيض – مأمون – الذكاء العاطفي والصحة العاطفية – المكتب الإسلامي – بيروت .

محادين – حسين طه – **تعديل السلوك** – دائرة الإنتاج للنشر والتوزيع – الأردن – ط١ – ٢٠٠٩ م .

محمد عمارة – **الإسلام والأمن الإجتماعي** – دار الشروق – ط١– ١٩٩٨م .

محمد كمال - **الإعلام والدعوة الإسلامية** – مجلة الأزهر – سبتمبر – سنة ١٩٨٤.

محمد نجاتي – **القرآن وعلم النفس** – دار الشروق – ط٧ – ٢٠٠١م .

المزيني – أسامة – **القيم الدينية وعلاقتها بالإتزان الإنفعالي** - رسالة ماجستير – الجامعة الإسلامية – غزة – ٢٠٠١م .

مسلم بن الحجاج – **المسند الصحيح** – دار إحياء التراث العربي – بيروت – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

مقداد – محمد علي - **علم الأخلاق الإسلامية** - دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض – ط٢ – ٢٠٠٤م .

المناوي – محمد عبد الرؤوف - **فيض القدير شرح الجامع الصغير** - المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ط١ – ١٣٥٦هـ .

الناصر – محمد حامد – خولة عبد القادر درويش – **تربية الاطفال في الإسلام** – مكتبة السوادي – جدة – ١٤١٢هـ .

نجاتي – محمد عثمان – **القرآن وعلم النفس** – دار الشروق – القاهرة – ط٧ – ١٤٢١هـ .

نصيرة – بلحسيني – **الصورة الفنية في القصة القرآنية** – رسالة ماجستير – جامعة أبي بكر بلقايد – ٢٠٠٦ م .

النووي – يحيى بن شرف - **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** - دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٢ – ١٣٩٢هـ .

يونس – محمد محمود – **سيكولوجية الدافعية والانفعالات** – ط١– عمان – دار المسيرة للنشر والتوزيع – ٢٠٠٧ م.

ملحق الفهارس

أولا : فهرس الآيات القرآنية .

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية .

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١.	البقرة	قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً ...	٣٨	٣٣
		وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ	٤٥	٩٠
		وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ	٥٥	١٨٨
		ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ	٧٤	١٨٢
		وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ	١٥٧	٦٣
		مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً	٢٤٢	٩٧
		قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ	٢٦٣	١٩٠
		لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ	٢٧٣	١٩١
٢.٢	آل عمران	وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ...	١٣٩	٣٩
		مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ	١٤٤	٢٣٧
		سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ...	١٥١	٤٣
		فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ...	١٥٩	١٣١
		وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً ...	١٦٩	٤٠
		الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ	١٧٣	٦٣
٣.	النساء	وَإِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينُ	٨	١٩٠
		فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ	٦٥	٢٢٢

		لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	٩٥	١٥٣
٤.	المائدة	الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ...	٣	٥٨
		يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ	٦٧	١٠٠
		اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ	٩٨	٧٠
٥.	الأنعام	مَا فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ..	٣٨	٣٣
		كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرانَ ...	٧٢	٧١
		فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ ...	١٢٥	٤٧
٦.	الأنفال	فاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ ...	١٢	٤١
٧.	التوبة	الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقاتِ	٧٩	٢٥٨
		وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ..	٩٢	٣٤
		خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها	١٠٣	٩٦
		مَا كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ	١١٣	١٢٤
٨.	هود	فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ...	٧٠	٣٤
		وَامْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ ...	٧١	٣٤
		وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ...	٨٤	٥٦
		وَنادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ...	٤٥	٣٥
		أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ	١١٤	٧٣
		وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ	١٢٠	٥٢

٩.	يوسف	وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يَا أَسَفى عَلى يُوسُفَ ... إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ...	٨٤ ٨٧ ١١٠	٣٤ ٤٦ ٣٥
١٠.	الرعد	الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ...	٢٨	٤٢
١١.	الحجر	إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ .. وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ	٥٢ ٩٧	٣٤ ٨٩
١٢.	النحل	مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً	٦٧ ٧٠ ١١٢	٨٦ ١٤٤ ١٢٧
١٣.	الإسراء	وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ	٤٤ ٧٠	١٨١ ١٩٤
١٤.	طه	فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى ...	٤٤ ٦٧	٣٨ ٥٤
١٥.	الحج	وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ	٣١	٤٣
١٦.	النور	وعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ	٥٥	١٢٧
١٧.	القصص	وَأَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خائِفاً يَتَرَقَّبُ	١٠ ١٨	٣٦ ٥٥

		فَخَرَجَ مِنها خائِفاً يَتَرَقَّبُ ...	٢١	٣٤
		قالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ...	٢٧	١٦١
		إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ	٧٦	٧٤
١٨.	العنكبوت	إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنكَرِ ...	٤٥	٨٨
١٩.	الروم	اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ...	٥٤	١٤٣
٢٠.	لقمان	وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ ...	٢٣	٣٨
٢١.	الأحزاب	إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ...	١٠	٣٥
		أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ	١٩	٣٦
		إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ	٥٣	١٢٨
٢٢.	سبأ	وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً	٢٨	١٠٠
٢٣.	ص	إِنَّا سَخَّرْنا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ	١٨	١٨٢
٢٤.	الزمر	أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ	٢٢	٨٦
		قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ ...	٥٣	٧١
٢٥.	فصلت	ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...	٣٤	٣٩
٢٦.	الدخان	فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ	٢٩	١٨٢

٢٧.	الأحقاف	فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ	٢٤	٢١٠
٢٨.	الفتح	لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ	٤٨	١٥٤
٢٩.	الحجرات	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ	٢	١٥٧
		وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ...	٧	٣٧
		يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ...	١١	١٥٥
٣٠.	الذاريات	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	٥٦	٨٥
٣١.	الحشر	لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً	٢١	١٨٢
٣٢.	الممتحنة	لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ	٨	١٩٥
٣٣.	الجمعة	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ...	٢	٢٢
٣٤.	التغابن	إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ	١٥	٣٠٤
٣٥.	القلم	وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ	٤	٣٧
٣٦.	المعارج	إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً	١٩	٩٣
٣٧.	الجن	وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ	٦	٤٢
٣٨.	النازعات	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ...	٤٠	٢٢

.٣٩	المطففين	إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ	٢٩	٢٥٧
.٤٠	الانشقاق	إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً	١٣	٣٤
.٤١	الضحى	فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ...	٩	٣٨
.٤٢	الهمزة	وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ	١	٢٥٧

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	الحديث	الراوي	رقم الصفحة
١	أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ...	أبو أمامة	١٢٠
٢	أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا	أبو بكرة	١٠٦
٣	أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ	المغيرة بن شعبة	٧٦ ٢٠٤
٤	أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ	أنس بن مالك	٢١٢
٥	اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي	أنس بن مالك	٦٤ ٢٤٣
٦	أُثْبُتْ أُحُدُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ	أنس بن مالك	١٨١
٧	إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ	أنس بن مالك	١٥٢
٨	إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ	أبو هريرة	١٦٣ ٢٦٧
٩	إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ	المقدام بن معدي كرب	٢١٦
١٠	إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ	أبو هريرة	٤٤

١١	إِذَا كَانُوا ثَلاَثَةٌ ، فَلاَ يَتَنَاجَى		عبد الله بن عمر	١٣٢
١٢	إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ		أبو هريرة	٢٣٠
١٣	اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ		عائشة	٢٨٢
١٤	أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ		عبد الله بن عمر	١٤٨
١٥	أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ		أبو هريرة	٩١
١٦	ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا		عبد الله بن عمرو	٢٧٠
١٧	اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ		عبد الله بن عمرو	٦
١٨	اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ يَؤُمُّ النَّاسَ		أنس بن مالك	١٥٧
١٩	اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ		أبو هريرة	١٦٧
٢٠	أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي		عائشة	٧
٢١	اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا		عبد الله بن جعفر	١٦٠
٢٢	أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ		عمرو بن عوف الأنصاري	٢٥٦
٢٣	اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، للهُ أَقْدَرُ		أبو مسعود الأنصاري	١٦٥

٢٤	أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ	المعرور بن سويد	١٦٢
٢٥	أَفَلا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ	عبد الله بن جعفر	١٨٥
٢٦	أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي	أبو هريرة	١٦٦
٢٧	أَلا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ	جابر بن عبد الله	١٤٩
٢٨	أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ	عبد الله بن عمر	٣٠٠
٢٩	أَلاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي	أبو هريرة	٢٠٧
٣٠	أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً	النعمان بن بشير	٤٩
٣١	التَمِسْ غُلامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي	أنس بن مالك	٢٠٢
٣٢	الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ	أنس بن مالك	١٣٩
٣٣	الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ	البراء بن عازب	٢٧٢
٣٤	الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ ، وَالحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ	أبو قتادة	٢٣٦
٣٥	اللهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ	أنس بن مالك	٢١٧
٣٦	اللهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ	أبو هريرة	٢٠٥
٣٧	اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ	البراء بن عازب	١٢٠ ١٧٨

٣٨	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ	أنس بن مالك	٢٣٩
٣٩	اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا	أبو بكر الصديق	٢٠٣
٤٠	اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا	أبو هريرة	١٨٠
٤١	اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ	عائشة	١٣٥
٤٢	اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ	عبد الله بن أبي أوفى	٩٨
٤٣	اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ	عبد الله بن عباس	١٦٦
٤٤	المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ	عبد الله بن عمر	١٢٩
٤٥	أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ	كعب بن مالك	٢٩٠
٤٦	أَنتم الشِّعارُ وَالنَّاسُ الدِّثارُ	أنس بن مالك	٤
٤٧	أَنفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ	أبو هريرة	٩٦
٤٨	إِنَّكِ ابْنَةُ نَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ	أنس بن مالك	٢٧٥
٤٩	إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ	أبو موسى الاشعري	٧٥ ٢٩١
٥٠	إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ	سلمان الفارسي	١٨٣
٥١	إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا	أبو سعيد الخدري	١٨٨

٥٢	إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ	شداد بن أوس	١٨٤
٥٣	إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ	أبو موسى الأشعري	٩٨
٥٤	أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ	حكيم بن معاوية	١٧٤
٥٥	إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ	عبد الله بن عمر	٢٧١
٥٦	إِنَّ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّار	أبو هريرة	٣٠٨
٥٧	إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ	عمار بن ياسر	١٠٣
٥٨	إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ	أبو سعيد الخدري	١٠٤
٥٩	إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ	عائشة	٢٩٢
٦٠	إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ	كعب بن عياض	٩٤
٦١	إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أَعْطَى	أسامة بن زيد	٧٩
٦٢	إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ	معاوية بن الحكم	١٢٣
٦٣	إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ	المسور بن مخرمة	٦
٦٤	أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً	ابن مسعود	٧٢
٦٥	أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى	أبو هريرة	٢٦٦ ٢٩٨

٦٦	إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى	أسامة بن زيد	٦٨ ٢٦٨
٦٧	إِنْ لَمْ تَجِدِي لَهُ شَيْئاً تُعْطِينَهُ إِيَّاه إِلاَّ ظِلْفاً	أم بجيد	١٩٣
٦٨	إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ	أبو مسعود الأنصاري	٢٢٣
٦٩	انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا	المغيرة بن شعبة	١٦٩
٧٠	إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ	أبو هريرة	٢٦٨
٧١	إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك	علي بن أبي طالب	١٤٣
٧٢	إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ	عائشة	٢٥٣
٧٣	إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ	أنس بن مالك	٢١
٧٤	إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً	عائشة	١٦٨
٧٥	إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً ، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ	سليمان بن صرد	٢٢٥
٧٦	إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ	أبو قتادة	٢٦١
٧٧	أين أَنَا الْيَوْمَ ، أَيْنَ أَنَا غَدًا	عائشة	٣٠٦
٧٨	بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ	أنس بن مالك	٢٧٣

٧٩	بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ	أبو هريرة	٢٩٤
٨٠	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي وَهُوَ بِطَرِيقٍ	أبو هريرة	١٨٥
٨١	تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ ، مَا زَالَتْ المَلَائِكَةُ	جابر بن عبد الله	٢٧٦
٨٢	تَدْمَعُ العَيْنُ ، وَيَحْزَنُ القَلْبُ	أسماء بنت يزيد	٢٠
٨٣	تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ	أبو هريرة	٩٦
٨٤	ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ	أنس بن مالك	٤٤
٨٥	جَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرَفُ فِيهِ الحُزْنُ	عائشة	٢١٢ ٢٥٤
٨٦	خَدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنينَ	أنس بن مالك	١٦٩
٨٧	خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ	عائشة	١٧٠
٨٨	دَعُوهُ ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا	أبو هريرة	٢٨٦
٨٩	دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا	أبو هريرة	٢٢٥
٩٠	ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا	عقبة بن عامر	٢٥٥
٩١	رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فِيمَا يَرَى النَّائِمُ	أنس بن مالك	٢٣٥
٩٢	رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ سَوْقَكَ بِالقَوَارِيرِ	أنس بن مالك	١٦٨

٩٣	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ	أبو هريرة	٤٥
٩٤	شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ	أبو هريرة	١٨٩
٩٥	صَدَقَ اللهُ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ	أبو بريدة	٣٠٤
٩٦	صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ	العرباض بن سارية	١٠٢
٩٧	طوبى لمن طال عمره وحسن عمله	أبو هريرة	١٤٥
٩٨	غَارَتْ أُمُّكُمْ	أنس بن مالك	٢٦١
٩٩	فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ	ربيعة بن كعب	١٦٧
١٠٠	فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر	أنس بن مالك	١١٣
١٠١	فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ	أبو سعيد الخدري	١٠٨
١٠٢	فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ	ابن عباس	٩٩
١٠٣	فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ كَانَ ...	عبد الله بن عمر	٥٨
١٠٤	فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ	عبد الله بن مسعود	٢٩٦
١٠٥	فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا	عبد الله بن عباس	٢٣٧
١٠٦	فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ	عبد الله بن مسعود	٢٢٤ ٢٥٤

١٠٧	فَوَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ	عمرو بن تغلب	١٨٧ ٢١٤
١٠٨	قَالَ رَجُلٌ : لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ	أبو هريرة	٢٣١
١٠٩	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرُزِقَ كَفَافًا	عبد الله بن عمرو	١٨٨
١١٠	قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ	أبو سعيد الخدري	١٣٨
١١١	كَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا	أبو سعيد الخدري	٢١٢
١١٢	كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ	خباب بن الأرت	٢٣٤
١١٣	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ	عائشة	٢١٠
١١٤	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ	عبد الله بن مسعود	١٠٣
١١٥	كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ	كعب بن مالك	٢١٢
١١٦	كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ	عبد الله بن جعفر	١٧٩
١١٧	كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي	أسامة بن زيد	١١٧
١١٨	كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ فَوْقَ الْإِزَارِ	عائشة	١٧١
١١٩	كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِي	عائشة	١٧١
١٢٠	كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي فِي رَمَضَانَ	أنس بن مالك	١٨

١٢١	كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا	عائشة	١٤١ ٢٩٨
١٢٢	كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ	أبو سعيد الخدري	٢٣٩
١٢٣	كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ	أبو سعيد الخدري	٤٥
١٢٤	كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ	عائشة	١٧٣
١٢٥	كَبِّرْ ، كَبِّرْ	سهل بن أبي حثمة	١٤٧
١٢٦	كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ	أنس بن مالك	٢١٨
١٢٧	كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ	عائشة	١٧٠
١٢٨	كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ	أنس بن مالك	٦٩
١٢٩	كَيْفَ تِيكُمْ	عائشة	٧
١٣٠	لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ	زينب بنت جحش	٢٥٥
١٣١	لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنِ اتَّقَى	عبيدة بن عبد الحي	٢٢٧
١٣٢	لاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا	أنس بن مالك	٥١
١٣٣	لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ	عبد الله بن جعفر	٢٨٣
١٣٤	لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا	أبو هريرة	٢٩٧

١٣٥	لَا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْذُومِينَ	عبد الله بن عباس	١٥٥
١٣٦	لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ	أنس بن مالك	٢٨٧
١٣٧	لا تغضب	أبو هريرة	٢٢١
١٣٨	لَا طِيَرَةَ ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ	أبو هريرة	٢٣٥
١٣٩	لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ	عبد الله بن هشام	٧٨
١٤٠	لَا ، مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ	أنس بن مالك	١٣٦
١٤١	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ	أنس بن مالك	٢٦٩
١٤٢	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ	أبو هريرة	١٥٨
١٤٣	لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ	سلمان الفارسي	١٣٢
١٤٤	لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً	أبو هريرة	١٧١
١٤٥	لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : أَطْعِمْ رَبَّكَ	أبو هريرة	١٦٤
١٤٦	لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي	عائشة	٢٤١
١٤٧	لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي	أبو هريرة	١٦٣
١٤٨	لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ	عبد الله بن عمر	١٣١

١٤٩	لَا يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ	أبو هريرة	٦٦
١٥٠	لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا	أنس بن مالك	٣٠١
١٥١	لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ	عائشة	٢٠٤ ٢٣٣
١٥٢	للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ	الحارث بن سويد	٥٦
١٥٣	لَوْ أُهْدِيَتْ لِي ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ	أبو هريرة	٢٩٨
١٥٤	ليس الشديد بالصُّرعة	أبو هريرة	٢٢٢
١٥٥	لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ	أم كلثوم بنت عقبة	١٧٢
١٥٦	لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ الأُكْلَةَ وَالأُكْلَتَانِ	أبو هريرة	١٩٣
١٥٧	لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ	عبد الله بن مسعود	٢٩٩
١٥٨	لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا	عبد الله بن عمرو	١٤٥
١٥٩	مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ	عبد الله بن عباس	١٣٥
١٦٠	مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ	عائشة	٢٢٤
١٦١	مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ	أبو حميد الساعدي	١٠٣
١٦٢	مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ	جرير بن عبد الله	٢٩٧

١٦٣	مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ	عبد الله بن عمر	١٥٨ ١٩٨
١٦٤	مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ	عائشة	١٦٤
١٦٥	مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ	أم سلمة	٢٤٣
١٦٦	مَا لَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي	أبو هريرة	٧٣
١٦٧	مَا يُبْكِيكِ ؟ قُلْتُ لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنِّي لَمْ أَحُجَّ	عائشة	٢٤٩
١٦٨	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ	أبو موسى الأشعري	١٣٠
١٦٩	من دخل دار أبي سفيان ، فهو آمن	أبو هريرة	١٣٩
١٧٠	مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ	أبو موسى الأشعري	١٤٧
١٧١	مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ	أبو هريرة	١٣٤
١٧٢	مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ ، يَمِيلُ لِإِحْدَاهُمَا	أبو هريرة	٣٠٥
١٧٣	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِي	أبو هريرة	١٥٨
١٧٤	مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ	أبو هريرة	٣٠ ١٧٦
١٧٥	مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ	عبد الله بن عباس	١٤٠

١٧٦	مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ شَيْئًا ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ	عائشة	٣٠٨
١٧٧	مَهْلًا يَا عَائِشَةُ ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ	عائشة	٣٠١
١٧٨	هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ	أنس بن مالك	١٨١
١٧٩	هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى	أسماء بنت أبي بكر	١٤٨
١٨٠	هِيَ فِي النَّارِ	أبو هريرة	١٥٨
١٨١	وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ	عائشة	١٨٧
١٨٢	وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ	قرة بن إياس المزني	١٨٤
١٨٣	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ	أبو هريرة	١٨٨
١٨٤	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ	عبد الله بن مسعود	٢٨٩
١٨٥	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ	سعد بن أبي وقاص	٢٧٤
١٨٦	وَاللهِ لاَ أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ	أبو موسى الأشعري	٢٨١
١٨٧	وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا	عبد الله بن عمرو	١٦٧
١٨٨	وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ	أنس بن مالك	٨٨
١٨٩	وَيْحَكِ ، أَوَهَبِلْتِ ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ	أنس بن مالك	٦٥

١٩٠	يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً	أبو ذر الغفاري	١٥٩
١٩١	يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا	أبو ذر الغفاري	٢٦٢
١٩٢	يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ	أنس بن مالك	١٧٨
١٩٣	يَا أَبَا المِسْوَرِ ، خَبَأْتُ هَذَا لَكَ	عبد الله بن أبي مليكة	٢٩٣
١٩٤	يَا ابْنَ الخَطَّابِ ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ	عمر بن الخطاب	٢٤٧
١٩٥	يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ	أنس بن مالك	٢٧٦
١٩٦	يَا بَنِي فِهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ	ابن عباس	١٠٧
١٩٧	يَا عَائِشَةُ ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ	عائشة	٨٢
١٩٨	يَا عَبَّاسُ ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ	ابن عباس	٢٦٤
١٩٩	يَا مُعَاذُ ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ	معاذ بن جبل	١٢٢ ٢١٦
٢٠٠	يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ	أبو هريرة	١٤٨
٢٠١	يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ	أبو هريرة	٢٢٨

Consideration of human feelings in Sunnah

Prepared by
Mahmoud Yaseen Mahadeen

Supervisor
Dr. Mohammad Al-Tawalbeh

Abstract

This is an educational Sharia study that depicts an important aspect of the human soul, namely the emotional aspect in Sunnah. It sheds light on the importance of understanding and considering all the sides of the emotional aspects. The study clarifies the genuine foundations upon which the Prophet's emotional approach is built, and then sets the fundamentals of the comprehensiveness of this approach to all the aspects of considering the emotions in human life.

The study then shifts from the pure theoretical side to the practical application through eliciting the practical applications in the management of self feelings and the feelings of others, including: depicting feelings, understanding them, handling them properly, and healing the emotional wounds. All of this will eventually lead to the construction of a general emotional Islamic approach that shows the depth of the Islamic management of psychological aspects, its ability to present realistic alternatives for proper conduct, and the need of societies for the guidance of the Prophet, which will lead them to the sophistication and sublimity in all areas.